

# الانتصار للأهل السنة

وكشف مذهب أدياء السلفية

تقديم

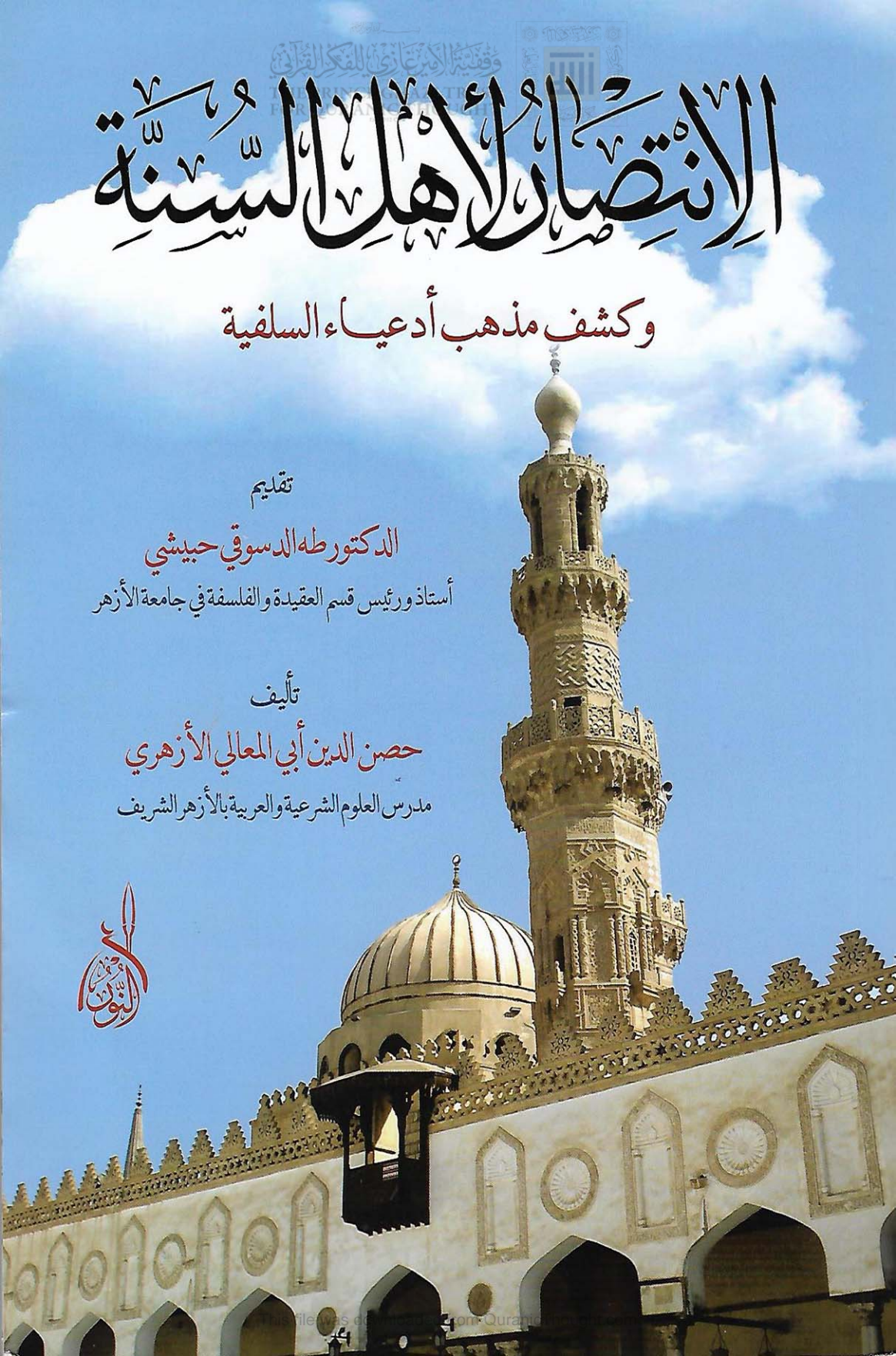
الدكتور طه الدسوقي حبيشي

أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة في جامعة الأزهر

تأليف

حصن الدين أبي المعالي الأزهري

مدرس العلوم الشرعية والعربية بالأزهر الشريف





## الفهرس

الصفحة	موضوع
٧	لإهداء
٩	تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور طه الدسوقي حبشي الأزهرى
١٣	مقدمة
٢١	باب الأول: تمهيد مهم، وإطلالة تاريخية مفيدة
٢٧	عن من تفرق المسلمين واختلافهم في بعض مباحث العقيدة
٢٩	مرقف العلماء عند ظهور مقالات أهل البدع
٣٩	ظهور الفرق وتمايزها
٤١	ظهور الإمامين: أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي
٤٦	تجسيم يعلن عن نفسه
٥١	بن تيمية رحمه الله تعالى ونصرته لمذهب المجسمة
٥٧	تجسيم يسفك دماء المسلمين تحت شعار التوحيد وعقيدة السلف
٦٣	مجسمة في لباس أهل السنة يصنّفون الناس
	لأشعرة والماتريديّة جمهور الأمة، علماءها وأئمتها وسرد أسماء بعضهم ومؤلفاتهم على حسب
٦٨	تخصصاتهم، ومعرفة مؤسساتهم العلمية
٦٨	كبير مفسري الأمة من الأشاعرة والماتريديّة
٧١	كبير محدثي الأمة وحفاظها من الأشاعرة والماتريديّة
٧٣	كبير فقهاء وأصوليي الأمة من الأشاعرة والماتريديّة
٧٤	علام الأمة في اللغة والأدب من الأشاعرة والماتريديّة
٧٥	كتب سيرة المصطفى ﷺ من الأشاعرة والماتريديّة
٨٠	سلاطين الأمة وفتحوها وأبطالها سابقا وحاضرا أشاعرة وماتريديّة

الصفحة

الموضوع

٨٢	التخويف من اشتعال الفتنة بالرد على المجسمة
٨٧	الباب الثاني: التجسيم في الفكر الإسلامي
٩١	الفصل الأول: التجسيم في فكر الحنابلة
٩٨	السبب في اختيار الغلاة مذهب الإمام أحمد بن حنبل
١٠١	الفصل الثاني: التجسيم في فكر المحدثين
١٠٢	مذهب أهل الحديث في الاعتقاد والفقہ
١٠٢	معنى لقب أهل الحديث
١٠٣	أهل الحديث لهم موقفان من التجسيم: إما تنزيه، وإما تجسيم
١٠٣	الموقف الأول: موقف من يجاهر بتنزيه الله ويختار التفويض ونفي الكيف أو يختار التأويل..
	الموقف الثاني: موقف من يثبت بعض الأخبار المنكرة التي لا تكاد تحتمل التأويل. مع الإشارة
١٠٦	لبعض المنصفات التي تبنت هذا الاتجاه
١١٨	غلط هؤلاء المنصفين على وجه الإجمال
١١٨	مثال لوقوع الاختلاف والنزاع بين أهل الحديث بسبب الاعتقاد
١٢٣	الفصل الثالث: الكرامة المجسمة
١٢٩	مقالة الكرامة في التجسيم
١٣٤	عبر وفوائد ينبغي ألا تغيب عن الأذهان في دراسة مقالات التجسيم
١٣٧	الفصل الرابع: التجسيم في فكر الوهابية
١٣٧	أولاً: جهودهم في نشر المنصفات التالفة وتحقيقها وتعظيمها
١٤٤	ثانياً: ذمهم لأهل السنة الأشاعرة والماتريدية، ورميهم بالبدعة، واستباحة دمائهم وأعراضهم...
١٥٣	الباب الثالث: قول الفريقين في قضية الصفات الخيرية
١٥٩	الفصل الأول: العقل البشري أسير الحواس وعالم المشاهدة
١٥٩	الحواس وحدودها
١٦٠	الخيال وحدوده

- ١٦١ ..... نعقل وحدوده
- ١٦٧ ..... والحقيقة، والمجاز
- ١٦٩ ..... تعريف الكيفية
- ١٧٠ ..... تعريف التفويض
- ١٧١ ..... مشكلة المجسمة مع هذه المصطلحات
- ١٧٥ ..... قعدة جليلة للإمام ابن الجوزي
- ١٧٧ ..... تفصل الثالث: قول أهل السنة الأشاعرة والماتريدية
- ١٧٧ ..... الموقف الأول: التفويض
- ١٧٩ ..... الموقف الثاني: التأويل
- ١٨٥ ..... نُصِّ من كلام سُرَّاح الحديث على أن التفويض والتأويل هما مذهب أهل السنة في التعامل مع تشابه
- ١٨٨ ..... مزيد من التوضيح لمذهب أهل السنة الأشاعرة والماتريدية في التأويل
- ١٩١ ..... شبهة إثبات أهل السنة الأشاعرة والماتريدية بعض الصفات وتأويلهم البعض الآخر
- ١٩٨ ..... نسس التأويل وضوابطه
- ٢٠١ ..... الفصل الرابع: قول المجسمة أدياء السلفية ومناقشتهم فيه
- ٢٠٨ ..... مناقشة قولهم: الخالق أولى بكمالات المخلوق
- ٢١٢ ..... إثبات الكيف والقول ببدعية التفويض والتأويل
- ٢١٨ ..... تشويه صورة أهل السنة الأشاعرة والماتريدية والظعن فيهم بالباطل
- ٢٢٠ ..... تحريف معاني النصوص لتماشى مع مذهب التجسيم
- ٢٢٤ ..... دعوى إجماع السلف على مذهبهم
- ٢٢٦ ..... تسمية التأويل بغير اسمه فراراً من الإقرار بجواز العمل به
- ٢٢٩ ..... التأويل عند أهل السنة الأشاعرة والماتريدية للضرورة فقط

الصفحة	الموضوع
٢٣٠	دفع أدعياء السلفية للآثار المروية عن السلف بدون دليل معتبر إذا خالفت مذهبهم
٢٣٢	الاستشهاد بكلام أهل الكتاب في العقيدة إذا وافق مذهبهم
٢٣٦	الكيل بعدة مكايل
٢٣٨	عجائب وغرائب!
٢٤١	نصوص صريحة في التشبيه والتجسيم
٢٤٧	الفصل الخامس: النصوص المروية عن السلف في تفويض المعنى ونفي الكيفية، أو العمل بالتأويل
٢٤٩	المطلب الأول: نصوص السلف في تفويض المعنى ونفي الكيفية أصلاً
٢٥١	وقفه مع قول السلف في نصوص المتشابهات: «أمرؤها كما جاءت»
٢٥٩	شبهة وتلبيس
٢٦٣	المطلب الثاني: نصوص السلف والقرييين من عصرهم في التأويل
٢٦٩	الفصل السادس: تناقض مذهب المجسمة واضطرابه
٢٧١	المطلب الأول: تردد المجسمة بين قبول التأويل ورفضه
٢٧٩	المطلب الثاني: تناقضهم في إثبات الحقيقة اللغوية مع تفويض الكيفية
٢٨٣	المطلب الثالث: تعطيلهم بعض النصوص القرآنية والنبوية لحساب نصوص أخرى ليست أولى منها بالإعمال
٢٨٩	المطلب الرابع: ترجيحهم بعض محامل اللفظ على البعض الآخر المساوي له بدون دليل
٢٩١	الفصل السابع: الكلام على الظاهر
٢٩٥	أمثلة من كلام ابن تيمية عن الظواهر يلزمه بها إبطال كل ما أطل في تقريره
٣٠٣	خلاصة القول
٣٠٧	نقل ما يخص صفات الباري سبحانه من العقيدة الطحاوية
٣١١	الخاتمة
٣١٥	ثبت المراجع

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### إهداء

قُلْ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

وقل أيضا: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

إلى كل من يطلب الحق ويتجرد لطلبه .. لا ينتصر في ذلك لهواه ولا يتبع فيه غير  
 حيين..

إلى كل من أراد أن يقرأ ليصل إلى الحقيقة التي تنجيه يوم القيامة .. ولا يريد أن يقرأ  
 عرض المجادلة والالتفاف على الأدلة ..

إلى كل صادق النية صحيح العزم في طلب الحق ..

إلى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وتحت قلوبهم للحق ..

أهدي هذا الكتاب





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تقدمة فضيلة الأستاذ الدكتور

### طه الدسوقي حبيشي الأزهري

حمد لله الذي أمر نبيه أن يتحمل عبء السفارة بينه وبين خلقه، فتحمل وأدى  
 - ع - عني نفسه قبل رحيله الله على إقرار أمته بأنه قد بلغ فأحسن البلاغ. فصلاة الله عليه  
 - ع - وأصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسان.

ثم بعد ..

فقد درجت الأمة بعد عصر المبعث في الحديث عن العقيدة كتابة وتعلية ودرسا  
 - ع - . وم كان ذلك إلا لانفتاح الأمة الإسلامية على الثقافات المختلفة فيما يسمى بعصر  
 - ع - حركات الإسلامية.

وفي هذه الحركة تبرزت اتجاهات مختلفة لمدارس متعددة، تحكم كل مدرسة منها  
 - ع - حجت نتي اتبعتها هذه المدرسة.

ويمكننا أن نحصر هذه الاتجاهات منهجيا في ثلاثة، هم: النصيون، والعقليون،  
 - ع - حثريون.

أما النصيون: هم أولئك النفر الذين يتعاملون مع النص من حيث ظاهر هذا النص،  
 - ع - ينكرون بحواسهم ويرتبطون بهذا التفكير لا يعدونه إلى ما وراءه قيد أنملة أو قلامه ظفر.

وقد تسلسل هذا الاتجاه في التاريخ، ويمكن أن نعتبر بدايته من الإمام أحمد بن حنبل  
 - ع - عي الله عنه وأرضاه، وتطور تابعوه في هذا الاتجاه إلى هذا العصر الحاضر.

وأما العقليون: هم أولئك النفر الذين اتخذوا من العقل منهجا في فهم النصوص.  
 - ع - وحواس تلتقط والعقل يفكر مهورا بأعلى درجات الثقة.

ويمثّل هذا الاتجاهُ أصدقَ تمثيل طوائفُ المعتزلة. وفكرهم قد تسلسل في التاريخ إلى يوم الناس هذا.

وبقيت هناك طائفةٌ هم طائفة البصائريين، وهي طائفة ترى أن للإنسان خاصية وراء الحواس والعقل، يمكن أن يدرك من خلالها ما لا يدركه بالحواس والعقل.

وهذه الطائفة إن شئت أن تسميهم بالزهاد سلّمنا لك، وإن شئت أن تسميهم الصوفية فلن نبتئس بهذه التسمية.

وإجمال القول: أن الأمة قد شهدت ولا تزال تشهد هذه المدارس الثلاث تعمل عملها وتمارس فهم القضايا على أساسٍ من مناهجها.

- وقد جاء في مجال العقيدة اتجاهٌ يمثل حركةً وسطاً بين النصيين والعقليين، يتفادى أخطاء كلٍّ منها ويؤسس لنفسه شخصيته المستقلة، رأت الأمة فيها أن هذه الشخصية تمثل الوسط في الفكر أصدق تمثيل.

وهذه الطائفة كان ولا يزال لها جناحان، أحدهما في منطقة الشرق الأوسط وما يتصل بها، وثانيهما في شبه القارة الهندية وما يتصل بها.

أما الجناح الأول: فكان يمثله -ولا يزال- أبو الحسن الأشعري ومن اعتقد عقيدته ومارس منهجه.

وأما الجناح الثاني: فكان -ولا يزال- يمثله أبو منصور الماتريدي ومن لفّ لفّه.

وارتضت الأمة من هذين العَلَمين والمدرسة التي أسّسها أفكارهما ومنهجهما والكيفية التي فهموا بها النصوص.

- أما المنهج النصي فكان دائماً -ولا يزال- يتشدد في اتباع منهجه الذي يدور على أساسٍ من إعطاء الفهم للحواس دون غيرها. الأمر الذي ألجأ هذا الفريق إلى القول

١١ - الدكتور طه الدسوقي

- تجسيم بالنسبة لله صريحا أو مغلفا. وهذا الإلزام كان قد أعلن عن نفسه على استحياء في عتور الأولى لنشأة هذه المدرسة، ولكنه في القرن الثامن الهجري على الخصوص أسس منه مدرسة أطلق عليها اسم «السلفية». وهو اسم فيه من التدليس بمقدار ما يجتذب عمّة الذين يرضيهم أن يكون التفكير بالحواس لا بالعقل.

ودعوى السلفية التي ادعاها هؤلاء القوم دعوى عارية عن الصحة؛ لأن السلف منح يمثلون اتجاهها لا مدرسة، ويحكمهم بالشرع زمان معين حدده النبي ﷺ.

ثم توالى الأحداث فدخلت هذه الطائفة لتمثل حزبا سياسيا يرتبط بالسياسة بتحصيل الأموال في حركة تسمى بـ «الوهابية» تدعي أنها حركة دينية، ثم ظهرت في هذا قرن الواحد والعشرين على طبيعتها الحقيقية، وهي هذه الطبيعة النفعية من جهة والسياسية من جهة أخرى.

في هذا الجو اندفع كثير من الشباب يكتبون يُعصّدون علماء الأمة في محاولة إبراز المنهج الوسطي، ثم لا بأس أن تسميه بالمنهج «الأشعري» أو المنهج «الماتريدي» أو بهما معا، فهما جميعا يمثلان منهج «أهل السنة».

والمقصود بأهل السنة: أنهم يوافقون سنة النبي ﷺ وطريقته في جميع القضايا التي عالجوها. وهم مع أنهم أهل السنة فهم أيضا يمثلون «جماعة المسلمين» من علماء في الفقه وفي الحديث وفي التفسير .... إلى آخره.

ومن بين هؤلاء الذين نشطوا: هذا الشاب الذي سطر هذا الكتاب الذي بين يدينا، وهو كتاب جمع من الأفكار ما نكاد نعتقد معه أنه لمس جميع القضايا. إلا أن قُرْبَهُ من هذه القضايا ينحاز إلى جانب التأريخ أكثر من انحيازه إلى جانب التحليل. وهو جهد نعرفه له ولا ننكره، ونحض الشباب على أن يحدوا حذوه ويحاكوه فيما فعل، على أساس من ضوابط المنهج وقُرْبٍ من تحليل القضايا.



وكتبُ هذه الصفحات يبدو أنه قد بذل جهداً وعرقاً، فشكر الله له جهده وعوضه عما بذله من مجهود. وعلى الشباب أن يقرءوا، وما فات المصنّف قد يستدرّكه في الطبّعات التالية، والعصمة للأنبياء.

والحمد لله أولاً وآخراً

أ.د. طه حبيشي

أستاذ ورئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر - القاهرة

ليلة الأربعاء ١٠ شعبان ١٤٣٤ هـ

الموافق ١٩ يونيو ٢٠١٣ م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

حمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ليس له شريك في الملك ولا ولد.. نزهه عن مشابهة الخلق في ذاته وصفاته وأفعاله، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ١١]، فقطع السبيل على كل ما يخطر في البال عنه. وتقرّد بصفات حده وجماله والكمال، فلا ينازعه فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب.

شاهد أن لا إله إلا هو، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء

شاهد أن إمام المنزهين وقدوة الموحدين سيدنا ومولانا محمدا ﷺ عبده ورسوله، تنبى من خلقه وخليله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة. أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق حبه عن الدين كله ولو كره المشركون. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم حتى يوم الدين، وسلم عليهم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه.

ثم بعد..

في تصوير الحق على أنه باطل والباطل على أنه حق في هذا الزمان لما يحزن قلب كل من غير على هذا الدين. إذ لا يخفى أن بعض المسلمين اليوم ممن يتسبون إلى السنة سنية يضعون في عقيدة أكابر العلماء المتقدمين الذين حفظوا منهج السلف ومن تبعهم عن عهد السنة والجماعة، ونقلوه إلينا وإفيا صافيا عبر الأجيال وعلى مر القرون، من بين محمد ﷺ إلى يومنا هذا.

ولا يفتأ المسلم يسمع كل يوم رمي علماء أهل السنة الأشاعرة والمأثرية بالبدعة تارة على شاشة قناة فضائية، وتارة على صفحات كتيب، وتارة في شريط مسجل

بأنه درس علمي في العقيدة!

ويحمل أدعياء السلفية<sup>(١)</sup> لواء هذه الحملة الآثمة المسعورة على علماء المسلمين. وهم مشهورون بِحُبِّ الطعن والتضليل - بل والتكفير أحياناً - لمن خالفهم، خاصة وقد توفرت لهم إمكانات تساعدهم على ذلك، من امتلاكٍ للقنوات الفضائية، ودعمٍ بأموال بعض الساسة في بعض بلاد المسلمين!

وكأنِّي أرى بعينيِّ مصداق ما روي عن النبي ﷺ أن آخر هذه الأمة سَيَلَعُنُ أَوْلَهَا. وليت شعري، أيِّ لعن! إنه لعنٌ مُوجَّهٌ إلى أكابر علماء المسلمين، لا يَرُقُّبُ فيهم إلا ولا ذمة، ولا يشفع لهم عند اللاعنين أنهم حفظوا لنا العلم، ومثَّلت كتبهم ومصنفاتهم مراجع الأمة في كل علوم الدين على امتداد التاريخ الإسلامي.

يحدث ذلك في الوقت الذي سكت كثير من علماء أهل السنة في الأزهر الشريف والزيتونة والقرويين وندوة العلوم وجامعات الشام وغيرها من المعاهد العلمية لأهل السنة عن الرد عليهم وبيان خطئهم، رغبة منهم في جمع الشمل وعدم الانجرار إلى الفتن وزيادة الفرقة بين المسلمين. وظنَّ أولئك الناس أن أهل السنة سكتوا عن ضعف، فتبادوا فيما هم فيه، حتى طفح الكيل وطفَّ الميزان.

وبسبب هذا الزَّخَم الذي يكاد يُصِمُّ الآذان، يوشكُ المسلمُ العادي، وطالبُ العلم المبتدئ الذي لم يتضلع من علوم الدين، ولم يعرف شيئاً عن اختلاف المسلمين أن يصدِّق ما يسمعه، ويقع في قلبه أن هؤلاء العلماء الأكابر كانوا ضالين مضلين، وأن مذهب أهل السنة

(١) وهم الفرقة التي تسمى نفسها اليوم بالسلفية، ولا يُقرُّ لهم أهل السنة والجماعة بذلك الاسم. وترجع أصول أفكارهم ومذاهبهم إلى طوائف المجسِّمة والمشبَّهة الأوائل، خاصة فرقة «الكرامية»، مع اختلافات طفيفة. ويدينون الله تعالى بآراء الشيخ تقي الدين ابن تيمية التي خالف فيها عقيدة أهل السنة وخرق بها إجماع العلماء. وقد كانوا معروفين باسم الوهَّابيين، نسبةً إلى زعيمهم محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدى الذي ظهر في القرن الثاني عشر الهجري بأرض نجد، ثم ادَّعى أنه على مذهب السلف، وأن مُسَلِّمي زمانه جميعاً كفار تجب محاربتهم وإدخالهم في الإسلام. ولما ظهرت عورات فكرهم نبذوا هذا الاسم وسمَّوا أنفسهم بالسلفية نسبةً إلى السلف الصالح ليكون لهم قبول عند العوام. وسيأتي الكلام عن ذلك كله مفصلاً مدعماً بالأدلة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

الأشاعرة والماتريدية هو أحد مذاهب أهل البدع المخالفين لمنهج وعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم!

وكيف لا يصدّق ذلك، والقائمون على الاتهام يتمسّحون في سنن العادات، من المبالغة في تطويل اللّحَى وتقصير الثياب<sup>(١)</sup>. وقلوبُ العوامِ وضعافِ الطلبة تنخدع بالمظاهر، وتثق بأقوال من تظنُّ فيهم الخير والصلاح، ولا تحاول التحقق من صحتها ولا البحث فيها.

والحقيقة أن صحة العقيدة لم تكن تُعرَف أو تُقاس عند أهل العلم في يوم من الأيام بالمظاهر ولا الشعارات. فكم من مبتدع ظهر في تاريخ المسلمين وهو يُظهر النسك والعبادة، ويراه العوام فيظنون أنه واحد من الصحابة أنعم الله به على زمانهم. وقد كان الخوارج الذين حاربوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه أصدق مثال على ذلك، فقد كانوا من أكثر الناس عبادة وصلاة وصياما وذكرًا، وقال عنهم النبي ﷺ: «يحقّر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»<sup>(٢)</sup>. ووصفهم بأنهم «كلاب النار»<sup>(٣)</sup>.

لكنّ صحة العقيدة تُعرَف بالاستناد إلى الأدلة والبراهين القطعية التي لا يتطرق إليها الشك ولا تتخللها الظنون.

وجاءت صفحات هذا الكتاب الذي أقدمه للقراء الأفاضل الطالبين لمعرفة الحق، عملا بمقتضى ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا لَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْهَا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ فَلْيُظْهِرْهُ، فَإِنَّ كَاتِمَ الْعِلْمِ يَوْمَئِذٍ كَكَاتِمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»<sup>(٤)</sup>!

(١) لا يفهم من هذا أننا نقلل من شأن اللحية والتقصير وسنن العادات. بل الحق عندنا أن مَنْ فَعَلَ ذلك استنانا ومحبة لرسول الله ﷺ وأصحابه نحسبه مأجورا بنبته الصالحة إن شاء الله تعالى. لكن الذي قصدناه أن المظهر ليس دليلا على صحة العقيدة أو صواب الآراء.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک برقم (٢٦٥٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في التلخيص (١٦٣/٢).

(٤) قال الحافظ ابن عساکر في تاريخ دمشق (٥/١٧): له متابعة، ثم أورده بإسناد آخر من حديث معاذ بن جبل =

الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية فهو بمثابة تبرئة الذمة أمام الله تعالى مِنْ كَتَمَ شَيْءٍ عَلِمْتُهُ، وبمثابة محاولة لأداء جزء من الدِّين الذي طَوَّقَ به علماء أهل السنة الأشاعرة والماتريدية رقاب الأمة، بما حرروه من الأدلة والبراهين في نصره اعتقاد المسلمين ورد كيد الملحدين والزائغين، وما سَطَّروه من كتب ورسائل في التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة وغيرها من سائر فنون علوم الشرع.

وفي هذا الكتاب بمشيئة الله تعالى، مناقشة قضية صفات البارئ تبارك وتقدس، خاصة ما يتعلق بها ورد في نصوص المتشابهات من القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة. فإنها أكثر ما يُشنعُ به أولئك الناس على أهل السنة، ويزعمون مخالفتهم فيها لمنهج السلف واعتقادهم.

وقد سميته: «الانتصار لأهل السنة الأشاعرة والماتريدية، وكشف مذهب المجسمة»<sup>(١)</sup>  
أدعياء السلفية.

حيث يجد القارئ إثبات براءة مذهب أهل السنة الأشاعرة والماتريدية من التهم الباطلة التي يرميهم بها خصومهم، وسيعرف بالأدلة القاطعة أن مذهبهم هو الامتداد الطبيعي والصحيح لمذهب السلف الصالح.

كما أنه يكشف حقيقة أدعياء السلفية، وأنهم أحق الناس بلقب المجسمة، ويفضح مذهبهم الذي يلزم منه بوضوح أن الله تعالى جسم وأنه يشبه مخلوقاته، ويدحض ادعاءهم أنهم على منهج السلف وعقيدتهم، ويثبت بالدليل والبرهان أنهم لا يستحقون الألقاب التي

= بعد ذكر رواية جابر بزيادة قوله: «إذا ظهرت البدع ولعن آخر... الحديث». اهـ. وجعل ابن عدي في الضعفاء (٣٥٥ / ٥) آفته في عبد الله بن السري، ثم قال: لا بأس به.

(١) المجسمة: الذين يتسبون إلى الله تعالى صفاتٍ وخصائص تشبه صفات الأجسام وخصائصها. وبعضهم يغالون في مذهبهم إلى الحد الذي يصرحون فيه أن الله تعالى جسم كالأجسام، وسيأتي ذلك الكلام على ذلك كله إن شاء الله تعالى. وإذا جاء في الكتاب لفظ «المجسمة» أو «المشبهة» أو «الوهابية» أو «أدعياء السلفية» فأنا أقصد فريقاً واحداً من الناس. كما أنه إذا جاء فيه لقب «أهل السنة»، فأقصد به السادة الأشاعرة والماتريدية.



أسبغوها على أنفسهم، كالسلفية وأنصار السنة وغيرها. وهذا الدليل وهذا البرهان من كلامهم لا من كلام غيرهم، حتى لا يقال أننا ندّعي عليهم أو نتهمهم بما ليس فيهم!

وسيجد القارئ الكريم كثيرا من النصوص الصحيحة المقولة عن سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم في صفات الباري سبحانه وتعالى، تخالف عقيدة أدياء السلفية، وتوافق عقيدة أهل السنة الأشاعرة والماتريدية، الذين هم أهل السنة وأتباع السلف بحق.

وقد حاولت جهدي أن يكون الكتاب مفيدا لطالب العلم الذي يريد أن يتصور المسائل ويعرف ما دار حولها من الخلاف والمناقشة بين الفريقين، ويردّ غيبة العلماء الأكابر بالحجة والدليل من كلام السلف. وأن يكون سهلا كذلك على القارئ العادي الذي يريد أن يعرف حقيقة الأمر، لكنه لا يفهم المصطلحات الخاصة بعلم التوحيد. وشحنته بتراجم لأغلب العلماء، بكلام يُعرف صاحب الترجمة إلى القارئ، من غير إخلال ولا تطويل يؤدي إلى الإملال، حتى يطمئن القارئ إلى أننا -أهل السنة الأشاعرة والماتريدية- لم نأخذ عقيدتنا ولا ديننا عن مجاهيل أو بطّالين أو مغمورين، بل عن أئمة هدى كانوا ميزان الدنيا في حياتهم وبقيت مآرجعهم كذلك بعد ماتهم.

وليعدرنى القارئ الكريم إن اضطررت لتكرار بعض الفقرات المنقولة عن أهل العلم؛ لأن ضرورة تسهيل البحث على القارئ، وربط الأفكار بعضها ببعض تقتضي ذلك. فالقوم متذبذبون مترددون في عقيدتهم ومواقفهم من القضية محل البحث، بالقدر الذي يجير من تتبع كلامهم ليناقتهم فيه، ويرد عليهم خطأهم!

## وقد جاء الكتاب مقسما كالتالي:

- الباب الأول: تمهيد مهم وإطلالة تاريخية مفيدة.
- الباب الثاني: التجسيم في الفكر الإسلامي عند الحنابلة والمحدثين والكرامية والوهابية.
- الباب الثالث: قول الفريقين في قضية الصفات الخبرية، وتحرير محل نزاعهما.
- الفصل الأول: العقل البشري أسير الحواس وعالم المشاهدة.
- الفصل الثاني: بعض المصطلحات وما يترتب على معرفة معنى كل منها.

الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية

- الفصل الثالث: منهج أهل السنة الأشاعرة والماتريدية في التعامل مع نصوص المتشابهات.
- الفصل الرابع: منهج الوهابية أدعياء السلفية في التعامل معها، ومناقشتهم.
- الفصل الخامس: النصوص المروية عن السلف في تفويض المعنى مع نفي الكيفية، أو العمل بالتأويل.
- المطلب الأول: نصوص السلف في تفويض المعنى مع نفي الكيفية أصلاً.
- المطلب الثاني: نصوص السلف والقرييين من عصرهم في العمل بالتأويل.
- الفصل السادس: تناقض مذهب المجسمة واضطرابه.
- المطلب الأول: تردد المجسمة بين قبول التأويل ورفضه.
- المطلب الثاني: تناقضهم في الجمع بين إثبات الحقيقة اللغوية مع تفويض الكيفية.
- المطلب الثالث: تعطيلهم بعض النصوص القرآنية والنبوية لحساب نصوص أخرى ليست أولى منها بالإعمال.
- المطلب الرابع: ترجيحهم لِمَحْمَلٍ من محامل اللفظ على محمل أو محامل أخرى بدون مرجح كذلك.
- الفصل السابع: الكلام على الظاهر.
- خلاصة القول.
- نقل ما يخص صفات الباري سبحانه من العقيدة الطحاوية.
- خاتمة وتلخيص لأهم ما جاء في الكتاب.
- ولا يفوتني التنبيه إلى أن انتقاد آراء الرجال ومذاهبهم لا يعني الطعن في أشخاصهم ولا القدح في أعراضهم، وذلك حتى لا يُحْمَلِ قولي في رأي أحدهم على وجهٍ لم يخطر لي ببال، فالله وحده يعلم ما تحفي الصدور .. ولا يفوتني كذلك التنبيه إلى أن ما يكتبه ابن آدم لا يخلو من خطأ، فالعصمة لكتاب الله وحده، يتميز بها عن سائر الكتب المسطورة، فالله وحده المرجو أن يعصم عبده من الزلل، ووحده المسئول أن يتقبل هذا العمل.

وأنا أعلم أن هذا الكتاب بعد عرضه على الناس سيعجب به فريق ويضيق به فريق آخر، بل وربما يجزر عليّ أذىً كثيراً من بعض من يُحسِنون الظن بعددٍ من الذين وردت أسماؤهم وانتقدت آراؤهم هنا، ويرون أن الإيذاء والتضييق هو أفضل رادع لمن يحاول كسر الأصنام بتجلية الحقائق وكشف الزيف، أو ربما يتسبب في خسارتي كثيراً من الأصدقاء أيضاً.. ولكن هكذا هي الحوارات والمناقشات في المسائل التي اشتدت وطأة الخلاف فيها وطال نقاش الناس حولها، يتمايز فيها الناس بحسب مواقفهم ومبادئهم.

ولكن حسبي وعزائي أنني أكتب في هذا الأمر محتسبا لله تعالى ولا أبتغي إلا بيان الحق وإزالة الغشاوة التي أصابت كثيرين في هذا العصر. خائفاً من قوله ﷺ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا مِمَّا يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ فِي أَمْرِ الدِّينِ أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»<sup>(١)</sup>.

ولا والله ما كتبت في هذا الكتاب خرفاً إلا وقصدي أن أرد الغيبة عن علماء الأمة وصالحيتها، وأن أزد بعض الجميل الذي أسدوه إلينا رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وألحقنا بهم وجعلنا معهم في مقعد صدقٍ عنده. فلسان حالي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

والله أسأل أن يكتب لهذه الصفحات القبول، وأن ينفع بها المسلمين، ويجلي بها الحق لمن أراد معرفته. وهو سبحانه وتعالى من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

كتبه: خادم العلم وأهله، أفقر الورى، وأحوجهم إلى لطف ربه

حِصْنُ الدِّينِ أَبُو الْمُعَالِي الْأَزْهَرِيُّ

عفا الله تعالى عنه وعن والديه وعن شيوخه بِمَنِّهِ وكرمه

(١) قال العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٥٥): رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى والترمذي وحسنه الحاكم وصححه البيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً وهو عند الحاكم أيضاً وغيره وصححه عن ابن عمر وعند ابن ماجه عن أنس وأبي سعيد بسند ضعيف، وعند الطبراني عن ابن عباس وابن عمر وابن مسعود. ورواه عبد الله بن وهب المصري بإسناد صحيح ليس فيه مجراح.



# الباب الأول

تمهيد مهم وإحلاله تاريخية مفيدة





## الباب الأول

### تمهيد مهم وإطلالة تاريخية مفيدة

إن الله تعالى أرسل محمدا ﷺ وأنزل عليه كتابا تمس آياته شغاف القلوب الحية المتعطشة إلى معرفة الحق، فانطلق ﷺ في قومه صادعا بأمر ربه تعالى، يبلغهم رسالته إليهم ويتلو آياته عليهم. فانفتحت له قلوب المخلصين منهم وأقبلت عليه، وأذعنت عقول ذوي الحِجَا فيهم وأشرأبت إليه، لما وجدت في هذه الآيات من دلائل الحق وتزيه الرب سبحانه عن أن يكون حجرا أو شجرا أو بشرا، أو أن يشبه شيئا من ذلك.

وساعدهم على قبول ما جاء به: فطرة سليمة لرتلوها أدران المدنيّة المنحرفة، وسليقة معتدلة لرتكدرها العجمة الوافدة.. فوعوا عنه ما بلغ عن ربه تعالى وعملوا بما فيه، وعرفوا حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه، وجعلوه نبراسا ومنهاجا عاشوا على اتباع هديه طوال حياتهم. وفهموا بتلك السليقة العربية الصافية ما ترمي إليه ألفاظه من المقاصد والأحكام والعبر، ولم يحتاجوا إلى علوم تساعدهم على فهمه وإدراك معانيه، ولا إلى معاجم يتبينون فيها معاني ما يقرؤون منه من الكتاب.

ثم إنهم بعد وفاة نبيهم ﷺ حملوا المشعل بدورهم ورفعوا الراية لتبليغ هذا الوحي إلى بقية الأمم. فوصل إلينا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسائر علوم الدين بأسانيد متصلة، تبدأ من المنبع الصافي والمورد الضافي -بأبي هو وأمي ﷺ- حتى تنتهي إلينا. فقد كان كل جيل يؤدي ما تحمله من القرآن والسنة والعلم إلى الجيل الذي يليه، يلقيه إليه بعد اعتناؤه به أشد وأجود ما يكون من العناية.

ولكن الأجيال اللاحقة لم تكن بنفس ملكات الأجيال الفاضلة الأولى، فقد اختلط العرب بغيرهم اختلاط أنساب وحضارات وثقافات، وتأثرت لغتهم بلغات غيرهم، وتكدرت سليقتهم الصافية بما شأبها من لوازم هذا الاختلاط، فاشتبهت عليهم بعض المعاني في الأذهان، وظهر اللحن والخطأ في الألسنة.

فاستحدث أولو العلم والعزم منهم علوما استنبطوها واستفردوها من إرث أسلافهم، يتكلمسون بها هديهم، ويرسمون لسلوكه طريقا واضحا لا يزيغ عنه مبتغ للحق، ويقومون من خلال تلك العلوم بحفظ الدين من تحريف المبطلين وهذيان الجاهلين، الذين يتكثرون على فهم سقيم لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

فكانوا كلما استحدث أهل البدع طريقة وشبهة يلبسون بها على الناس، استحدثوا هم كذلك ردا عليهم استنبطوه من أصول الدين، ليردوا الأمور إلى نصابها، وليحافظوا على عقائد العوام من أن ينالها تشويش أو بلبلة من أهل البدع.

قال العلامة التفتازاني: «وقد كان الأوائل من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي ﷺ وقرب العهد بزمانه، ولقلة الوقائع والاختلافات، وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات، مستغنين عن تدوين العِلْمَيْن<sup>(١)</sup> وترتيبها أبوابا وفصولا، وتقدير مباحثها فروعاً وأصولاً. إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين، وغلب البغي على أئمة الدين، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء، وكثرت الفتاوى والواقعات، والرجوع إلى العلماء في المهمات. فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والأصول، وترتيب الأبواب والفصول، وتكثير المسائل بأدلتها، وإيراد الشبه بأجوبتها، وتعيين الأوضاع والاصطلاحات، وتبيين المذاهب والاختلافات»<sup>(٢)</sup> اهـ.

والذي اشتهر بين الناس أن اختلاف المسلمين في مباحث العقيدة وانقسامهم فيها إلى فرق متعددة يعود إلى ترجمة كتب الفلسفة والمنطق الإغريقيين أيام الدولة العباسية. وفسر الكثيرون منهم اتساع حركة الترجمة بأنها انعكاس لتوقف حركة الفتوح الإسلامية، وانغماس الناس في الترف والمتع الدنيوية، وأن البحث في هذه المسائل العقلية نتج عن حالة من الدعة والفتور أصابت المسلمين.

والحق أن هذا جانب من الحقيقة وليس هو الحقيقة كلها. فإن اختلاف المسلمين في بعض مباحث العقيدة يرجع إلى ما قبل عهد العباسيين، بل وقبل الدولة الأموية أيضا.

(١) يقصد علم العقيدة وإثباتها والرد على شبهات المبتدعة، وعلم الفقه وأصوله.

(٢) شرح العقائد التفسيرية للتفتازاني، ص: (١٥-١٦).



نُيَّبُ الْأَوَّلُ: تَهْمِيدُ مَهْمٍ وَإِطْلَالُ تَارِيخِيَّةٍ مُنِيدَةٍ  
فلقد ظهرت بواكيره في عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم جميعاً. وبعضُ الصحابة الكرام لهم محاورات ومجادلات مع أهل البدع، والبعض الآخر لم يقبلوا النقاش مع أهل البدع واكتفوا بالإنكار عليهم.

أخرج البزار والدارقطني في الأفراد وابن مردويه وابن عساكر عن سعيد بن المسيب: «أن رجلاً يقال له صبيغ كان يسأل عن التشابه في القرآن، ويكثر من تلك المسائل بين الناس، فأرسلوه إلى عمر بن الخطاب ليرى رأيه فيه،...، فقال عمر من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فقال عمر: وأنا عبد الله عمر، وأمر بعراجين النخل<sup>(١)</sup>، ليضرب بها صبيغا، فصرع الرجل من شدة الضرب وأغمي عليه مرات، فلما أفاق قال: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد قتلي فقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد شفائي مما أصابني فقد والله شفيتُ، ولا أجد الذي كان برأسي»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وظهرت في عهدهم كذلك بدعة الكلام في القدر. وقد أنكر عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما على المتكلمين فيه.

قال يحيى بن يعمر<sup>(٣)</sup>: «كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني<sup>(٤)</sup> فانطلقت ثم وحيد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا لولقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوقف لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً

(١) عراجين: جمع عرجون، وهو أصل العذق الذي يعوج ويؤخذ منه الجريد.

(٢) الدر المنثور في التأويل بالمأثور (٢/٢٩٦).

(٣) يحيى بن يعمر الوشقي العدواني، أبو سليمان: أول من نقط المصاحف، ولد بالاهواز، وسكن البصرة، كان من علماء التابعين، عارفاً بالحديث والفقه ولغات العرب، من كتّاب الرسائل الديوانية، وفي لغته إغراب وتقرع، تلوى قضاء البصرة ولم يزل قاضياً حتى توفي سنة ١٢٩هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٨/١٧٧).

(٤) معبد بن عبد الله بن عكيم، وقيل ابن خالد، الجهني البصري، أول من تكلم في مسائل القدر بالباطل في البصرة. ونهى الحسن البصري الناس عن مجالسته، وقال: ضال مضل. صلبه عبد الملك بن مروان بدمشق على القول في القدر، ثم قتله سنة ٨٠هـ. وقيل الذي قتله هو الحجاج بن يوسف الثقفي بعد تعذيبه، وأتباعه يلقبون القدرية، نسبة إلى القدر. انظر: ميزان الاعتدال (٦/٤٦٥)، الأعلام (٧/٢٦٤)، وغيرهما.

المسجد، فاكتفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قَدْرَ وأن الأمرُ نُفٌّ. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني برئ منكم وأنهم برآء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهباً فأنفقه ما قَبِلَ اللهُ منه حتى يؤمن بالقدر،...»<sup>(١)</sup>.

وكانت بداية بدعة التشيع في عهد علي رضي الله تعالى عنه. وخرجت عليه الخوارج<sup>(٢)</sup> كذلك، وقام هو وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم جميعاً بمناظرتهم أكثر من مرة<sup>(٣)</sup>. نذكر شيئاً منها باختصار.

يقول الإمام البغدادي عن مناظرة علي رضي الله تعالى عنه للخوارج: «... فقال لهم قبل القتال: ماذا نَقَمْتُمْ مني؟ فقالوا له: أَنَا قَاتَلْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَوْمَ الْجَمَلِ، فَلَمَّا انْهَزَمَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ أَبْحَثْنَا مَا وَجَدْنَا فِي عَسْكَرِهِمْ مِنَ الْمَالِ وَمَنْعَتَنَا مِنْ سَبِي نِسَائِهِمْ وَذُرَارِيهِمْ، فَكَيْفَ اسْتَحَلَلْتُمْ مَا لَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَالذَّرِيَةِ. فقال: إِنَّمَا أَبْحَثُ لَكُمْ أَمْوَالَهُمْ بَدَلًا عَمَّا كَانُوا أَغَارُوا عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْبَصْرَةِ قَبْلَ قُدُومِي عَلَيْهِمْ، وَالنِّسَاءَ وَالذَّرِيَةَ لِرَيْقَاتِلُونَا، وَكَانَ لَهُمْ حُكْمُ الْإِسْلَامِ بِحُكْمِ دَارِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ رَدَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَجُوزُ اسْتِرْقَاقُ مَنْ لَمْ يَكْفُرْ. وبعْدُ لَوْ أَبْحَثُ لَكُمْ النِّسَاءَ، أَيَكُمُ يَأْخُذُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَهْمِهِ؟ فَخَجَلُ الْقَوْمِ مِنْ هَذَا، ... إِلَى آخِرِ الْمَنَازَرَةِ»<sup>(٤)</sup> اهـ.

كما ظهرت بدايات الاعتزال والحشو من بعض من كان يحضر حلقة الحسن

(١) مسلم: (١٠٢).

(٢) ومن أسماؤهم الحُرُورِيَّةُ وَالشُّرَاةُ. وهم الذين قاتلهم علي رضي الله تعالى عنه في النهروان، وقد كانوا في جيشه قبل ذلك، ورفضوا قبوله للتحكيم يوم صِفِّينَ، وحكموا بكفر عثمان وعلي وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهم جميعاً. ومن أشهر أقوالهم تكفير مرتكب المعصية، وأنه لا يغفر الله له إلا إذا أسلم من جديد.

(٣) انظر: علي بن أبي طالب، د. علي محمد الصلابي (٢/٣٤٢).

(٤) الفرق بين الفرق، لأبي منصور البغدادي (١/٥٩).

نصري<sup>(١)</sup>. فكل ذلك يثبت أن الاختلاف في بعض مباحث العقيدة أسبق في الوجود من حركة الترجمة.

## ويرجع ذلك الاختلاف والتفرق إلى عاملين رئيسيين:

الأول: كثرة الفتوحات الإسلامية، ودخول الناس في الإسلام أفواجا. والبلاد المفتوحة كان فيها العرب والعجم، مما أثر في اللسان العربي الفصيح والسليقة العربية الصافية التي كانت تميز الصحابة رضوان الله تعالى عليهم. فمن المعروف أن النبي ﷺ بُعث بين أفصح الناس لسانا وأسرعهم بديهة وأصحهم سليقة، فلم يكونوا عاجزين عن فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على الوجه الصحيح، هكذا كان حال المهاجرين والأنصار، بل وحال الكفار الذين عاندوا الدعوة. فلأنهم فهموا ما يستتبعه الإسلام من مسؤوليات، رفضوه وحاربوا النبي ﷺ.

لكن عندما دخلت في الإسلام شعوب لا تعرف العربية ولا مدلولات خطابها ولا ما تفيده تراكيب الجمل فيها. وفوق ذلك كان منهم المتأثرون بقوالب معينة للتفكير، وقضايا بعينها هي كل معلوماتهم عن الألوهية، أرادوا فهم الإسلام من خلال هذه القوالب والقضايا، فأدّى ذلك إلى وقوعهم في أخطاء جسيمة، في أبواب العقائد والأحكام الشرعية.

والثاني: أن بعض من دخلوا الإسلام لم يدخلوه عن إيمان ومحبة وإذعان، بل دخلوه حثقا وحقدا وكيدا منهم للمسلمين الذين فتحوا بلادهم وأزالوا الطواغيت عنها، فاستتر أولئك الحاقدون بالإسلام ليلبسوا على المسلمين دينهم ويُسكِّكُوهُمْ فيه. وأصدق مثال

(١) إمام أهل البصرة وأحد كبار التابعين والعلماء الفقهاء النصحاء الشجعان النساك. كانت أمه مولاة لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وربما غابت فتعطيه أم سلمة تديها تُعَلِّمُه به إلى أن تحيي أمه فيدر عليه تديها، فكانوا يقولون فصاحته من بركة ذلك. وكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة وهو صغير، فأخرجته إلى عمر فدعا له وقال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس. وشب في كنف علي بن أبي طالب، وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم لا يخاف في الحق لومة لائم، توفي سنة ١١٠هـ. انظر سير أعلام النبلاء: (٤/٥٦٣).

لذلك هو عبد الله بن سبأ<sup>(١)</sup> اليهودي، الذي اخترع بدعة التشيع في عهد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

لذلك. ما من فتنة فكرية وقعت بين المسلمين إلا وسببها الجهل بلغة القرآن، أو إلقاء الشبهات بدافع من الحقد على الإسلام.

وأمرُ الحاقدين سهل اتضاحه للمسلم اللبيب العاقل، ولو بعد حين. لكن المصيبة الأكبر في الجاهلين، لكونهم يريدون الوصول إلى الحق بطرق خاطئة.

ورغم ذلك، كان وجود الصحابة وكبار التابعين أماناً للناس من الفهم المغلوط للنصوص. فمهما حاول مبتدع أن يفسد في الدين - بقصد أو بغير قصد-، كان يجد من يردّ عليه ويحذر الناس منه.

فقد كانوا يقفون ضد هذه المقولات بحزم. تارة بالبراءة من أهلها، كما فعل ابن عمر رضي الله عنهما مع القَدْرِيَّةِ، أو بإهانتهم واحتقارهم كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع صبيغ، أو بالتشيع عليهم وفضحهم على رءوس الأشهاد كما فعل طاووس بن كيسان<sup>(٢)</sup> مع معبد الجُهَنِيِّ رأس القَدْرِيَّة حين رآه في المطاف، حيث التفت إلى الناس وقال: هذا معبد فأهينوه<sup>(٣)</sup>. أو بقتلهم وقطع دابر فتنهم بعد إقامة الحجّة عليهم وتكفيرهم، كما فعل بغيلاًن الدمشقي<sup>(٤)</sup> الذي تتلمذ لمعبد الجهني، حين أصر على هذه العقيدة الفاسدة.

وبعد عصر الصحابة وكبار التابعين كان الأمر يتصاعد شيئاً فشيئاً، متزامناً مع الخلاف

(١) من غلاة الزنادقة. زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي، وكان يقع في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وله أتباع يعتقدون ألوهية علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم عليٌّ بالنار في خلافته. توفي نحو سنة ٤٠ هـ. انظر لسان الميزان (٣/٢٩٨).

(٢) طاووس بن كيسان الهمداني، من أكابر التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث، وتشفقاً في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. توفي سنة ١٠٦ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/٢٢٤).

(٣) الضعفاء الكبير للعقيلي: (٤/٢١٨)، تهذيب الكمال: (١٨/٢٤٠).

(٤) الرجل الثاني في القَدْرِيَّة بعد معبد الجهني. كانت له أخبار ومجادلات في القدر مع أئمة عصره، ودعا عليه عمر بن عبد العزيز بما انتهى إليه أمره من القتل سنة ١٠٥ هـ. انظر المجروحين لابن حبان (٢/٢٠٠).

السياسي بين تلك الفرق. وبدأت مقالات جديدة في الظهور كذلك، بعد أن انفتح الباب ولا مُوصد له، ولا مرجع يحتكم الناس إليه عند الخلاف إلا القليل من أهل العلم. حتى وصل الناس إلى عصر العباسيين وجاءت حركة الترجمة عن الإغريق، واتسع الخرق على الراقق. فقد رفع كل مبتدع رأسه بما يريد أن يقول، وبلبلوا أفكار الناس بشبهاتهم، وتكلموا في ذات الله وصفاته وأفعاله.

## مواقف العلماء عند ظهور مقالات أهل البدع:

- قبل دخولهم هذا المعترك وخوضهم بحره، رفض علماء أهل السنة الانسياق وراء هذه الموجة الثقافية الجديدة، لما رأوه من خطورة المسلك. وأعرضوا عن الخوض في هذه اللجج وحذروا الناس من الخوض فيها.

فعلى سبيل المثال: قد سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن<sup>(١)</sup> عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلىنا التصديق»<sup>(٢)</sup> اهـ.

- بل وكانوا يتأثمون من محاورة أولئك المبتدعة، ويرون في هجرهم أفضل طريقة لاجتناب الناس إياهم.

ومن ذلك الآثار الصريحة عن الأئمة الكبار، أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى في النهي عن مجالسة أصحاب الكلام. فقد كان لقب أصحاب الكلام في العصور الإسلامية الأولى يُطلق على المبتدعة خاصة.

(١) الإمام الفقيه شيخ مالك، يقال له ربيعة الرأي، لأنه كان يُعرف بالرأي والقياس، وهو تابعي جليل حافظ. كان من أعقل الناس، وكان صاحب معضلات أهل المدينة ورئيسهم في الفتيا. واتفق العلماء من المحدثين وغيرهم على توثيقه وجلالته وعظم مرتبته في العلم والفهم. توفي بالمدينة سنة ١٣٣ هـ. وقال الدراوردي: إذا قال مالك: وعليه أدركت أهل بلدنا، وأهل العلم ببلدنا، والأمر المُجْتَمَعُ عليه عندنا، فإنه يريد ربيعة وابن هرمز. وكان مالك يفضلُه ويثني عليه في الفقه والفضل، اهـ. انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢٦٤/١)، تذكرة الحفاظ (١١٨/١).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/٣٩٨)، وسيأتي الكلام على هذا الأثر مفصلاً في الحاشية إن شاء الله تعالى في الفصل الخاص بأقوال السلف.



تكلم في أصول الدين<sup>(١)</sup> بالتوسع وأتقنها بقواطع البراهين، على رأس المائة الأولى. وفي مناقب الكردي عن خالد بن زيد العمري: أنه كان أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وزُفر وحماد بن أبي حنيفة قد خصموا الناس بالكلام، أي ألزموا المخالفين الحججة، وهم أئمة العلم<sup>(٢)</sup> اهـ.

- لكن أولئك الأئمة وغيرهم لما وجدوا أن تركهم الاحتكاك بأهل البدع وهجرهم إياهم وإعراضهم عن مناقشتهم أو الخوض في المباحث التي يلقونها على الناس، نتج عنه إخلاء الميدان للمبتدعة وانفرادهم بعقول الناس، اقتحموا باب علم الكلام بقوة، مستعينين في ذلك بما أوتوا من علم وفهم، فأعادوا تأصيله وترتيب مباحثه من جديد بما يتوافق مع النصوص القطعية الواردة في الكتاب والسنة، ليكون سلاحاً ماضياً في أيديهم يقصمون به حجج أهل الضلال. يظهر ذلك بوضوح من خلال ملاحظة منهجهم في أول الأمر وتاليه.

قال الشهرستاني: «...، حتى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابي<sup>(٣)</sup> وأبي العباس القلانسي<sup>(٤)</sup> والحارث بن أسد المحاسبي<sup>(٥)</sup>».

(١) المراد بالأصول هنا علم العقائد. فالأصول قسامان: أصول الدين وهي علوم العقيدة، وأصول الفقه وهو علم استنباط الأحكام الشرعية العملية من الأدلة.

(٢) إتخاف السادة المتقين، للمرضي الزبيدي: (١٣/٢-١٤).

(٣) قال الذهبي في السير (١١/١٧٥): أقرب المتكلمين إلى السنة، بل هو في مناظرهم، اهـ. وعلق شعيب الأرنؤوط: كان إمام أهل السنة في عصره، وإليه مرجعها، وشيخ الإسلام ابن تيمية يمدحه في غير ما موضع في كتابه «منهاج السنة» وفي مجموعة رسائله ومسائله، ويعد من حذاق المثبتة وأئمتهم، ويرى أنه شارك الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف في الرد على مقالات الجهمية. اهـ. وقال السبكي في طبقات الشافعية (٢/٣٠٠): وصفه الخطيب الرازي بأنه أحد متكلمي أهل السنة، دمر المعتزلة في مجلس المأمون وفضحهم ببيانه، اهـ. وقال ابن حجر في الفتح عن مسائل الكلام والعقيدة في صحيح البخاري (١/٢٩٣): وأما المسائل الكلامية فأكثرها من الكرابيسي وابن كلاب ونحوهما. اهـ. قلت: كان حياً قبل ٢٤٠ هـ ولا يعرف له تاريخ وفاة.

(٤) أحمد بن عبد الرحمن بن خالد، من المعاصرين للإمام الأشعري، سمع منه الحاكم النيسابوري، وتوفي سنة ٣٥٥ هـ. قال عنه الشهرستاني في الملل والنحل: (٨١)، وابن خلدون في المقدمة (٨٥٣): متكلم على مذهب أهل السنة. وقال بدر الدين بن جماعة في إيضاح الدليل (٢٤): أنه إمام أهل السنة الذي زادت تصانيفه في الكلام على مائة وخمسين كتاباً.

(٥) قال ابن الصلاح في طبقات الفقهاء الشافعية (١/٤٣٩): إمام المسلمين في الفقه والأصول والتصوف =





الباب الأول: تمهيد مهم وإطلالة تاريخية مفيدة  
 لا يراني فأسمع كلامه، فقلت: السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله، ....، فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار، فاجتهد في وِرْدِهِ إِيَّكَ أَنْ فَرَّغَ، وحضر الحارث وأصحابه، ...، فابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة، فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكأن على رؤوسهم الطير، فمنهم من يبكي ومنهم من يزعم وهو في كلامه، فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله، فوجدته قد بكى حتى غشي عليه، فانصرفت إليهم، ولم تنزل تلك حالهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرقوا، فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير الحال، فقلت: كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله؟ فقال: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل، وعلى ما وصفت من أحوالهم، فإني لا أرى لك صحبتهم، ثم قام وخرج<sup>(١)</sup> اهـ.

وذكر التاج السبكي هذه القصة، قال: «وقال الحاكم أبو عبد الله ... وساق القصة بتامها ... ثم قال: وفي رواية أخرى أن أحمد قال: لا أنكر من هذا شيئاً»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ونقل ابن كثير تعليق البيهقي عليها بقوله: «يحتمل أنه كره له صحبتهم؛ لأن الحارث بن أسد وإن كان زاهداً، فإنه كان عنده شيء من علم الكلام، وكان أحمد يكره ذلك. أو كره له صحبتهم من أجل أنه لا يطبق سلوك طريقتهم وما هم عليه من الزهد والورع»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وعلق عليها الإمام تاج الدين السبكي، فقال: «تأمل هذه الحكاية بعين البصيرة، واعلم أن أحمد بن حنبل إنما ليرى لهذا الرجل صحبتهم لقصوره عن مقامهم، فإنهم في مقام ضيق لا يسلكه كل أحد، فيخاف على سالكه، وإلا فأحمد قد بكى وشكر الحارث هذا الشكر، ولكل رأي واجتهاد»<sup>(٤)</sup> اهـ.

فرغم أن المحاسبي رحمه الله تعالى من أهل السنة والجماعة يتناصح عن عقيدتهم ويدافع

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (٨/ ٢١٥)

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٢/ ٢٧٩).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: (١٠/ ٣٦٣) في ترجمة الإمام أحمد.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٢/ ٢٦٩).

الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية عن طريقتهم، إلا أن ذلك لم يمنع الإمام أحمد رحمه الله تعالى من التحذير من مجالسته حتى لا يتأثر الناس بعلم الكلام، فيقع ضعفاء العقول فريسة للشبهات.

وكذلك الآثار المشهورة في مناظرة الإمام أحمد للحسين الكرابيسي<sup>(١)</sup> رحمهما الله تعالى، واحتدام الأمر بينهما.

قال ابن كثير: «أحمد بن حنبل كان تكلم فيه -أي الكرابيسي- بسبب مسألة اللفظ<sup>(٢)</sup>، وكان هو أيضاً يتكلم في أحمد، فتجنبَّ الناس الأخذ عنه لهذا السبب.

قلت [ابن كثير]: الذي رأيتُ عنه أنه قال: كلام الله غير مخلوق من كل الجهات، إلا أن لفظي بالقرآن مخلوق، ومن لم يقل إن لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر.

ثم قال ابن كثير: وهذا هو المنقول عن البخاري وداود بن علي الظاهري. وكان الإمام أحمد يسدُّ الباب في هذا، لأجل حسم مادة القول بخلق القرآن<sup>(٣)</sup> اهـ.

فممن كان يقول بقول الكرابيسي أيضاً: الإمام البخاري والإمام مسلم والحارث

(١) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢/٣١٠): الفقيه البغدادي. سمع الحديث الكثير وصحب الشافعي وحمل عنه العلم، وهو معدود في كبار أصحابه... قال الخطيب البغدادي: كان فهِمًا عالمًا فقيهاً، وله تصانيف كثيرة في الفقه وفي الأصول تدل على حسن فهمه وغازاة علمه. وذكر ابن منده في مسألة الإيمان: أن البخاري كان يصحب الكرابيسي، وأنه أخذ مسألة اللفظ عنه، اهـ. قلت: وقوله في مسألة اللفظ هو الصواب كما أوضح الذهبي. والإمام أحمد إنما هجره ليخلق الباب على من أراد التوصل إلى أن القرآن مخلوق، وسيأتي قول الإمام أحمد في مسألة اللفظ بعد ذلك. وتوفي سنة ٢٤٥ أو ٢٤٨هـ.

(٢) مسألة اللفظ: يُقصد بها تَلَفُّظُ القارئ بكلمات القرآن. فأهل السنة الأشاعرة والماتريدية والمحققون كالبخاري ومسلم والكرابيسي والقلاسي، وحتى الذهبي: على أن ألفاظنا - التي هي خليط من انبعاث الهواء الحامل للصوت من جوفنا وأفواهنا، وممزوجا بحركة اللسان والشفيتين والفكين أثناء تلاوة القرآن - مخلوقة، وليست هي صفة الله تبارك وتعالى، سواء كان المقروء قرآناً أو غيره. ويقابله ما ذهب إليه طوائف من المعتدلة إلى أن ألفاظنا بالقرآن قديمة غير مخلوقة، وأنها هي صفة الله تبارك وتعالى. وما ذهب إليه طوائف أخرى أن القرآن نفسه مخلوق!!

(٣) طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير: (١/١٣٣).

الباب الأول: تمهيد مهم وإطلالة تاريخية مفيدة. ٣٥  
المحاسبي ومحمد بن نصر المروزي<sup>(١)</sup> وغيرهم. وما الفتنة التي حدثت بين البخاري والذهبي<sup>(٢)</sup> إلا بسبب هذه المسألة -مسألة اللفظ بالقرآن- ولقد صنّف الإمام البخاري في هذه المسألة كتابه «خلق أفعال العباد» لإثبات رأيه فيها، والردّ على مخالفه<sup>(٣)</sup>. وأما الإمام مسلم، فقد كان يُظهر القول باللفظ ولا يكتمه<sup>(٤)</sup>.

إذن. نفهم من هذا أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى وغيره من كبار علماء السلف، أرادوا بهجرهم علماء الكلام من أهل السنة أن يغلقوا باب الكلام في الأمور التي يثيرها المبتدعة، ظناً منهم رحمهم الله تعالى أن اجتنابهم إياهم يُثنيهم عن الخوض في مثل هذه الأمور وينزع فتيل الفتنة. ويشهد لهذا الرأي ما قاله الإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

قال الذهبي: «ولا ريب أن ما ابتدعه الكرابيسي وحرّره في مسألة اللفظ وأنه مخلوق هو حق، لكنّ أباهُ الإمام أحمدٌ لثلاثاً يُتدرّع به إلى القول بخلق القرآن، فسُدّ الباب»<sup>(٥)</sup> اهـ.  
 ويشهد لهذا الرأي أيضاً ما روي عن الإمام أحمد نفسه، أنه لا يرى من فرق بين اللفظ والمفوض مبتدعا أو جهميا.

قال الذهبي: «كان هذا الإمام -يعني أحمد- لا يرى الخوض في هذا المبحث، خوفاً من أن يُتدرّع به إلى القول بخلق القرآن.  
 ثم قال: ومعلومٌ أن التلفّظ شيءٌ من كَسْبِ القارئ غيرُ المفوض، والقراءة غير الشيء

- (١) أحد الأئمة المشهورين والعلماء الأكابر في الحديث والفقه والزهد، ولد ٢٠٢هـ وتوفي ٢٩٤هـ. قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (٢/١٦٥): ذكر الخطيب أنه كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم، اهـ.  
 (٢) محمد بن يحيى الذهبي، قال الذهبي في السير (١٢/٢٧٣): الإمام العلامة الحافظ البارع شيخ الإسلام وعالم أهل المشرق وإمام أهل الحديث بخراسان. قال الخطيب: كان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ المتقين. اهـ. قلت: كان من أمراء المؤمنين في الحديث، روى عنه الأكابر في عصره، وأما الإمام مسلم، فقد ترك الرواية عنه، انتصاراً للبخاري في مسألة اللفظ بعدما عرّض الذهبي به، رحم الله الجميع. توفي سنة ٢٥٨هـ.  
 (٣) أهل السنة الأشاعرة، حمد السنان وفوزي العنجري: (٥٣).  
 (٤) سير أعلام النبلاء للذهبي: (١٢/٤٥٣ وما بعدها)، (١٢/٥٧٢).  
 (٥) المرجع السابق: (١١/٥١٠)، (١٢/٨٢).

المقروء، والتلاوة وحسنها وتجويداها غير المتلّو. وصوتُ القارئ من كَسْبِهِ، فهو يُجِدُّ التلفظَ والصوتَ والحركةَ والنطقَ وإخراجَ الكلماتِ من أدواته المخلوقة، ولم يُجِدِّدْ كلمات القرآن ولا ترتيبه ولا تأليفه ولا معانيه<sup>(١)</sup>.

ثم روى الذهبي عن الحاكم بسنده إلى فوران صاحب أحمد أنه قال: سألتني الأثرم وأبو عبد الله المعيطي أن أطلب من أبي عبد الله -يعني الإمام أحمد- خلوة، فأسأله فيها عن أصحابنا الذين يفرقون بين اللفظ والمحكي. فسألته، فقال: القرآن كيف تُصَرِّفَ في أقواله وأفعاله فغير مخلوق، فأما أفعالنا فمخلوقة. قلتُ [فوران]: فاللفظية<sup>(٢)</sup> تعدُّهم يا أبا عبد الله في جملة الجهمية؟ فقال: لا، الجهمية الذين قالوا: القرآن مخلوق<sup>(٣)</sup> اهـ.

وكذلك ما يُروى عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى من ترك الكلام وذم أهله، على ما كان من مناظراتهم.

قال الحافظ الذهبي: «...، الربيع قال: قال لي الشافعي: لو أردت أن أضع على كل مخالف كتاباً لفعلت، ولكن ليس الكلام من شأني، ولا أحب أن ينسب إليّ منه شيء»<sup>(٤)</sup> اهـ.

قال الإمام البيهقي: «إنما أراد الشافعي رحمه الله بهذا الكلام حَفْصًا الْفَرْدَ وأمثاله من أهل البدع، وهذا مراده بكل ما حُكِيَ عنه في ذم الكلام وذم أهله، غير أن بعض الرواة أطلقه، وبعضهم قيده، وفي تقييد مَنْ قَيَّدَهُ دليل على مراده. وعن أبي الوليد بن الجارود قال: دخل حفص الفرد على الشافعي فكلمه، ثم خرج إلينا الشافعي، فقال لنا: لأنَّ يلقى الله العبدُ بذنوب مثل جبال تهامة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرف مما عليه هذا الرجل وأصحابه، وكان يقول بخلق القرآن.

(١) قلت: يقصد بالإحداث التَّبَسُّسُ بالفعل، وليس الإحداث المرادف للمخلوق، بمعنى الإيجاد من العدم كما تقول المعتزلة.

(٢) اللفظية: هم الذين يقولون بقول البخاري وابن كلاب والكرايسي أن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وقد وافقهم الذهبي وابن كثير وعامة المحققين من أهل العلم. وحتى الإمام أحمد في هذا الأثر هنا يوافقهم ولا يبدعهم، لكنه ليرى أن يجب أن يسمعه المتدعة فيجدوا فيه طريقاً لخلطه بمقالتهم أن القرآن نفسه مخلوق.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: (٢٩٠/١١).

(٤) المرجع السابق: (٣١/١٠).

بب الأول: تمهيد مهم وإطلالة تاريخية مفيدة. ثم قال البيهقي: وهذه الروايات تدل على مراده بما أُطلق عنه فيما تقدم وفيما لم يُذكر دهنًا. وكيف يكون كلام أهل السنة والجماعة مذمومًا عنده، وقد تكلم فيه، وناظر من ناظره فيه، وكشف عن تمويه من ألقى إلى سمع بعض أصحابه من أهل الأهواء شيئًا مما هم فيه»<sup>(١)</sup> اهـ.

فالإمام الشافعي رحمه الله تعالى ناظر المبتدعة عندما لم يجد من ذلك بُدًّا، ومناظرته حفص الفرد مذكورة مشهورة عند أهل العلم.

وقال البيهقي أيضًا: «كلم الشافعيُّ يوماً بعض الفقهاء، فدقق عليه وحقق وطالب وضيق -أي الشافعي رحمه الله-، فقيل: يا أبا عبد الله، هذا لأهل الكلام لا لأهل الحلال والحرام، فقال: أحكّمنا ذلك قبل هذا»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال الذهبي: «...، الربيع بن سليمان قال: حضر عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمرو وحفص الفرد، وكان الشافعي يُسميه حفصا المنفرد، فسأل حفص عبد الله: ما تقول في القرآن؟ فأبى أن يجيبه، فسأل يوسف فلم يجبه، وأشار إلى الشافعي، فسأل الشافعي واحتج عليه، فطالت فيه المناظرة، فقام الشافعي بالحجة عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وبكفر حفص»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وكذلك الإمام أحمد رحمه الله تعالى، ناظر من اختبروه من المعتزلة في مسألة خلق القرآن وهو معروض على الشياطين، فكان يبين لمن يسأله بالحجة والدليل العقلي.

قال الذهبي: «قال أبو عبد الله -يعني الإمام أحمد-: قال لي إسحاق بن إبراهيم<sup>(٤)</sup> لا تُعلم أحداً أني سألتك عن القرآن! فقلت له: مسألة مسترشد أو مسألة متعنت؟ قال: بل مسترشد، قلت: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وقال لي: من أين قلت إنه غير مخلوق؟

(١) مناقب الشافعي للبيهقي: (١/٤٥٣-٤٥٤).

(٢) المرجع السابق: (١/٤٥٧).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: (١٠/٣٢).

(٤) أحد أمراء الواثق من بني العباس.





سبب الأول: تمديد مهم وطلالة تاريخية مضيئة. فمن هنا يُعلم أن ما يُروى عن الإمام مالك رحمه الله تعالى في ذم الكلام وأهله، إنما يقصد به كلام المبتدعة وأهل الأهواء لا علم الكلام المدوح، الذي صنف فيه بنفسه، وكان يمدح عليه ابن هرmez شيخه ويصفه بأنه كان بصيرا به ويرد به على أهل البدع<sup>(١)</sup>.

ولا بد أن يصل الباحث المنصف بعد ما ذُكر إلى أنهم رحمهم الله تعالى لم يخوضوا هذا سبحر دون أن تدعو لذلك حاجة. كلا، وحاشاهم أن يتكلموا بشيء سكت عنه الصحابة والتابعون. لكنهم لما رأوا الناس تَقَحَّمُوا هذا الباب، وخاضوا في هذا الأمر وحملوه على غير وجهه، ودعت الحاجة إلى إلجام المبتدعة ونقض حججهم، اضطروا رحمهم الله تعالى إلى تكلام فيه تبيانا للحق، وكففا للناس عن ذلك<sup>(٢)</sup>.

### ظهور الفرق وتميزها:

ومن الضروري التَّوْبِيهُ إلى أنه في تلك الفترة بدأت تظهر التَّسْمِيَّاتُ وتميز الفرق وتنتسب إلى مؤسسيها وكبار شيوخها. حتى أن لقب أهل السنة نفسه بدأ يظهر في هذه لغزات تقريبا، لتمييز به أهل السنة عن غيرهم، بعد أن كان المسلمون ليس لهم اسمٌ غير الإسلام.

ولعل أشهر الفرق التي برزت في تلك الفترة كانت المعتزلة<sup>(٣)</sup>، فقد عبَّأوا من علوم نِغْرِيق الشيء الكثير، وناظروا الملاحدة في بداية أمرهم، وقمعوهم بالحجج العقلية وسكتوا أصواتهم. إلا أنهم أغرقوا في علوم العقل، حتى طَفَّ ميزانهم عند الحكم في تقضايا، وجعلوا العقل حاكما على كل شيء.

(١) التبيان في الرد على من ذم علم الكلام، لجمال صقر: (٤٢).

(٢) أهل السنة الأشاعرة، لحمد السنان، وفوزي العنجري: (٥٦).

(٣) هم عشرون فرقة. وأهم المبادئ التي اجتمعوا عليها: نفى الصفات الأزلية عن الله عز وجل. واستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار. وقولهم بحدوث كلام الله عز وجل، وحدوث أمره ونهيه، وخبره، وقولهم بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس، وأن الناس هم الذين يخلقون أفعالهم. وأن المعاصي والقبائح واقعة بغير إرادة الله ولا مشيئته. راجع الفرق بين الفرق (٩٣-٩٦)، مقالات الإسلاميين (١/٢٣٥-٢٤٩).

ولمَّا افتن الناس بهم لمَّا يستخدمونه من حجج وبراهين عقلية لم يعهدوا المسلمون بتلك الطريقة، اتبعهم بعض خلفاء بني العباس ونصروا مذهبهم، فأصبحت لهم سلطة فكرية وقانونية، وناصرتهم سيوف الخلافة على كل من خالفهم، حتى وقعت الفتنة الكبرى المعروفة بفتنة «خَلَقِ الْقُرْآن»، حيث صمد فيها الإمام أحمد رحمه الله تعالى ومجموعة من العلماء.

ورغم هذا الصمود لمرتته الفتنة، فقد كان الإمام أحمد كما سبق أن أشرنا ينهى عن علم الكلام والخوض فيه، وإن كانت له ردود عليهم إلا أنها أقل من القليل، فلم يندفع انبهار كثير من الناس بالمعتزلة ..

وزاد الطين بلة أن العوام من الناس لما سمعوا كلام المعتزلة ورأوا سكوت عامة العباد والفقهاء وعلماء الحديث الذين كانوا يمثلون أهل السنة في ذلك الوقت، ظنوا أن الحق مع المعتزلة.

وجدير بالذكر أن بعض أهل الحديث كتب تصانيف في بعض المسائل التي أثارها الجهمية والمعتزلة، فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ. بل منهم من تعدى وجاوز الحد أيضاً، فكان على طرف النقيض من المعتزلة.

فالمعتزلة والجهمية بالغوا في نفي الصفات، وقابلهم بعض أولئك بالإغراق في الإثبات، وشبهوا الله تعالى بخلقه، فأثبتوا لله حداً ينتهي إليه، وجهةً يتحيز فيها، ويدين ورجلا وعينين مثل المخلوقين.

كما ظهر محمد بن كزّام<sup>(١)</sup> إمام المَجَسِّمة في خراسان، وأثبت هو وأتباعه لله تعالى الحقائق اللغوية لبعض الألفاظ التي وردت في النصوص مضافة إليه تعالى، كاليد والعين

(١) قال الذهبي في السير (٢٣/١٠٧): السجستاني المبتدع شيخ الكرامية، كان زاهداً عابداً ربانياً، بعيد الصيت كثير الأصحاب، يروي الواهيات، قال ابن حبان: حُذِلَ حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها، ثم جالس الجويباري وابن تميم، ولعلها قد وضعا مائة ألف حديث! وقال خلق من الأتباع له: أن الباري جسم لا كالأجسام. توفي في ٢٥٥هـ.



٤١  
 لباب الأول: تمهيد مهم وإطلالة تاريخية مفيدة. والساق والمجيء والنزول والهرولة، مما يؤهم مشابهة الله تعالى لخلقه، وادعوا أنها صفات له، إلا أنها لا تشبه صفات المخلوقين.

وعنهم أخذ الحشوية<sup>(١)</sup> مذهبهم الباطل في صفات الله تعالى، وأنه تعالى محلّ لحوادث، وأنه يشبه خلقه من وجه ويخالفهم من وجه، وأن المشابهة ليست تامة بينهما. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

## ظهور الإمامين أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي رحمهما الله تعالى:

وفي خضم هذه العواصف المتلاطمة، قيّض الله سبحانه للسنة شيخ الإسلام والملة وناصر الدين أبا الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ورضي عنه، وقد كان معتزلياً في بداياته، وتربى في حجر أبي علي الجبائيّ شيخ المعتزلة، وأخذ عنه الاعتزال وبرع فيه وناب عنه في المناظرة مرات عديدة، حتى أنهم كانوا يعتبرونه خليفة الجبائي، فصارت ملكاته العقلية في أعلى درجات توهجها، وعرف طرق الحجج المعتزلية ورأى هشاشتها لو أحسن خصومهم استعمال العقل وحججه في مواطن الخلاف، وانتدب نفسه لهذه المهمة، فأسكتهم وألغمهم تستتهم في كل مناظرة واجههم فيها.

قال عنه الذهبي: «العلامة إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن حضار، اليماني، البصري، ... وكان عجباً في الذكاء وقوة الفهم،... ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد لمنبر للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم،... قال الفقيه

(١) جاء في شرح المنهاج للإسنوي (١/٣٠٩): اختلف في الحشوية. فقيل: بإسكان الشين، لأن منهم المجسمة، والجسم محشو، والمشهور أنه بفتحها، نسبة إلى الحشا، لأنهم كانوا يجلسون أمام الحسن البصري في حلقة فوجد كلامهم رديئاً، فقال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة، أي جانبها. والجانب يسمى حشاً، ومنه الأحشاء لجوانب البطن.

أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الإمام ابن فورك: «انتقل الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه من مذاهب المعتزلة، إلى نصره مذاهب أهل السنة والجماعة بالحجج العقلية، وصنّف في ذلك الكتب»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال القاضي عياض: «صنف لأهل السنة التصانيف، وأقام الحجج على إثبات السنة، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى ورؤيته، وقدم كلامه وقدرته قال: تعلق بكتبه أهل السنة، وأخذوا عنه، ودرسوا عليه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه، لتعلم تلك الطرق في الذب عن السنة، وبسط الحجج والأدلة في نصر الملة، فسموا باسمه فعرفوا بذلك - أي الأشاعرة...، فأهل السنة من أهل المشرق والمغرب بحججه يحتجون وعلى منهاجه يذهبون. وقد أثنى عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقته»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وقال ابن فرحون: «صنف التصانيف المبسوطة التي نفع الله بها الأمة، وناظر المعتزلة وظهر عليهم...، ولأبي الحسن من التأليف المشهورة كتب كثيرة جدا عليها معول أهل السنة...، ومن وقف على تأليفه رأى أن الله تعالى أيده بتوفيقه»<sup>(٤)</sup> اهـ.

وقال ابن خلكان: «هو صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب السنة»<sup>(٥)</sup> اهـ.

وقال العلامة ابن خلدون: «...، إلى أن ظهر الشيخ أبو الحسن الأشعري، وناظر بعض مشيختهم - أي المعتزلة - في مسائل الصلاح والأصلح<sup>(٦)</sup>، فرفض طريقتهم، وكان على رأي

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: (٨٢/٢٩).

(٢) تبين كذب المفترى على الإمام الأشعري، لابن عساكر: (١٢٧).

(٣) ترتيب المدارك، للقاضي عياض: (٢/٥٢٤-٥٢٥-٥٢٦).

(٤) الديباج المذهب، لابن فرحون: (١/١١٢).

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان: (٣/٢٨٤).

(٦) فقد قالوا أنه يجب على الله تعالى فعل كل ما هو صالح لحلقه، وإذا اجتمع الصالح والأصلح فالواجب عليه فعل الأصلح.

عبد الله بن سعيد بن كلاب وأبي العباس القلانسي والحارث المحاسبي من أتباع السلف،  
وعلى طريقة السنة<sup>(١)</sup> اهـ.

ومنذ ظهور ذلك الرجل وتصديه للمعتزلة، بدأت الكفة تميل تدريجياً إلى أهل السنة. وتَلَمَّذَ على يديه خلق من أكابر علماء أهل السنة الذين أسسوا المدرسة الأشعرية في العقائد بعد ذلك، وأصبح أهل السنة في هذه العصور وما تلاها معروفين باسم الأشاعرة.

فالانتساب إليه رحمه الله تعالى بمنزلة الانتساب إلى الأئمة الأربعة، أي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم في الفروع الفقهية. إذ مع كونهم مختلفين في طرق الاستنباط واستخراج الأحكام، إلا أنهم متفقون على المصادر التي يصدر عنها الموارد التي يردونها. وكذلك الإمام أبو الحسن الأشعري في أبواب أصول الدين، إنما هو آخذٌ من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وسائرٌ على طريق السلف.

فقد أخذ أدلة القرآن والسنة وما تثبته نصوصها من العقيدة الصحيحة، وأيدها بالأدلة العقلية القاطعة. حيث كان أهل البدع في هذا الزمان يستخدمون الأدلة العقلية ويلبسون على الناس عقائدهم، فكان لا بد أن يقوم علماء أهل السنة بالرد عليهم بطريقتهم، حتى لا يظن العوام أن أهل السنة عاجزون عن إثبات عقائدهم بالأدلة العقلية القطعية، أو أن العقل السليم لا يقبل عقيدة أهل السنة.

- فكما أن المسلم المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي يطلق عليه أنه مسلم سُنيٌّ، ولم يطرأ عليه تغيير بسبب انتسابه إلى هؤلاء الأئمة، فكذلك المسلم الأشعري هو من أهل السنة على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى.

فالانتساب إليه رحمه الله تعالى إنما هو من حيث كونه أضاء تلك الطريق ونصب عليها نطقاً وشهرها في الأمة، بعد أن حاول أصحاب البدع والأهواء طمسها<sup>(٢)</sup>.

(١) مقدمة ابن خلدون: (١٥٣).

(٢) أهل السنة الأشاعرة، لحمد السنان، وفوزي العنجري: (٣٤).

قال الإمام البيهقي: «إلى أن بلغت النبوة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري رحمه الله، فلم يُحدث في دين الله حَدَثًا، ولم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين، فنصرها بزيادة شرح وتبيين، وأن ما قالوا وجاء به الشرع في الأصول صحيح في العقول. بخلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضه لا يستقيم في الآراء، فكان في بيانه تقوية [ما لم يُدَلَّ عليه من أهل السنة والجماعة] <sup>(١)</sup>، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة، كأبي حنيفة وسفيان الثوري من أهل الكوفة، والأوزاعي وغيره من أهل الشام، ومالك والشافعي من أهل الحرمين، ومن نحا نحوهم من الحجاز وغيرها من سائر البلاد، وكأحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث، والليث بن سعد وغيره، والبخاري ومسلم وإمامي أهل الآثار وحُفَاط السنن التي عليها مدار الشرع، رضي الله عنهم أجمعين» <sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال الإمام ابن عساکر: «وهم - يعني الأشاعرة - المتمسكون بالكتاب والسنة، التاركون للأسباب الجالبة للفتنة، الصابرون على دينهم عند الابتلاء والمحنة، الظاهرون على عدوهم مع أطراح الانتصار والإحقة، لا يتركون التمسك بالقرآن والحجج الأثرية، ولا يسلكون في المعقولات مسالك المعطلة القدرية. لكنهم يجمعون في مسائل الأصول بين الأدلة السمعية وبراهين العقول، ويتجنبون إفراط المعتزلة ويتكفون طرق المعطلة، ويَطْرِحون تفريط المُجَسِّمة المُشَبَّهة، ويفضحون بالبراهين عقائد الفرق الموهَّمة، وينكرون مذاهب الجهمية، وينفرون عن الكرامية والسالمية، ويَطْلُون مقالات القدرية ويردُّون شبه الجبرية.

فمذهبهم أوسط المذاهب، ومشرَّبهم أعذب المشارب، ومنصبهم أكرم المناصب، ورتبتهم أعظم المراتب. فلا يؤثر فيهم قرح قاذح، ولا يظهر فيهم جرح جارح» <sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) هكذا نقلها ابن عساکر في التبيين والتاج السبكي في الطبقات، أو هكذا طُبعت، ولا أرى معناها يتماشى مع السياق. ولرأى أحدها ذرًا للثمة بالتصرف على حسب الهوى. ولعل الإمام البيهقي يريد أن الأشعري أرشد الله به الأمة لنصرة عقائد أهل الحق بطريقة لم يسبق إليها من أحد من علماء أهل السنة رحمهم الله تعالى ورضي عنهم جميعاً، والله تعالى أعلم.

(٢) تبين كذب المفتري لابن عساکر: (١٠٣)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٣/٣٧٩)، وانظر: أهل السنة الأشاعرة، لحمد السنن، وفوزي العنجري: (٣٥).

(٣) تبين كذب المفتري لابن عساکر: (٣٩٧)، وانظر: أهل السنة الأشاعرة، لحمد السنن، وفوزي العنجري، ص: (٣٧).

ويشير الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى في آخر هذه الفقرة إلى ما لا كتته السنة بعض القادحين والجارحين له ولمذهبه، سواء كانوا من أولئك الذين ينتسبون لأهل السنة ولم يفهموا طريقته لنقص معرفتهم وعدم إلمامهم بعلوم الحجاج ومناظرة الملحدين وأهل البدع، أو كانوا من أهل البدع والضلالات الذين كشف زيف مقالاتهم ورأوا في طريقته ومذهبه ما يتقوض دعائم مذاهبهم.

وفي هذا المعنى قال الإمام الزركشي: «ولا التفات لما نسبته إليه الكرامية والحشوية، فلقوم أعداء له وخصوم، وهو إما مفتعل، أو لم يفهموا مراده»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقريب من الوقت الذي ظهر فيه أبو الحسن الأشعري، قيص الله الإمام أبا منصور مَشْرِيدِي الحنفي<sup>(٢)</sup> كذلك لأهل السنة في بلاد ما وراء النهر ليقوم بنفس الدور.

قال العلامة كمال الدين البياضي: «الماتريدي مفصل لمذهب الإمام -يعني الإمام أبا حنيفة- وأصحابه، المُظهِرين لمذهب أهل السنة، فلم يخلُ زمان من القائمين بنصرة الدين وإظهاره»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وقال الأذنوي: «إمام الهدى والدين، كان إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين، نصره الله بالصراط المستقيم، فصار في نصرة الدين القويم. تفقه عليه الحكيم السمرقندي وفقهاء ذلك العصر»<sup>(٤)</sup> اهـ.

(١) تشنيف المسامع للزركشي: (٤/٢٦٢).

(٢) إمام أهل السنة والجماعة، وأحد من أجمع الأكابر من علماء هذه الملة على رئاسته وصحة اعتقاده وإمامته للمسلمين. قال عنه ابن قطلوبغا في تاج التراجم: (١/٢٠): إمام الهدى. اهـ. وقال عبد الله المراغي في الفتح المبين (١/١٩٣): كان أبو منصور قوي الحججة، فحجا في الخصومة، دافع عن عقائد المسلمين، ورد شبهات الملحدين، اهـ. وقال أبو الحسن الندوي في رجال الفكر والدعوة (١٣٩): جهذ من جهابذة الفكر الإنساني، امتاز بالذكاء والنبوغ وحذق الفنون العلمية المختلفة، اهـ. توفي بسمرقند سنة ٣٣٣هـ.

(٣) إشارات المرام من عبارات الإمام، للبياضي، ص: (٢٣).

(٤) طبقات المفسرين للأذنوي: (١/٦٩).

الانتصر لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية

ويظهر هذين الإمامين الكبيرين بدأ اهتمام علماء أهل السنة والجماعة بعلم الكلام يأخذ منحى أكثر عمقا وتخصصا، فكانوا يواجهون شبهات المبتدعة بأدلة وبراهين يتضافر فيها العقل والنقل، فلا تستطيع المبتدعة معها تضليل الناس والتلبس عليهم.

فلا تكاد بعد ذلك تجد عالما من أكابر المسلمين إلا وهو أشعري أو ماتريدي. والماتريدي يسمون الأحناف أيضا، لأنهم على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في العقائد والفروع.

قال المرتضى الزبيدي: «وَلْيُعْلَمَ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْإِمَامِينَ أَبِي الْحَسَنِ وَأَبِي مَنْصُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَجَزَاهُمَا عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا لِمُتَّبِعِيهِمَا مِنْ عِنْدَهُمَا رَأْيًا، وَلَمْ يَشْتَقَّا مَذْهَبًا، وَإِنَّمَا هُمَا مُقَرَّرَانِ لِمَذَاهِبِ السَّلَفِ، مُنَاضِلَانِ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَازِرًا كُلُّ مَنْهَا ذَوِي الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ حَتَّى انْقَطَعُوا وَوَلُوا مِنْهَزِمِينَ»<sup>(١)</sup> اهـ.

واستقر الحال على هذا الأمر، وتخرج عظماء المسلمين من العلماء والقضاة والأمراء والخلفاء والقواد والولاة على هاتين المدرستين العقائديتين.

### التجسيم يعلن عن نفسه:

ولم يكن يعكّر هذا الاستقرار بعد كسر شوكة المعتزلة إلا ظهور بعض الأغرار من أتباع مذهب الحشو والتجسيم على فترات متباعدة، وكان أكثر أتباع هذا المذهب من الحنابلة بعد وفاة الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

فقد فهموا بعض العبارات عنه بصورة خاطئة، لاقتصاره رضي الله عنه على الوارد فقط أثناء محنته في القول بخلق القرآن، فظنوا أنه يأخذ بالظواهر، ثم نسبوا إليه مذهبهم في التجسيم والتشبيه، واتبعوا تلك المقالة على أنها مذهب الإمام، والإمام منهم بريء.

وربما كثرت أتباع هذا المذهب من الحنابلة؛ لأن مذهبهم ابتلي بخوض عدد من علمائهم

(١) إتحاف السادة المتقين للمرتضى الزبيدي: (٧/٢). وانظر: أهل السنة الأشاعرة، لحمد السنان، وفوزي العنجري، ص: (٣٧).

الباب الأول: تمهيد مهم وإطلالة تاريخية مفيدة  
 في التجسيم، على عكس المذاهب الأخرى، التي لم يتكلم علماءها عن هذه المسائل بالطريقة التي تكلم بها بعض علماء الحنابلة.

يقول الحافظ ابن الجوزي الحنبلي: «ورأيت من أصحابنا -يعني الحنابلة- من تكلم في الأصول بما لا يصلح، فصنفوا كتباً شأنوا بها المذهب. وقد نصحت التابع والمتبوع، فقلت لهم: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول وهو تحت السياط: «كيف أقول ما لم يُقَلَّ». فلا تُدْخِلُوا في مذهب الرجل الصالح السلفي ما ليس منه، فلقد كسبتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً، حتى لا يقال حنبلي إلا مُجَسِّم. وقد كان أبو محمد التميمي<sup>(١)</sup> يقول في بعض أئمتكم: لقد شأن المذهب شيئاً قبيحاً لا يُغسل إلى يوم القيامة!!»<sup>(٢)</sup> اهـ.

فآفة هؤلاء القوم آفة مركبة. فقد اعتنقوا التجسيم أولاً، ثم ادّعوا أنه مذهب الإمام أحمد وأهل الحديث والسلف الصالح من الصحابة والتابعين ثانياً، والثالثة أنهم آذوا الناس في ذلك في مناطق نفوذهم، كما فعل المعتزلة من قبلهم، فمن سلّم من سيوفهم لم يسلم من ألسنتهم. لأنهم يتهمونه في دروسهم ومصنفاتهم بأنه على خلاف ما كان عليه السلف الصالح، وخلاف ما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل!!

وسجّل التاريخ ما فعلوه بالإمام الكبير محمد بن جرير الطبري<sup>(٣)</sup> شيخ المفسرين

(١) رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، ولد سنة ٤٠٠هـ. قال الذهبي في السير (١٨/٦٠٩): قال السمعاني: هو فقيه الحنابلة وإمامهم، قرأ القرآن والفقه والحديث والأصول والتفسير والفرائض واللغة والعربية، وعمر حتى قُصد من كل جانب، وكان مجلسه جم الفوائد. وقال ابن ناصر: ما رأينا مثله، وكان مقدماً وهو ابن عشرين سنة، وكان ذا قدر رفيع عند الخلفاء اهـ. قلت: هو وأبوه وعمه وجده من مشاهير علماء الحنابلة ومقدميهم. توفي سنة ٤٨٨هـ، وانظر طبقات الحنابلة (٢/٢٤٨).

(٢) دَفَعُ شُبُهَيْهِ التَّشْبِيهَ لابن الجوزي بتحقيق الكوثري، ص: (٦-٩).

(٣) قال الخطيب في تاريخ بغداد (٢/١٦٣): أحد أئمة العلماء، قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان بصيراً بالعاني فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم. وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء. وقال ابن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلَّمَتُهُ الحنابلة. اهـ. توفي سنة ٣١٠هـ.

٤٨ الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية  
والفقهاء وأهل الحديث، وإمام أهل السنة في عصره رحمه الله تعالى. فقد حبسوه في منزله  
ومنعوا الناس من الدخول عليه حتى توفي فيه، ومنعوا من دفنه نهاراً، فدفنه أهله ليلاً في بيته  
رحمه الله تعالى!!

قال الحافظ الذهبي: «قال حُسَيْنُكَ النيسابوري<sup>(١)</sup>: أول ما سألني ابن خزيمة قال:  
كتبت عن محمد بن جرير؟ قلت: لا، قال: ولر؟ قلت: لأنه كان لا يظهر، وكانت الحنابلة تمنع  
الناس من الدخول عليه. فقال: بئس ما فعلت، ليتك لم تكتب عن كل من كتبت عنهم  
وسمعت منه»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير: «كان قد وقع بينه -الطبري- وبين الحنابلة، أظنه بسبب مسألة  
اللفظ<sup>(٣)</sup>، واتهم بالتشيع، وطلبوا عقد مناظرة بينهم وبينه، فجاء ابن جرير لذلك ولم يجيء  
منهم أحد!.

وقد بالغ الحنابلة في هذه المسألة وتعصبوا لها كثيراً، واعتقدوا أن القول بها يفضي إلى  
القول بخلق القرآن، وليس كما زعموا، فإن الحق لا يُتخاطب له بالباطل، والله أعلم»<sup>(٤)</sup> اهـ.

وقال العلامة ابن الأثير: «توفي محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ببغداد ودفن  
ليلاً بداره، لأن العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً، وأدعوا عليه الرفض، ثم ادعوا عليه  
الإلحاد!! وهكذا ذكره ابن مسكويه صاحب تجارب الأمم. وحوشي ذلك الإمام عن مثل

(١) قال الذهبي في السير (٣١/٤٨١): الإمام الأئبل الحافظ القدوة، الحسين بن علي بن محمد بن يحيى التميمي  
النيسابوري، تربى في حجر ابن خزيمة وكان يقدمه حتى على أولاده. قال الحاكيم: الغالب على سعاته  
الصدق. توفي سنة ٣٧٥ هـ.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: (٢٣/٢٨١)، حوادث سنة ٣١٠ هـ.

(٣) سبق الكلام عنها.

(٤) طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير: (١/٢٢٦). وانظر محنة ابن جرير مع الحنابلة في البداية والنهاية لابن  
كثير: (١١/١٤٥)، الكامل في التاريخ لابن الأثير: (٧/٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي: (١٤/٢٧٢-  
٢٧٧)، الوافي بالوفيات للصفدي: (٢/٢٨٤).



ألبب الأول: تمهيد مهم وإطالة تاريخية مفيدة ﴿٤٩﴾  
 هذه الأشياء. وأمّا ما ذكره عن تعصّب العامّة، فليس الأمر كذلك، وإنّما بعض الحنابلة  
 تعصّبوا عليه ووقعوا فيه، فتبعهم غيرهم»<sup>(١)</sup> اهـ.

وعُرفوا في مصنفات أهل العلم بالمجسمة والمشبهة والحشويّة -بفتح الشين أو  
 سكونها، كلاهما منقول عن أهل العلم-. وقد كانوا يشاغبون الأشاعرة ومن ذهب مذهبهم  
 في تنزيه الله تعالى عن الجسمية ومشابهة خلقه، ويفتعلون الفتن والاضطرابات.

ومن ذلك ما حكاه ابن كثير، قال: «وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي  
 الحنبلي وبين طائفة من العامة، اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا  
 مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فقالت الحنابلة: يُجلسه معه على العرش!! وقال الآخرون: المراد  
 بذلك الشفاعة العظمى. فأقتلوا بسبب ذلك ووقع بينهم قتلى، فإنّا لله وإنا إليه راجعون. وقد  
 ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة في فصل  
 القضاء بين العباد»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقد آذوا عددا كبيرا من رءوس علماء الأمة بسبب خلافهم معهم في تنزيه المولى تبارك  
 وتعالى عن مشابهة خلقه، فمنهم من نُفي وشرّد وحبس، كالبخاري ومسلم والترمذي وابن  
 حبان، ومنهم من كانوا على وشك سفك دمه رحمهم الله جميعا<sup>(٣)</sup>.

- ورغم ثوراتهم وإيذائهم للعلماء من أهل السنة المخالفين لهم، إلا أنه لم يكن لهم  
 خطر يُذكر على عقائد المسلمين في وجود هذه الكثرة من العلماء الراسخين في علوم العقائد،  
 فما كانوا يتفضون إلا ويقمعهم الله تعالى على يد عالم أو سلطان. ومناظرات الإمام فخر

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، حوادث سنة ٣١٠ هـ: (٨/٧).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١١/١٦٢)، حوادث سنة ٣١٧ هـ. قلت: ولاحظ أن ابن كثير يرفض تفسيرهم،  
 ويحيل الفهم إلى تفسير البخاري للمقام المحمود بأنه الشفاعة.

(٣) تجرد ذلك كله في تراجمهم، وقد اعتنى الذهبي وابن الأثير والتاج السبكي وابن كثير وابن حجر بذكر تلك  
 الوقائع مفصلة، ولولا خوف الإطالة لقلنتها جميعا مفصلة.

الدين الرازي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى معهم في بلادهم أشهر من التنويه إليها، فقد كان شجراً في حلق أولئك المبتدعة، ويوم مات كانوا أكثر الناس فرحاً وشماتة فيه!

وجادتهم سلطان العلماء العز بن عبد السلام<sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى في أواخر أيام الأيوبيين<sup>(٣)</sup>، وأوذي منهم حتى أنهم كانوا قد أوشكوا على سفك دمه، وادعوا عليه أشياء باطلة عند السلطان ليتخلصوا منه. فلما ناظرهم رحمه الله أمام العلماء والسلطان، أقام عليهم الحجة وعصصهم بريقتهم<sup>(٤)</sup>.

(١) قال ابن العماد في الشذرات (٢٠/٥): العلامة المفسر المتكلم صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة ٥٤٤ هـ وكان صاحب وقار وحشمة. إذا ركب مشى معه نحو الثلاثمائة مشتغل على اختلاف مطالبتهم في التفسير والفقه والكلام والأصول والطب وغير ذلك. وكان فريد عصره ومتكلم زمانه، زرق الحظوة في تصانيفه وانتشرت في الأقاليم، وكان له باع طويل في الوعظ فيكي كثيراً في وعظه. اهـ. وقال ابن خلكان في الوفيات (٢٤٨/٤): كان يلقب في هراة بشيخ الإسلام. قلت: ولم يفرح أهل البدع من المجسمة والمعطلة وسائر النحل بموت أحد مثلاً فرحوا بموته، وهو من ذرية الصديق رضي الله عنه. انظر ترجمته أيضاً في الأعلام (٣١٣/٦)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/٨٠)، وطبقات المفسرين للسيوطي (١٠٠)، وغيرها.

(٢) شيخ الإسلام وسلطان العلماء، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي. أحد من بلغ رتبة الاجتهاد المطلق، ومن كانت تهمز لكلماتهم عروش السلاطين. بلغ من جرأته في الحق أنه رفض إنفاذ تعاملات سلاطين وأمراء دولة المماليك إلا بعد أن يباعوا في سوق العبيد ويعتقهم من يشتر ونهم ليصبحوا أحراراً وتصح معاملاتهم. وهو أحد العلماء المجاهدين بالسيف والقلم رحمه الله تعالى. توفي سنة ٦٦٠ هـ. قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/٩٩٥): الشيخ الإمام المجمع على إمامته وجلالته وتمكنه في أنواع العلوم وبراعته، اهـ.

(٣) يُنسبون إلى أيوب بن شادي. أصلهم من قرية دوين في شرقي أذربيجان، وهم بطن من الأكراد. أبلوا في خدمة الإسلام بلاءً حسناً في كنف آل زنكي، ثم صارت لهم دولة بعد موت الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ٥٦٩ هـ. أول ملوكهم السلطان الشهير الكبير الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي قاتل الفرنج في حطين واستخلص بيت المقدس، ثم ساءت أحوالهم بعده واستقل كل منهم بناحيته وقاتل بعضهم بعضاً حتى تحالف بعضهم مع الفرنجة والتآر على بني عمه وإخوته. وكانت دولتهم في أقصى اتساعها تضم مصر والشام والحجاز وأجزاء من العراق وتركيا واليمن وليبيا. وآخر ملوكهم الملك المقتول توران شاه الملقب بالمعظم بن الصالح نجم الدين أيوب. قتله مماليك أبيه سنة ٦٤٨ هـ وقامت بعده دولة المماليك المشهورة.

(٤) طبقات الشافعية، لتأج الدين السبكي: (٨/٣١٢).

## بن تيمية رحمه الله تعالى ونصرته لمذهب المجسمة:

ثم جاء القرن السابع الهجري وحمل في أحشائه إحدى أكبر فتن الحشوية، حيث أثارها شيخ تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية. ولولا خوضه في تلك المسائل وانخراطه في تجسيم ونصرته له لكان من أفراد أئمة هذه الأمة.

وستعرض لذكره إن شاء الله في هذا الكتاب، لأن كلامه أصبح عند أتباعه من مجسمة والحشوية - خاصة المتأخرين والمعاصرين - فوق كل كلام، ورأيه فوق كل رأي، دنه قرآنٌ مُنزلٌ يُحتج به على من خالفه! فيحاكمون آراء العلماء من السلف والخلف يسبقين واللاحقين إلى رأيه، فما وافق رأيه قبلوه وما خالف رأيه رفضوه ونبذوه، وربما تنعروا على قائله، ولا يرون أحدا من علماء المسلمين غيره هو وتلاميذه، ولا سيما الشيخ ابن تيميم، الذي كان أيضا كأستاذه، ولولا عقيدته تلك لكان من أعظم علماء المسلمين.

ولقد كان ابن تيمية رحمه الله تعالى ذا لسان ذلق فصيح، وصاحب نفسٍ طويل في كتابة، ينتقل فيها من وجه إلى وجه بمرونة قل أن توجد عند كثير من العلماء، ولولا عقيدته لأجمعت الأمة بأسرها على إمامته وتقدمه، لكن الكمال لله وحده عز وجل.

وكان له ذهن سيال وبديهة حاضرة قوية مكنته من جمع الكثير من الأفكار والنظريات وخلطها مع بعضها البعض لنصرة مذهبه الذي عاش أغلب عمره ينافح عنه. فكان رحمه الله بمثابة مجددٍ يقوم بتشذيب وترتيب مذهب التجسيم، إلا أنه كان أظن ممن قبله وأكثر ذكاء. ونيس أدل على ذلك من أنه حاول أن يستدرج قواعد علم الكلام لمذهبه في مناقشات طويلة مع أهل السنة. لكن خروق مذهب التجسيم استعصت على كل محاولات الترقيع والترميم.

وحدة ذكائه وسيلان ذهنه جره بعد ذلك إلى العجب والاعتداد بالنفس إلى حد بعيد كما ذكر الذهبي رحمه الله تعالى في «زغل العلم والطلب». فقد انزلق ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد شدوذاته العقائدية في شدوذات واختيارات أخرى فقهية انفرد بها عن جمهور المسلمين، بل وخرق الإجماع في بعضها، ثم تعدى الأمر وزاد بعد ذلك إلى طعنه في العلماء وعدم الاكتراث بهم، سواء من القدامى أو من المعاصرين له، طالما خالفوا فكرته. وليس أدل على

ذلك من كلام ابن تيمية نفسه، عن إحدى المرات التي تم استدعاؤه فيها لعقد مناظرة مع مخالفه من علماء عصره رحم الله الجميع.

قال ابن تيمية: «فإنه في آخر شهر رمضان سنة ٧٢٦هـ جاء أميران رسولين من عند الملأ المجتمعين، من الأمراء والقضاة ومن معهم،... ثم قال: فأخذوا الجواب وذهبوا، فأطالا الغيبة، ثم رجعا ولريأتيا بكلام مُحْصَلٍ إِلَّا طَلَبَ الْحَضُورَ، فَأَغْلَظْتُ لَهُمْ فِي الْجَوَابِ وَقَلْتُ لَهُمْ بِصَوْتِ رَفِيعٍ: يَا مَبْدِلِينَ، يَا مَرْتَدِينَ عَنِ الشَّرِيعَةِ، يَا زَنَادِقَةَ!!!»<sup>(١)</sup> اهـ.

فَمَنْ هُمُ الْمَعْنِيُّونَ بِأَنَّهُمْ مَبْدِلُونَ وَمَرْتَدُونَ عَنِ الشَّرِيعَةِ وَزَنَادِقَةٌ؟؟ الأُمِيرَانِ الْمُرْسَلَانِ مِنْ قِبَلِ الْمَلَأِ؟ أَوِ الْمَلَأُ الَّذِينَ أَرْسَلُوا الرُّسُولِينَ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ مَعَهُمْ؟<sup>(٢)</sup>.

وقال الذهبي: «فوالله ما رمقت عيني أوسع علما ولا أقوى ذكاءً من رجل يقال له ابن تيمية، مع الزهد في المأكل والملبس والنساء، ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن. وقد تعبت في وزنه وَفَتَّشْتَهُ<sup>(٣)</sup> حتى مللت في سنين متطاولة. فما وجدتْ أَخْرَهُ بين أهل مصر والشام وَمَقَّتَهُ نفوسهم وَأَزْدَرَوْا به وكذبوه وكفروه إلا الكبر والعجب وفرط الغرام في رئاسة المشيخة والازدراء بالكبار. فانظر كيف وبال الدعاوى ومحبة الظهور، نسأل الله المسامحة»<sup>(٤)</sup> اهـ.

(١) التسعينية لابن تيمية: (٢-٤)، إقامة الدليل على إبطال التحليل لابن تيمية (١/٣٧٣)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/٣٢٦).

(٢) عقائد الأشاعرة لصلاح الدين الإدليبي، ص: (٢٢).

(٣) أي التفتيش في حاله.

(٤) بيان زغل العلم والطلب للذهبي: (١٧-١٨)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي: (٧٧). حقق الشيخ محمد بن ناصر العجمي هذه الرسالة وبيّن ثبوتها ضمن سلسلة «ذخائر التراث» ط مكتبة الصحوة الإسلامية. وتسمى رسالة الذهبي هذه «فيا يُدْمُ ويعاب في كل طائفة». وأما مخطوطات الرسالة: فقد ذكر محقق كتاب «التمسك بالسنن» للذهبي: (٩): «بيان زغل العلم» ذكره د. بشار عواد برقم (١١٩)، وذكر له نسخة برلين. وعُثِرَ له على نسختين أخريين: أولاهما: في مكتبة الأحقاف بتريم، وعنها صورة في معهد المخطوطات في الكويت تحت رقم (١٨١). والأخرى: في إحدى مكتبات اليمن، وعنها صورة في قسم المخطوطات في عمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية تحت رقم (٢٥٤). وقد ذكرها عدد من ترجم =

الباب الأول: تمهيد مهم وإطلالة تاريخية مفيدة  
فقد كان أكثرُ الناس إنصافاً لابن تيمية رحمه الله هم معاصريه من أهل العلم، حيث حاسبوه على أخطائه، وحاكموه على قدر ما صدر منه، في الوقت الذي لم يخسوه حقه من المدح والإطراء بفطر ذكائه وكثرة محفوظاته وغيرها مما كان يمتلكه من المواهب.

وليس الأمر كما يشيع أدعياء السلفية اليوم، أن العلماء جميعاً حسدوه ونافسوه وكرهوه وكلاماً من هذا القبيل، حتى إن الإنسان لَيُظَنُّ لتلك الأكاذيب أن جميع علماء عصره كانوا شياطين فجرة، لا ضمير لهم ولا أخلاق، ولم يكن هناك أصحاب ضمير إلا ابن تيمية وحده وتلاميذه!! فحاشاهم من ذلك ثم حاشاهم رحمهم الله تعالى.

فَهَبْ أن واحداً أو اثنين أو خمسة من الشيوخ حسدوه أو كرهوه، فهل يصح اتهام كل شيوخ الإسلام الذين عاصروه بذلك؟ بل إن انقلاب جميع علماء عصره عليه أمانة وعلامة واضحة أنه ارتكب خطأ فادحاً لم يمكن للعلماء السكوت عليه، وفي طليعتهم من أحبه وناصره كأبي حيان<sup>(١)</sup> والذهبي وغيرهما، رحم الله الجميع.

ونعرض هنا مواضع من الرسالة المشهورة بالنصيحة الذهبية، وقد أرسلها الحافظ الذهبي إلى شيخه ابن تيمية، حتى يتبين للقارئ مدى انحراف أصحابه المحبين له عنه بعد نصرتهم له، لا سيما بعد أن عرفوا ما آل إليه حاله وما تبوح به أقواله. وقد أرسلها إليه الذهبي بعد دخول ابن تيمية في شرح السبعين من العمر، مما يدل على أنه غير رأيه فيه.

= للذهبي رحمه الله كالحافظ السخاوي والحافظ ابن حجر في إنباء الغمر عند ترجمته لبهاء الدين العسقلاني. فقال ابن حجر: وقد بالغ الذهبي في الثناء عليه في كتابه بيان زغل العلم، وفي غيره، قال (١/٦٨-١٦٩): وكان شيئاً عجيباً في الزهد والانجماع وقول الحق، اهـ. ولينظر مقدمة السير للذهبي بتحقيق بشار عواد معروف (١/٨٣). وانظر: التعليقات الجلية على النصائح الذهبية لغيث الغالبي، ضمن مجموعة: رسائل في تدعيم ثوابت الصحوة الإسلامية: [مشاعل للتحوّل من ولاء لأشخاص إلى ولاء للحق].

(١) محمد بن يوسف بن علي الأندلسي. قال ابن حجر في الدرر (٦/٥٨): كان ثباتاً فيما ينقله، عارفاً باللغة، وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيها، خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يُذكر أحد في أقطار الأرض فيها غيره، وله اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم. أقرأ الناس قديماً وحديثاً حتى ألحق الصغار بالكبار، وصارت تلامذته أئمة وأشياخاً في حياته، اهـ. توفي سنة ٦٤٥هـ.

يقول الذهبي: «إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك؟ إلى كم

تمدح نفسك وشقأشِقَكَ وعبارتك، وتذم العلماء وتتبع عورات الناس؟! أعرف إنك تقول لي تدفع عن نفسك: إنما الوقعة في هؤلاء الذين ما شمو رائحة الإسلام، ولا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ<sup>(١)</sup>!!

ويقول فيها أيضا: يا رجل، بالله عليك كف عنا، فإنك مَجْجَاجٌ عليم اللسان، لا تقر ولا تنام، إياكم والأغلوطات في الدين.

ويقول: إن سَلِمَ لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد. يا خيبة من اتبعك، فإنه معرَّضٌ للزندقة والانحلال، ولا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليا شهوانيا. لكنه ينفَعك ويجاهد عنك بيده ولسانه، وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه!

ويقول: إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح بها -والله- أحاديثَ الصحيحين. يا ليت أحاديثَ الصحيحين تسلم منك، بل في كل وقت تُغَيِّرُ عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار. أما أن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنب؟ أمّا أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل، فما أظنك تُقْبَلُ على قولي ولا تصغي إلى وعظي، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لي أذنان الكلام. فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشَّفُوقُ المحب الوادّ، فكيف يكون حالك عند أعدائك؟! وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعورٌ وبقر!!<sup>(٢)</sup> اهـ.

(١) يقصد العلماء الذين ناظروه وناقشوه وخالفوه في ما كان يقول ويعتقد!!

(٢) من صورة لمخطوط الرسالة الموجودة في دار الكتب المصرية تحت رقم إيداع (١٨٨٢٣)، نقلها ابن قاضي شهبه من خط البرهان ابن جماعة عن خط الحافظ صلاح الدين العلائي من الرسالة المكتوبة بخط يد الذهبي. فقد ذكر الدكتور بشار عواد معروف البغدادي في كتابه «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام»: أن النسخة التي هي بخط الحافظ ابن قاضي شهبه مخطوطة في دار الكتب المصرية ورقمها (١٨٨٢٣ ب)، وقال: إن منها نسخة بدار الكتب الظاهرية، ورقمها (١٣٤٧). وقد ذكر ابن قاضي شهبه في صدر الرسالة: أنه نقلها من خط البرهان بن جماعة، المنقول من خط الحافظ أبي سعيد صلاح الدين بن العلائي، المكتوب من خط مرسلها الشيخ شمس الدين الذهبي، وهذا سند عظيم حافل بالعلماء الأثبات =

والذهبي تلميذ لابن تيمية وأي تلميذ، لقد كان تلميذاً مفتوناً معجباً بأستاذه وشيخه  
يافته وإعجاب. وترجمته له في كتبه تشهد بذلك وتفصح عنه.

وصدور مثل هذه الرسالة منه لابن تيمية، معناه أن ابن تيمية تنكّب طريق الجادة  
وحاد عن الصواب، فاجتلب على نفسه ملامة الأحاب قبل الخصوم.

فهل يقول الذين يرفعون ابن تيمية إلى درجة من القداسة لا مثيل لها أن الحافظ  
نذهبي كان من الحاقدين عليه والناقمين منه؟ وهل يصح بعد ذلك إلقاء الكلام على  
عواهنه، واتهام علماء الإسلام بأنهم كانوا مجرد حاقدين وحاسدين معدومي الضمائر؟  
سبحانك هذا بهتان عظيم!

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة ابن تيمية: «في شهر ربيع الأول سنة  
٦٩٨هـ قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحموية، وبحثوا معه ومُنِع من الكلام.

= الثقات. فأثبته عدد من أهل العلم ولم يُعرجوا على أقوال المشككين بها لضعف الشكوك وركاكة.  
والحافظ السخاوي ذكر تلك الرسالة كذلك في كتابه الإعلان بالتويخ (ص ٧٧) وقال عنها: «وقد رأيت  
له - أي للذهبي - عقيدة مجيدة ورسالة كتبها لابن تيمية هي لدفع نسبتها لمزيد تعصبه مفيدة»، ولا  
يمكن أن يقصد بها رسالة زغل العلم، لأن رسالة زغل العلم غير موجهة لابن تيمية بخلاف النصيحة  
الذهبية فهي صريحة في المناصحة لشيخه رحمها الله تعالى، اهـ. ومن أثبتها الدكتور المحقق: صلاح الدين  
المنجد الذي ألحق الرسالة بكتابه: «شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين»، ثم قال معلقاً  
عليها: «شك بعضهم في نسبة هذه النصيحة للذهبي، ولا شك عندنا أنها له. فقد نُقلت مخطوطاتها من خط  
الذهبي، ولم ينكرها أحد من العلماء الذين نقلوها، كتقي الدين بن قاضي شعبة وغيره. ثم إن هذا هو  
أسلوب الذهبي عندما يُهاجم، ويبدو أنه كتبها في آخر عمره. ولم يثن أحد على الشيخ كثناء الذهبي عليه،  
لكنه انتقده بعد ذلك في بعض الأمور جاً له، وإشفاقاً عليه»، اهـ. ومنهم: الدكتور المحقق بشار عواد  
معروف، الذي قال في كتابه: «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» وهو يتحدث عن انفراد السخاوي  
بذكر بعض آثار الذهبي: «وهو الوحيد الذي أشار إلى رسالة الذهبي إلى ابن تيمية، مما وثق نسبتها إليه، لا  
سيما وقد شك فيها غير واحد»، اهـ. ثم أوردها الدكتور بشار في عداد آثاره، وقال: «وذهب بعضهم إلى  
القول بأنها مزورة، ولا عبرة بذلك»، اهـ. وكرر ذلك في مقدمته على (سير أعلام النبلاء) قائلاً: «وأرسل  
إليه نصيحته الذهبية التي يلومه ويتقد بعض آرائه وآراء أصحابه بها»، اهـ. وكذلك قطع بنسبتها عدد من  
العلماء. وانظر: التعليقات الجلية على النصائح الذهبية لغيث الغالبي، ضمن مجموعة: رسائل في تدعيم  
ثوابت الصحوة الإسلامية: [مشاعل للتحويل من ولاء لأشخاص إلى ولاء للحق].

الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السنة.

ووصل إلى دمشق في آخر سنة ٧١٢هـ، وكان السبب في هذه المحنة أن مرسومه السلطان ورد على النائب بامتحانه في مُعْتَقَدِهِ، لما وقع إليه من أمور تُتَكَرَّرُ في ذلك، فَعَقَّدَهُ مجلس في سابع رجب وسئل عن عقيدته، فأملئ منها شيئاً،...، ثم احتضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فُقِّرَىَّ منها وبحثوا في مواضع، ثم اجتمعوا في ثاني عشره وقرروا الصَّفِيَّ الهندي<sup>(١)</sup> يبيح معه، ثم أخروه وقدموا الكمال الزملكاني<sup>(٢)</sup>، ثم انفصل الأمر على أنه شهد على نفسه أنه شافعي المعتقد<sup>(٣)</sup>. وتعصب سلار -نائب السلطنة- لابن تيمية<sup>(٤)</sup>، وأحضر القضاة الثلاثة -الشافعي والمالكي والحنفي- وتكلم معهم في إخراجهم، فاتفقوا على أنهم يشترطون فيه شروطاً، وأن يرجع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه مرات فامتنع من الحضور إليهم واستمر، ولم يزل ابن تيمية في الجب إلى أن شفع فيه مهنا أمير آل فضل، فأُخْرِجَ،... وأحضر إلى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء، فكَتِبَ عليه محضر بأنه قال: أنا أشعري.

ثم وُجِدَ خطه بما نصه: الذي أعتقد، أن القرآن معنى قائم بذات الله، وهو صفة من

(١) صفى الدين الهندي الأرموي. قال الصفدي في الوافي (١/٣٩٣): العلامة الأوحى الشافعي الأصولي شيخ الشيوخ، ولد بالهند سنة ٦٤٤هـ، وتفقه هناك بجده لأمه ثم رحل من دلهي. قدم دمشق، وأقرأ الأصول والمقول، وأفتى. فيه دين وتعبد وله أورداد. دَرَسَ بالرواحية، وأشغل بالجامع، وكان حسن العقيدة. مات سنة ٧١٥هـ.

(٢) قال ابن حجر في الدرر (٢/٤٠): أحد المتقدمين في الفتاوى والتدريس والمجالس، والمرجع إليهم في المناظرة. وأطلق عليه الذهبيُّ عالمَ العصر وكبير الشافعية، قال: وكان بصيراً بالمذهب وأصوله، قوى العربية ذكياً فطناً فقيه النفس، وكان يضرب بذكائه المثل، أفتى وله نيف وعشرين سنة، وتخرج غالب علماء العصر عليه، ولم يروا غيره في كرم نفسه وعلو همته، ودَرَسَ بمدارس. قال ابن كثير: انتهت إليه رئاسة المذهب تدريجاً وإفتاءً ومناظرةً، وساد أقرانه بذهنه الوقاد وتحصيله الذي منعه الرقاد وعبارته الراقية وكلماته الفائقة، ولم يُسَمَّ أحد من الناس يدرِّس أحسن منه، ولا سمعت أحلى من عبارته وجودة تقريره وصحة ذهنه وقوة قريحته. اهـ. توفي سنة ٧٢٧هـ.

(٣) قلت: كانوا في هذا العصر ينعنون الأشاعرة بشافعية المعتقد، لأن أكابر الأشاعرة أكثرهم شافعية، ومثل ذلك ما يقال عن الماتريدية أنهم الحنفية، فيكون ابن تيمية أشهد على نفسه أنه أشعري، وسيأتي بلفظه بعد ذلك.

(٤) وهذا ينقض ما يزعمه أدعياء السلفية أن العلماء حرضوا عليه السلطة، حيث كان سلار حاكم الشام يتعصب لصالحه على العلماء.



باب الأول: تمهيد مهم وإطلالة تاريخية مفيدة. وصفات ذاته القديمة، وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وأن قوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى عَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ليس على ظاهره، ولا أعلم كُنْهَ المراد به، بل لا يعلمه إلا الله، والقول في النزول كالقول في الاستواء، وكتبه أحمد بن تيمية.

ثم أشهدوا عليه أنه تاب مما ينافي ذلك مختاراً، في خامس عشري ربيع الأول سنة ٧٠٧هـ، وشهد عليه بذلك جمعٌ جمٌّ من العلماء وغيرهم وسكن الحال<sup>(١)</sup> اهـ.

ويبدو أن الرجل كان يصانعهم، ويداري عنهم خبيثة نفسه. لكن الذي تَقَرَّرَ على كل حل في الشيخ ابن تيمية وتلميذه الشيخ ابن قيم الجوزية: أَنَّ حَكَمَ قِضَاءِ الْمَذَاهِبِ بِحِسْبِهَا، وَمَنْعَ النَّاسِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ إِلَيْهَا، وَتَحْرِيمَ قِرَاءَةِ كِتَابِهَا، إِلَى أَنْ مَاتَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي السِّجْنِ، ثُمَّ طَلِقَ ابْنُ الْقَيْمِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. لَكِنَّهُ كَانَ قَدْ حَمَلَ عِلْمَ شَيْخِهِ وَرَتَبَهَا وَنَظَمَهَا وَزَيَّنَهَا بِزُخْرَافِ كَلَامٍ وَكَثْرَةِ تَحْيِيرٍ.

وانقضت فتنة الشيخ ابن تيمية وأتباعه، واختفت كتبهم ولم يعد لها وجود بين أهل نعلم، إلا ما كان حشوية الحنابلة يخفونه ويتناقلونه بعيداً عن عيون أهل السنة.

ومنها المتون المختصرة لابن تيمية، التي طبعت وانتشرت بكثرة في بدايات القرن الرابع عشر الهجري، كالواسطية والتدمرية والحموية، والكتب المطولة كَدَرِّ الْعَارِضِ وَمِنَاجِ السَّنَةِ، وَقَدْ جُمِعَ أَكْثَرُهَا فِي الْفَتَاوَى الْكُبْرَى وَمَجْمُوعَةِ الْفَتَاوَى، وَكَذَلِكَ طُبِعَتْ كِتَابُ تَلْمِيذِهِ ابْنِ الْقَيْمِ فِيهَا يَخْصُ الْعُقَائِدُ.

وكل تلك الكتب لم يكن العلماء يعولون عليها ولا يركنون إليها، لما كان فيها من نصريح بالتجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه والوقوع في علماء الأمة وتنقيصهم.

### التجسيم يسفك دماء المسلمين تحت شعار التوحيد وعقيدة السلف:

وسبب نهضة تلك الكتب وإخراجها من قبورها مرة أخرى، ظهور الوهابية بنجد، وهي الفتنة الكبرى الأخيرة من فتن المجسمة. نَصَرَتْهَا سِوْفُ السُّلْطَانِ وَنَشَرَتْهَا فِي أَنْحَاءِ

(١) الدرر الكامنة، لابن حجر: (١/١٦٩-١٧٢).

٥٨ الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أديعاء السلفية الحجاز ونجد، ولا زالت حية إلى الآن تطلق قذائف التبديع والتفسيق والتكفير على أكابر علماء المسلمين، وتحكم على عشرة قرون من عمر هذه الأمة بالضلال وفساد العقيدة. حتى وصل الحال بأحد المعاصرين في رسالة له ملاًها بالكاذيب عن الأشاعرة، أن يصف شيخ الإسلام وخير من تلقب بالحافظ، الإمام ابن حجر العسقلاني أنه كان متذبذباً في العقيدة!!، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(١)</sup>.

وفي بداية هذه الفتنة رفض العلماء الانصياع لهم، فقاموا بحمل الناس على تلك العقيدة قسراً، وهددوهم بالسلاح وإراقة الدماء، وحكموا على غيرهم بالكفر واستحلال دمه، وسبي نسائه وذريته!!

حتى أضحى الحرمان الشريفان في مكة والمدينة، وأضحت سائر بلاد الحجاز وأرض نجد فقراً خالية من العلماء الراسخين، الذين فروا بدينهم من سيوف المجسمة.

قال مفتي الحنابلة بمكة الشيخ محمد بن حميد النجدي: «فإنه -يعني ابن عبد الوهاب- كان إذا بايئه أحد وردَّ عليه ولم يقدر على قتله مجاهرةً، يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلاً، لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله!»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال رئيس المدرسين بمكة ومفتي الشافعية فيها العلامة السيد أحمد دحلان: «كان يقول لأهل الدرعية: إنما أدعوكم إلى التوحيد وترك الشرك بالله، ويزين لهم القول وهم أهل

(١) هو الدكتور سفر الحوالي ساعه الله تعالى في رسالة «منهج الأشاعرة في العقيدة». فالرجل ما ترك صفحة في رسالته إلا وسطر فيها كذبة أو أكثر، ولم يرقب في علماء المسلمين إلا ولا ذمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقد أحسن الدكتور عمر عبد الله كامل في كتاب رد عليه فيه وسماه «كفى تفريقاً للأمة باسم السلف»، والدكتور صلاح الدين الإدليبي في كتابه «عقائد الأشاعرة»، وكلاهما أحسن غاية الإحسان، كما رد عليه العلامة محمد صالح الغرسي في كتابه «منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقائق والأوهام». ولم يستطع الرد بحرف واحد عليهم جزاهم الله كل خير، رغم مرور فترة طويلة، تكفي لكتابة مجلدات لا مجرد ردود.

(٢) السحب الواصلة على ضرائح الحنابلة لمحمد بن حميد النجدي، ص: (٢٧٦). وكان معاصراً للأحداث رحمه الله تعالى.

. نبي في غاية الجهل، لا يعرفون شيئاً من أمور الدين، فاستحسنوا ما جاءهم به. وكان يقول  
 - نبي أَدْعُوكم إلى الدين. وجميع ما هو تحت السبع الطباقي مشرك على الإطلاق، ومن قتل  
 - به فله الجنة. فتابعوه وكانت نفوسهم بهذا القول مطمئنة. فكان محمد بن عبد الوهاب  
 - كالتنبي في أمته، لا يتركون شيئاً مما يقول ولا يفعلون شيئاً إلا بأمره، ويعظمونه غاية  
 - عظيم. وإذا قتلوا إنساناً أخذوا ماله وأعطوا أميرهم الخمس واقتسموا الباقي، وكانوا  
 - سندن معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء!! ولما ملكوا الطائف في ذي القعدة سنة  
 ١٢هـ قتلوا الكبير والصغير والمأمور والأمر، ولم ينبج إلا من طال عمره. وكانوا يذبحون  
 - صغير على صدر أمه، ونهبوا الأموال وسبوا النساء وفعلوا أشياء يطول الكلام  
 - تريحه»<sup>(١)</sup>اهـ.

وذكر مؤرخ الوهابية ابن غنام حواراً دار بين أمير الدرعية وابن عبد الوهاب: «قال  
 - أمير للشيخ: أريد أن أشرط عليك اثنتين: نحن إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله  
 - فتح الله لنا ولك البلدان، أخاف أن ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا. والثانية: أن لي على  
 - رعية قانوناً<sup>(٢)</sup> آخذه منهم في وقت الثمار، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئاً. فقال  
 - شيخ: أما الأولى فابسط يدك. الدم بالدم والهدم بالهدم. وأما الثانية، فلعل الله أن يفتح لك  
 - تحركات، فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منهم»<sup>(٣)</sup>اهـ.

ويلاحظ تكفيرهم لغيرهم من المسلمين. حيث كانوا يسمون أنفسهم - فقط -  
 - سنيين وأهل الإسلام وأهل التوحيد، ويسمون غيرهم بالكفار وأهل الكفر وأهل  
 - ضلال، ويعتبرون أموالهم غنائم ونساءهم وذرايرهم سبايا، وينعتون الذين يخرجون عليهم  
 - عد أن عاهدوهم - خوفاً من سيوفهم - بالمرتدين!!

١- ندر السننية في الرد على الوهابية، لمفتي مكة السيد أحمد زيني دحلان، ص: (٤٧-٤٨).

٢- قال د. ناصر الدين الأسد، محقق الكتاب: القانون هو ما يدفعه الضعيف للقوي ليحميه ويدافع عنه.  
 ويسمى الخفارة والقانون في أهل نجد.

٣- تاريخ نجد لابن غنام: (٨٧).

قال ابن غنام: «ثم سار المسلمون في سنة ١١٦٢ إلى الرياض،... فوصلوا وقت الصبح إلى نخل هناك يعرف بالحبونية. فخرج إليهم أهل الرياض وتراموا من بعيد بالرصاص. وقد قتل من أهل الرياض سبعة...، وقتل من المسلمين ثلاثة،... وهدم المسلمون ما بالمكان من جدار، ثم عادوا في المساء إلى منفوحة.

وقال ابن غنام أيضا: وفي هذه السنة ارتدَّ إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن أمير ضرمى، ونقض عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمر!!»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الشيخ ابن باز يصف الوضع في نجد بعد ظهور الوهابية: «وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وساد الأمن في الأمصار والقرى والطرق والبوادي ووقف البادية عند حدهم. ودخلوا في دين الله وقبلوا الحق، ونشر الشيخ فيهم الدعوة. وأرسل الشيخ إليهم المرشدين والدعاة في الصحراء والبوادي، كما أرسل المعلمين والمرشدين والقضاة إلى البلدان والقرى. وعم هذا الخير العظيم والهدى المستبين نجدا كلها وانتشر فيها الحق، وظهر فيها دين الله عز وجل»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ولما استفحل أمرهم وكثر إيذاؤهم للناس، بل وتعطل الحج من بعض بلاد المسلمين إلى البيت الحرام بسببهم، ولم يذهب الناس إلى مكة خوفا من إجبار الوهابية لهم على تغيير عقيدتهم، أرسل الخليفة العثماني إلى محمد علي الألباني والي مصر أن يدخل بالعساكر المصرية والتركية إلى أراضي نجد والحجاز ويقضي على هذه الفتنة.

يقول الشيخ ابن باز أيضا: «فجرى ما جرى من الفتن والقتال، وصار القتال بين الجنود المصرية والتركية ومن معهم، وبين آل سعود في نجد والحجاز سجالاتا مدة طويلة، من عام ١٢٢٦ هـ إلى عام ١٢٣٣ هـ، سبع سنين كلها قتال ونضال بين قوى الحق وقوى الباطل»<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) المرجع السابق: (١٠٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز: (١/٣٦٩)، وانظر «الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته»، لعبد العزيز بن باز. مجموعة: «دعوى المناوئين للشيخ محمد بن عبد الوهاب»، فريق عمل موقع صيد الفوائد.

<http://saaid.net/monawein/t.htm>

(٣) المصدر السابق.

وقالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه صراحة، بألفاظ لا تحتمل التأويل ولا إساءة  
 خيم، أن منهجه هو الإسلام وما عداه ليس كذلك!!

قال في رسالته إلى أهل الرياض ومنفوحة: «وأنا أخبركم عن نفسي. والله الذي لا إله  
 إلا هو لقد طلبت العلم، واعتقدت من عرفني أن لي معرفة<sup>(١)</sup>، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معني  
 لا إله إلا الله»، ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي من الله تعالى به<sup>(٢)</sup>! وكذلك  
 شيخني ما منهم رجل عرف ذلك!. فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معني «لا إله إلا  
 الله» ومعني الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم عن مشايخه أن أحدا عرف ذلك، فقد كذب  
 بفتري ولبس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه!»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وقد صنف الكثيرون من علماء الإسلام رسائل وكتبا في الرد على هؤلاء الذين كانوا  
 يسمون أنفسهم فقط بالمسلمين، ونسبوا أنفسهم للسلف الصالح والإمام أحمد بن حنبل، كما  
 نعر سابقوهم في عصر الإمام ابن الجوزي، كأنهم تواصلوا به!

فألف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب التميمي الحنبلي، أخو محمد بن عبد الوهاب  
 كتابا في الرد والتشنيع على بدعة أخيه.

قال فيه رحمه الله تعالى: «ابتلي الناس بمن يتسبب إلى الكتاب والسنة ويستتبط من  
 علومهما، ولا يبالي بمن خالفه. وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم ليفعل، بل  
 يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه، ومن خالفه فهو عنده كافر. هذا، وهو لم يكن فيه  
 خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد، ولا -والله- عشر واحدة. ومع هذا، راجح كلامه  
 على كثير من الجهال. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويقول في موضع آخر: فإنكم الآن تكفرون من شهد أن لا إله إلا الله وحده، وأن  
 محمداً عبده ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت، مؤمناً بالله

(١) قلت: يقصد بالمعرفة علوم الشرع.

(٢) قلت: يقصد دعوته التي خرج بها على الناس بعد ذلك.

(٣) تاريخ نجد لابن غنام، ص: (٣١٠).

وملائكته وكتبه ورسله، ملتزماً لجميع شعائر الإسلام، وتجعلونهم كفاراً، وبلادهم بلاد حرب. ولكن، هذه التفاصيل التي تُفَصِّلُونَ من عندكم أَنْ مَنْ فَعَلَ كَذَا فهو مشرك. وتخرجونه من الإسلام. من أين لكم هذا التفصيل؟ أَسْتَبْطَأْتُمْ ذلك بمفاهيمكم؟ فقد تقدم لكم من إجماع الأمة أنه لا يجوز لمثلكم الاستنباط. أَلَكُم في ذلك قدوة من إجماع أو تقليد من يجوز تقليده؟ مع أنه لا يجوز للمقلِّد أن يُكْفَرَ إن لم يُجْمَع الأمة على قول مَبْنُوعِه<sup>(١)</sup> اهـ.

وشهادته رحمه الله تعالى في حق أخيه كافية في نفي أن المخالفين له من العلماء حسدوه وكذبوا في حقه، كما يدعي الوهابية اليوم. وهو نفس الادعاء الذي ساقوه ليبرروا به خلاف علماء الإسلام للشيخ ابن تيمية!!

ولولا خوف الإطالة لنقلت ما قاله علماء الإسلام فيهم، كالعلامة الصاوي المالكي والعلامة ابن عابدين الحنفي والعلامة النبهاني الشافعي وغيرهم. فقد قاموا بواجبهم تجاه تلك الفتنة، فكفَّوْا وَوَفَّوْا رحمهم الله تعالى.

وكان فكر الوهابية في بداية أمره محصوراً في مناطق نفوذهم لا يتجاوزه، حتى جاء العصر الحديث وكثرت أمواهم. فقاموا بخدمة دعوتهم بالمطبوعات والكتب والأشرطة وبناء الصروح التي تنشر مذهبهم.

وفي الوقت الذي اتسعت فيه أرزاق دولة المبتدعة، ابْتُلِيَتْ بقية بلاد العالم الإسلامي بحكومات عميلة خاضعة للمحتل، حاربت الدين والعلم والعلماء بغض النظر عن مذهبهم، وضيق عليهم، فمنهم من قُتِلَ ومنهم من نُفِيَ ومنهم من اعتقل، وَمَنْ بقي منهم حورب في رزقه ودعوته.

فلم يعد مذهب أهل السنة الأشعرية والماتريدية يلقي من الخدمة والنشر والدعم ما يلقاه ذلك المذهب البدعي، بل على العكس كان يلقي العنت والتعتيم ومحاولات الإزهاق،

(١) فصل الخطاب في مذهب محمد بن عبد الوهاب، وهو نفسه الكتاب المشهور «الصواعق الإلهية في الرد على مذهب الوهابية»، لسليمان بن عبد الوهاب الحنبلي النجدي، أخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حسب ما جاء في إيضاح المكنون: (٧٢/٢)، ومعجم المؤلفين: (٤/٢٦٩).

سنة في الأزهر الشريف وغيره من المؤسسات السنية، التي قادت حركات المقاومة ضد  
 حذال والعلمنة ومحاولات التغريب!

وكان نتيجة لخروج الكثيرين من المسلمين سعياً وراء أرزاقهم في تلك البلاد - ومنهم  
 - لا يفقهون في الدين قليلاً ولا كثيراً - أن انخدعوا بمظاهرهم ورين كلامهم، وأخذوا  
 - كثيراً من الأفكار، لبساطتها وسطحيتها الشديدة، فنقلوا تلك الأفكار عند رجوعهم  
 - بلادهم. فرأينا بعد ذلك الجماعات المسلحة، وسمعنا بالإرهاب وترويع الآمنين تحت  
 - نصرة الدين بحجة أنهم كفار، ولم يكن ذلك معروفاً قبل انتشار كتبهم وبدعهم بين  
 - س، اللهم إلا ما كان من الخوارج ثم من الباطنية الحشاشين والقرامطة.

### جسمة في لباس أهل السنة يصنّفون الناس:

ثم إنهم لم يكتفوا بمجرد نشر أفكارهم وتصديرها إلى خارج حدودهم، بل جعلوا من  
 أنفسهم حكماً على عقيدة المسلمين، يصنّفون الناس إلى أهل سنة وخوارج ومرجئة ورافضة  
 ومعطلة وجهمية، وغير ذلك من الألقاب القديمة، التي لها مدلولات عقديّة. فيحتكرون  
 لأنفسهم لقب أهل السنة، ثم يوزعون بقية الألقاب على من خالفهم. وادّعوا أنهم يقومون  
 بذلك اعتماداً على قواعد علم الجرح والتعديل.

مع أن علم الجرح والتعديل موضوعٌ للحكم على رواة الأحاديث النبوية في زمن  
 تدوين السنة. والآن قد انقطعت الرواية بانقضاء زمان أئمة الرواية، واستقرت دواوين السنة  
 وانتشرت وبلغت شهرتها الآفاق، وأصبح علم الجرح والتعديل في الأزمنة المتأخرة يستفاد  
 منه في معرفة أسباب تعديل الرواة وتجريحهم، ودراسة مناهج الأئمة السابقين، لا الحكم على  
 الفقهاء والعلماء المعاصرين!!

وتحت هذا الشعاع صبوا جام غضبهم على الأشاعرة والماتريدية - أهل السنة  
 الحقيقيين - وصوبوا إليهم سهامهم، وادّعوا أنهم أهل ضلال وإضلال لينفروا الناس عنهم.  
 رغم أن الأشاعرة والماتريدية تَبَلَّوْا مذهبها ما بين القرنين الرابع والخامس الهجريين،  
 وأصبح اسمها علماً على أهل السنة، بحيث إذا قيل أن فلاناً من أهل السنة عَرَفَ السامع أنه

أشعري أو ماتريدي، سواء كان السامع سنيًا أو معتزليًا أو رافضياً، فلم يكن لهم مُدْرَعُ الانتساب إلى السنة. في حين أن مذهب هؤلاء لم يكن محسوباً على أهل السنة من الأُسْدِ - فضلاً عن أن يكون له أي ثقل يذكر قبل القرن الثالث عشر الهجري، حيث نشأت له دبر - ترعاه وتقوم على حمايته ونشره.

فهل كانت الأمة كافرة حتى ظهر هؤلاء؟ وهل كان كل شيوخ الإسلام من المفسرين - والمحدثين واللغويين والفقهاء والأصوليين كفاراً مبتدعين حتى ظهر مذهب أولئك - نجد؟ وأين نذهب بقوله ﷺ - وهو الذي لا ينطق عن الهوى - : «لَا يَجْمَعُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عِزَّ الصَّلَاةِ أَبَدًا، وَيَدُّ اللَّهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَاتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّهُ مَنْ شَدَّ، شَدَّ فِي النَّارِ» (١).  
 ومما زاد الأمر سوءاً، ما أطلقوه على أنفسهم من الأسماء والألقاب، ليموهوا عر - الناس ويلبسوا عليهم أمرهم.

فتارة يطلقون على أنفسهم أهل الحديث: والحديث يعمل فيه وفي علومه مخالفون - بل وأئمة الحديث جُلُّهُمْ أشاعرة وماتريديّة إن لم يكونوا كلهم!!، كالبيهقي وابن حبان - والخطيب البغدادي والحاكم وأبي نعيم وابن عساكر وابن الصلاح والنووي وابن كثير - والعراقي والهيثمي والزيلعي والعجلوني وابن حجر العسقلاني والسيوطي والسخزري - والدمياطي، وكثير غيرهم سنذكرهم إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب. والوهابية أنفسهم - يقتبسون منهم ويرجعون إليهم ويحتكمون إلى كلامهم!!، ولا يوافقون عقيدة بعض أئمة - الحديث إلا في تعريف الإيمان فقط!!

وتارة يسمون أنفسهم الفرقة الناجية: متأولين الحديث الوارد في افتراق الأمة إلى بضعة - وسبعين فرقة، ومنزليين إياه على أنفسهم فقط.

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (٧١٦/١): حديث مشهور المتن، وأسانيده كثيرة متعددة الطرق والمخارج، وذلك علامة القوة، فلا ينزل عن الحسن. وصححه الزرقاني في مختصر المقاصد: (١١٧٩). بلفظ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة». وقال العجلوني في كشف الخفاء (٢/٤٧٠): مشهور المتن وله أسانيد كثيرة وشواهد عديدة. وضعّفه الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة: (٨/٥٢٩). قلت: وتراجع الألباني عن تضعيف الفقرة الأولى إلى قوله: الضلالة. وصححه في السلسلة الصحيحة: (٣/٣٢٠).



وتارة يسمون أنفسهم بالطائفة المنصورة: يتأولون حديثاً آخر، أصله في المجاهدين الذين يرابطون ويقاتلون الكفار في أرض الجهاد وعلى ثغور المسلمين.

وتارة يسمون أنفسهم -هم فقط- أهل السنة والجماعة: بزعم أنهم حمايتها ورعاتها، ويجردون مخالفيهم -ولا سيما الأشاعرة والماتريدية- من الانتساب إلى السنة في كتبهم وأشرطتهم ومنشوراتهم. ونتج عن ضجيجهم، أن ظنَّ كثيرٌ من الناس أنهم على الحق، وأنهم وحدهم الناطقون به.

وتارة يطلقون على أنفسهم اسم السلفية والسلفيين، نسبة إلى السلف الصالح: كأن بقية الأمة لا يعرفون شيئاً عن السلف.

وقد اضطروا إلى اختراع هذا اللقب بعد أن أصبح اسم الوهابية علماً على الشذوذ في  
الدين ومخالفة إجماع المسلمين، فهم الآن يرفضون تسميتهم بالوهابية رفضاً شديداً، سواء  
كنوا من أهل نجد أو ممن اتبع نهجهم من أهل البلاد الأخرى.

فينسبون أنفسهم -دون غيرهم- للسلف الصالح، رغم أن أسانيد الأشاعرة والماتريدية أقوى اتصالاً وأصح وأوثق نقلاً عن السلف. ولا يخفى على كل ذي عينين أن الأشاعرة والماتريدية هم الذين نقلوا علوم السلف في كتبهم وعلموها للناس وأوصوهم أن يتمسكوا بها قبل أن يظهر هؤلاء. حيث نُقلت إلينا كل علوم الدين من التفسير والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة وغيرها، بسلاسل أسانيد يمثل الأشاعرة والماتريدية جميع حلقاتها، دون أن يجرم اتصالها مذهبٌ آخر في طبقة من الطبقات. وإثبات ذلك لا يحتاج إلى أكثر من النظر في المكتبة الإسلامية، وحصر مراجعها في كل فن من الفنون، وتتبع أسانيد هذه المراجع.

بينما أسانيد أولئك القوم -وخاصة في العقيدة- منقطعٌ ما بينها وبين السلف انقطاعاً معضلاً، لا يمكن تربيعة بحال، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. وإثبات ذلك أيضاً لا يحتاج إلى أكثر من النظر في مراجعهم العقديّة التي ترجع بأفكارها ومنهجيتها وتقسيمها وتبويبها إلى الشيخين ابن تيمية وابن القيم.

الانتصر لأهل السنة وكشف مذهب أديء -

وانقطاع الإسناد عند أهل العلم: هو سقوط راوٍ في طبقة من طبقات الإسناد - والإعضال: هو سقوط راويين متتالين فأكثر من الإسناد<sup>(١)</sup>.

فسلسلة أسانيد القوم يتوقف اتصالها عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي والبعد بين طبقتيه وبين طبقة ابن تيمية وابن القيم - اللذين امتحن الناس بما في كتبهما من الأحكام في العقائد والفروع - كبعد الأرض عن جو السماء، أو هو أبعد. فبينهما أربعة قرون على أقل تقدير!

ومن المقطوع به أن كتب العقيدة لابن تيمية وابن القيم لم تكن معتمدة في مناهج التدريس عند أهل العلم، بل كانت ممنوعة التداول، ولم يحدث أن تم تدريس كتاب واحد منها قبل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مدرسة من مدارس أهل العلم الموقر - للعلم وأهله - على كثرتها -، كالنظامية والأشرفية والصالحية والبدرائية وغيرها، وذلك من المساجد المعروفة، كالحرمين الشريفين في مكة والمدينة، والأقصى والصبخية - فلسطين، والأزهر في مصر، والأموي في الشام، والزيتونة في تونس، والقرويين في المغرب - وأبي حنيفة في العراق، وغيرها من المساجد المشهورة.

فلم يبق إلا أن يكون الشيخ ابن عبد الوهاب قرأ ما وقع تحت يديه من كتبهم بعين شيخ يتلقى عليه، ثم تلمذ له طلابه بعد ذلك واعتمدوا على تلك الكتب. ولا يخفى أن قراءة الكتاب بدون تلقيه على شيخ هو تحمّل مع انقطاع الإسناد، بل مع الإعضال الشديد، لما بين الطبقتين من البعد، خاصة في الكتب التي تتناول مسائل ومباحث يزعم مؤلفوها - المتأخرون بالزمن - أنها متلقاة عن السلف.

وما نقلناه سابقاً من كلام ابن عبد الوهاب يشير إلى أنه اعتمد على نفسه في تقرير هذا المذهب الجديد، دون تلقيه على شيخ أو أستاذ، ولا تضر إعادته هنا مرة أخرى.

حيث قال في رسالته إلى أهل الرياض ومنفوحة: «وأنا أخبركم عن نفسي. والله الذي

(١) نزهة النظر لابن حجر: (٥٣)، تدريب الراوي للسيوطي: (١٧٠-١٧٧).

بِالْأُولَى: تَحْمِيدُ مَهْمٌ وَفِيهَا: لَدُنْهُ مَفِيدَةٌ. لا إله إلا هو لقد طلبتُ العلم، واعتقدتُ من عرفني أن لي معرفة<sup>(١)</sup>، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معني «لا إله إلا الله»، ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي من الله تعالى به<sup>(٢)</sup>! وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك! فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معني «لا إله إلا الله» ومعني الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم عن مشايخي أن أحدا عرف ذلك، فقد كذب وافتري ولبس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه!»<sup>(٣)</sup> اهـ.

ثم إن ابن تيمية وابن القيم ليسا على عقيدة أهل العلم في زمانها من الأشاعرة والماتريدية، رغم أن كل شيوخ ابن تيمية أشاعرة أو ماتريدية، فكيف يدعى أنه على عقيدة السلف، وأهل زمانه جميعا من شيوخته وزملائه لم يأخذوا عن السلف ما يدعي هو أخذه عنهم، رغم أنهم نقلوا علومهم بالأسانيد المتصلة. إلا إذا كان قرأ كتاباً فهمها بفهمه هو ثم نسب ما فهمه للسلف. وهذا الانقطاع هو الإعضال بلا نزاع!

وهذا ما يؤكد كلام ابن تيمية نفسه، والذي يشبه كلام ابن عبد الوهاب إلى حد بعيد، وابن القيم ليس إلا دائرا في فلكه مقرر الكلامه.

قال ابن تيمية: «وأنا وغيري كنا على مذهب الآباء في ذلك»<sup>(٤)</sup> نقول في الأصلين بقول أهل البدع، فلما تبين لنا ما جاء به الرسول، دار الأمر بين أن نتبع ما أنزل الله أو نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فكان الواجب هو اتباع الرسول، وأن لا نكون ممن قيل فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١]»<sup>(٥)</sup> اهـ.

- (١) أي: المعرفة بعلوم الشرع.
- (٢) يقصد دعوته التي خرج بها على الناس بعد ذلك.
- (٣) تاريخ نجد لابن غنم، ص: (٣١٠).
- (٤) يقصد بقوله «ذلك» بعض المسائل التي حكم فيها على غالب الأمة بالكفر والبدعة، مخالفا لأهل السنة وأجلاء علمائهم.
- (٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٢٥٨/٦).

وابن تيمية ولد سنة ٦٦١ هـ وتوفي سنة ٧٢٨ هـ كما هو معلوم، فهو كذلك لا يصح ادعاؤه بأنه على اعتقاد السلف ما لم يتصل إسناده بهم، وكيف يتصل إسناده بهم وقد تلقى دينه عن الآباء الذين يطعن في اعتقادهم ويتبرأ منه!

فإن كان ما بين ابن عبد الوهاب وإمامه ابن تيمية إعضالا في السند. ثم ما بين ابن تيمية والسلف قبل ظهور الأشعري والماتريدي إعضالا في السند أيضاً، فكيف تصح دعوى القوم أنهم على منهج السلف وطريقتهم؟ مع أن المناهج والأفكار والكتب والمذاهب منذ صدر الإسلام إلى عهد قريبة كانت لا تنتقل من جيل إلى الذي بعده بغير طريق الإسناد الصحيح، الذي لا تسقط طبقة واحدة من طبقاته!

### الأشاعرة والماتريدية هم جمهور الأمة .. علماءها وأئمتها:

وعندما ينظر الباحث المنصف في أسماء المراجع العلمية المعتمدة التي يحتكم إليها كل أهل السنة في التفسير والحديث والعقيدة والفقهاء والأصول واللغة في فهم وتلقي الدين، سيجد أنها جميعاً من إنتاج علماء أهل السنة الأشاعرة والماتريدية. اللهم إلا القليل النادر، أو مَنْ عاش قبل ظهور الفرق. وسيجد الباحث كذلك أن توجيه الطعن إلى عقيدة هؤلاء العلماء الذين صنّفوا تلك المراجع يُعتبر طعناً في دين الإسلام، لكونه طعناً وتشكيكاً في المراجع الإسلامية الأصلية الكبرى.

فمذهب الأشاعرة والماتريدية هو المذهب الذي عليه سواد الأمة وأكابر أهل العلم والفضل فيها، وما ذاك إلا لأنه الامتداد الشرعي لما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم. فلم يبق علم من العلوم لم يكن لهم الريادة فيه، ولا تركوا باباً للمعرفة لم يلجؤوا، فكان لهم في كل علم من علوم الشريعة وغيرها القدر المعلن والجبين الأجلّي.

### أكبر مُفسّري الأمة من الأشاعرة والماتريدية<sup>(١)</sup>:

فمن هذه العلوم التي كان لأهل السنة فضل التقدم والتبريز فيها علم تفسير كتاب الله

(١) جاء هذا الإحصاء لأسماء المفسرين والمحدثين والفقهاء واللغويين والقواد والساطين والمجاهدين الأشاعرة والماتريدية في كتاب «أهل السنة الأشاعرة.. شهادة علماء الأمة وأدلتهم» - للأستاذين حمد السنان وفوزي العنجري، ص: (٢٤٨-٢٦٨).

تعالى والعلوم المتعلقة به، كالقراءات والغريب والمشكل ونحوها. والمأمة عَجَلَى بِثَلَّةٍ من أعلام هذا الباب تُطلع الباحث المنصف على هذه الحقيقة.

- الإمام الفذ المفسر والمحدث العلامة القرطبي رحمه الله تعالى، صاحب تفسير «الجامع لأحكام القرآن»، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، حكى في تفسيره مذاهب السلف كلها، قال عنه الداودي في الطبقات: «هو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً».

- الإمام الحافظ المفسر أبو الفداء إسماعيل بن كثير رحمه الله تعالى، صاحب «تفسير القرآن العظيم» و«البداية والنهاية» وغيرها، فقد نقل عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى التصريح بأشعريته<sup>(١)</sup>، أضاف إلى ذلك أنه ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، التي كان شرط واقفها أن لا يلي مَشِيخَتَهَا إلا أشعري، وزِدَّ عليه ما في تفسيره من التَّنْزِيهِ والتقديس والتشديد على من يقول بظواهر المتشابه.

- الإمام المفسر الكبير قدوة المفسرين ابن عطية الأندلسي رحمه الله تعالى، صاحب تفسير «المحرر الوجيز»، ألف كتابه في التفسير فأحسن فيه وأبدع. وكان رحمه الله من أفاضل أهل السنة والجماعة ومن أكابر أهل الفضل، قال أبو حيان الأندلسي فيه في مقدمة «البحر المحيط»: «هو أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير».

- الإمام أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى، صاحب «البحر المحيط»، و«النهر الماد من البحر»، الحجة الثابت اللغوي، وهو غني عن التعريف به والتنويه بذكره.

- الإمام المقدم فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى، صاحب تفسير «مفاتيح الغيب». المفسر، المتكلم، الأصولي، إمام وقته، وفريد عصره، كان شجاعاً في حلوق المبتدعة، وسيفاً مصلتاً على أهل الزيغ والإلحاد.

- الإمام المفسر الحافظ البغوي محي السنة رحمه الله تعالى، صاحب كتاب «شرح

(١) الدرر الكامنة لابن حجر: (١/٦٥)، الدارس في تاريخ المدارس للنعماني: (١/٢٧)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه: (٣/٨٦).

السنّة»، وتفسيره مملوء بما يدل على اعتقاد أهل السنّة، وزاخر بالتأويل السُنِّي لنصوت-  
 المتشابه.

- الإمام المفسر أبو الليث السمرقندي الحنفي الماتريدي رحمه الله تعالى، صاحب  
 تفسير «بحر العلوم»، وكتاب «تنبية الغافلين وبستان العارفين»، وقد اشتهر بلقب «مد  
 الهدى».

- الإمام المفسر الواحدي أبو الحسن علي النيسابوري، أستاذ عصره في النحر-  
 والتفسير، كان سنياً أشعرياً من أهل السنّة والجماعة، صاحب المؤلفات النافعة والإشارات  
 الرائعة، وله كتاب «أسباب النزول»، وهو من أشهر الكتب في بابه.

- الإمام المفسر أبو الثناء شهاب الدين الأيوبي الحسيني الحسني رحمه الله تعالى.  
 خاتمة المفسرين ونخبة المحدثين كما وصفه الشيخ بهجة البيطار: «كان رضي الله عنه أحد-  
 أفراد الدنيا، يقول الحق ولا يجيد عن الصدق، متمسكاً بالسنن، متجنباً للفتن»<sup>(١)</sup>.

- الإمام المفسر السمين الحلبي رحمه الله تعالى، صاحب تفسير «الدر المصون».

- الإمام الحافظ المفسر جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى، صاحب «الدر المثور في  
 التفسير بالمأثور».

- الإمام المفسر الأصولي القاضي عبد الله بن محمد البيضاوي رحمه الله تعالى، صاحب  
 «أنوار التنزيل وأسرار التأويل».

- الإمام الخطيب الشربيني رحمه الله تعالى، صاحب تفسير «السراج المنير».

- الإمام أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسْفِي الماتريدي رحمه  
 الله تعالى، صاحب تفسير «حقائق التنزيل ومدارك التأويل».

وغير هؤلاء ممن لو طال النَّقَسَ بذكرهم لخرج الكتاب عن المقصود، كلهم كانوا من  
 أهل السنّة الأشاعرة والماتريدية.

(١) حلية البشر، لعبد الرزاق البيطار: (٣/ ١٤٥٠).

## ومن المفسرين المتأخرين والمعاصرين:

- الشيخ العلامة الطاهر بن عاشور، صاحب التفسير العظيم «التحرير والتنوير».
- الأستاذ الداعية الشيخ سعيد حوى رحمه الله تعالى، صاحب كتاب «الأساس في التفسير».
- الشيخ العلامة محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى، الذي ارتبط اسمه بالقرآن، حتى إذا ما ذكر القرآن ذكر الشيخ، وإذا ذكر الشيخ ذكر القرآن.
- والشيخ الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى، صاحب زهرة التفاسير.
- والشيخ الدكتور وهبة الزحيلي حفظه الله تعالى ورعاه، صاحب «التفسير المنير» و«الفقه الإسلامي» وغيرها من الكتب النافعة.
- والشيخ الداعية الدكتور عبد الله شحاتة رحمه الله تعالى، صاحب «تفسير القرآن الكريم» وغيره.
- والشيخ محمد علي الصابوني حفظه الله تعالى، صاحب المختصرات الكثيرة القيمة في التفسير و«روائع البيان في تفسير آيات الأحكام».

## أكبر محدثي الأمة وحفاظها من الأشاعرة والماثريديّة:

منهم على سبيل المثال:

- الإمام الحافظ أبو الحسن الدارقطني رحمه الله تعالى، إمام وقته والذي لم يرَ مثل نفسه، وقصته مع الإمام الباقلاني تغني عن الإطالة في إثبات أتباعه لمذهب الأشعري<sup>(١)</sup>.
- الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى، صاحب «حلية الأولياء»، كان من الطبقة الثانية من أتباع الإمام الأشعري، أي من طبقة الإمام الباقلاني والأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني والحاكم وابن فورك رحم الله الجميع<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تبين كذب المفتري: (٢٥٥)، تذكرة الحفاظ: (٣/ ١١٠٤). سير أعلام النبلاء: (١٧/ ٥٥٨) في ترجمة أبي ذر الهروي.

(٢) تبين كذب المفتري لابن عسّاكر: (٢٤٦)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٣/ ٣٧٠).

- الحافظ أبو ذر الهروي عبد بن أحمد رحمه الله تعالى، عدّه الحافظ ابن عساكر في الطبقة الثالثة -  
 ممن أخذ عن أصحاب أصحاب الأشعري<sup>(١)</sup>.

- الحافظ أبو طاهر السلفي رحمه الله تعالى، ذكره التاج السبكي في الخامسة<sup>(٢)</sup>.

- الحافظ الحاكم النيسابوري رحمه الله تعالى، صاحب «المستدرک علی الصحیحین»، وإمد  
 أهل الحديث في عصره، وشهرته تغني عن التعريف به، اتفق العلماء على أنه من أعم  
 الأئمة الذين حفظ الله بهم هذا الدين. ذكره الحافظ ابن عساكر في الطبقة الثانية، أي من  
 أصحاب أصحاب الإمام<sup>(٣)</sup>.

- الحافظ أبو سعد بن السمعاني رحمه الله تعالى، صاحب كتاب «الأنساب»<sup>(٤)</sup>.

- الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى، صاحب التصانيف التي طارصيتها في الدين  
 والمؤلفات المرضية عند المؤيدين والمخالفين.

- الإمام الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى، صاحب كتاب «تاريخ دمشق»، الذي لم يترك فيه  
 شاردة ولا واردة إلا أحصاها.

- الإمام الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى، ذكره الحافظ ابن عساكر أول الطبقة  
 الرابعة.

- الإمام الحافظ محي الدين يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى، صاحب المؤلفات النفع  
 التي كتب الله لها القبول عند الناس، مثل كتاب «رياض الصالحين» و«الأذكار» و«شرح  
 صحيح مسلم» وغيرها.

- الإمام المحقق بقية الحفاظ صلاح الدين خليل بن كيكلدئي العلائي، الذي لم يخلف بعده في  
 الحديث مثله، ولم يكن في عصره من يدانيه في علم الحديث.

(١) تبين كذب المفترى لابن عساكر: (٢٥٥).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٣/٣٧٢).

(٣) تبين كذب المفترى لابن عساكر: (٢٢٧).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٣/٣٧٢).



- شيخ الإسلام الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى، وهو أول من ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، التي كان لا يليها إلا أشعري.
  - الإمام الحافظ ابن أبي جمرة الأندلسي مسند أهل المغرب رحمه الله تعالى ورضي عنه، صاحب كتاب «بهجة النفوس في شرح مئة حديث من صحيح البخاري».
  - الإمام الحافظ الكرمانى شمس الدين محمد بن يوسف رحمه الله ورضي عنه، صاحب الشرح المشهور على صحيح البخاري.
  - الإمام الحافظ المنذري رحمه الله تعالى، صاحب «الترغيب والترهيب» وغيره.
  - الإمام الحافظ الأبي رحمه الله تعالى، شارح صحيح مسلم.
  - الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى، صاحب أعظم شرح على صحيح البخاري المسمّى بـ «فتح الباري» والذي قيل فيه: لا هجرة بعد الفتح.
  - الإمام الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى.
  - الإمام القسطلاني رحمه الله تعالى، شارح الصحيح.
- وغيرهم من أئمة الحديث وحفاظ الأمة، كانوا من أهل السنة الأشاعرة والماتريدية.

### أكبر فقهاء وأصوليّ الأمة من الأشاعرة والماتريدية:

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى: «وأكثر العلماء في جميع الأقطار عليه<sup>(١)</sup>، وأئمة الأمصار في سائر الأعصار يدعون إليه، وهل من الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق له، أو منتسب إليه، أو راضٍ بحميد سعيه في دين الله، أو مُثْنٍ بكثرة العلم عليه»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى: «وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن

(١) يعني مذهب الأشعري.

(٢) تبين كذب المفترى لابن عساكر: (٤١٠).

الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعيه - عبد السلام أن عقيدته - يعني الأشعري - اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وحنابلة، ووافق على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن أحمد - وشيخ الحنفية جمال الدين الحصري<sup>(١)</sup> اهـ.

وقول هؤلاء الأعلام يغني عن الإفاضة بذكر أسماء الفقهاء والأصوليين من المذاهب الأربعة المتبوعة، وإلا فإنهم لا تكفيهم مجلدات لخصر أسمائهم، ومن اطلع على طبقات وتراجم علماء المذاهب رأى ذلك جلياً، فقد فاقوا نجوم السماء عدداً وسمواً عدداً جداً.

### أعلام الأمة في اللغة والأدب من الأشاعرة والما تريدية:

قال الإمام أبو المظفر الإسفراييني رحمه الله تعالى: «وجملة الأئمة في النحو واللغة - أهل البصرة والكوفة في دولة الإسلام كانوا من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث والرأي.

وكذلك لم يكن في أئمة الأدب أحد إلا وله إنكار على أهل البدعة شديد وبعدهم بدعهم بعيد، مثل الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وسيبويه والأخفش والزجاج والمبرد وأبي حاتم السجستاني وابن دريد والأزهري وابن فارس.

وكذلك من كان من أئمة النحو واللغة مثل الكسائي والفراء والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني وأبي عبيد القاسم بن سلام. وما منهم أحد إلا وله في تصانيفه تعصب لأهل السنة والجماعة ورد على أهل الإلحاد والبدعة، ولم يقر واحد في شيء من الأعصار من أسلاف أهل الأدب بشيء من بدع أهل الأهواء، ومن كان متدنساً بشيء من ذلك لم يجز الاعتماد عليه في رواية أصول اللغة وفي نقل معاني النحو، ولا في تأويل شيء من الأخبار، ولا في تفسير آية من كتاب الله تعالى»<sup>(٢)</sup> اهـ.

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٣/٣٦٥).

(٢) التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني: (١/١٩٠)، الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي: (١٨٣)،

إتحاف السادة المتقين للزبيدي: (٢/١٠٢).



هؤلاء هم المتقدمون من أئمة اللغة والأدب والنحو، ثم جاء من بعدهم وساروا على نفس الطريق السوي في الاعتقاد، لم يبدلوا ولم يغيروا، مثل الإمام ابن الأنباري، وابن سيده صاحب كتاب «المخصص» في اللغة، وابن منظور صاحب كتاب «لسان العرب»، والجهوري صاحب «الصحاح»، والمجد الفيروزآبادي صاحب كتاب «القاموس المحيط»، والمرتضى الزبيدي صاحب كتاب «تاج العروس». ومن النحويين محمد بن مالك صاحب الألفية المشهورة في النحو، وشارحها ابن عقيل وابن هشام المصري، وغيرهم ممن لا غناء نتعلم أو متأدب عن كتبهم ومصنفاتهم. وكلهم كانوا على عقيدة أهل السنة والجماعة من لأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم.

### كُتَابُ سِيرَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتَرِيدِيَّةِ:

قال الإمام أبو المظفر الإسفراييني رحمه الله تعالى: «علوم المغازي والسير والتواريخ والفرقة بين السقيم والمستقيم، ليس لأهل البدعة من هو رأس في شيء من هذه العلوم. فهي مختصة بأهل السنة والجماعة»<sup>(١)</sup> اهـ.

ومن صتّف في السير والمغازي من الأشاعرة والماتريدية، فبلّغت مصنفاته ما بلغ الليل والنهار:

- الإمام البيهقي رحمه الله تعالى، صاحب دلائل النبوة.
- الإمام أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى، صاحب دلائل النبوة أيضاً.
- القاضي عياض رحمه الله تعالى، صاحب الشفا في شمائل وأحوال المصطفى ﷺ، الذي ليس له نظير.
- الإمام الحلبي رحمه الله تعالى، صاحب السيرة الحلبية، المسماة ب«إنسان العيون».
- الإمام السهلي رحمه الله تعالى، صاحب «الروض الأنف».

(١) التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني: (١/١٩٢).

- الإمام القسطلاني رحمه الله تعالى، صاحب «المواهب اللدنية».
- الإمام الصالحى دمشقى رحمه الله تعالى، صاحب «سبل الهدى والرشاد».
- العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى.
- الحافظ ابن كثير دمشقى رحمه الله تعالى، صنف «السيرة»، و«دلائل النبوة» في كتاب البداية والنهاية.

### ومن المعاصرين:

- الشيخ الداعية الكبير محمد الغزالي رحمه الله تعالى، وكتابه الرائع «فقه السيرة».
  - العلامة الكبير الشيخ الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى، كَتَبَ «فقه السيرة» أيضاً.
  - الشيخ محمد الحضري بك، صاحب نور اليقين.
  - الدكتور أحمد الطيب النجار أحد رؤساء جامعة الأزهر الشريف، صنف «السيرة النبوية»، وهي تدرس إلى الآن في المعاهد الأزهرية.
- ومصنفات هؤلاء الأئمة المتقدمين والمتأخرين كذلك هي أهم المراجع التي عنيب المعتمد في سيرة المصطفى ﷺ، وكلهم على عقيدة الأشاعرة والماتريدية، وعلى ما كان عليه المتقدمون من كتاب السيرة الأوائل، مثل ابن إسحاق والواقدي وابن سعد وابن هشام وغيرهم من أكابر العلماء في السيرة والمغازي.

### وكذلك من صَنَفَ في التواريخ من الأئمة غالبهم من الأشاعرة والماتريدية:

- مثل الإمام الحافظ ابن عساكر، في كتابه الفذ «تاريخ مدينة دمشق».
- والإمام الخطيب البغدادي، في كتابه «تاريخ بغداد».
- والعلامة عبد الرحمن بن خلدون، في كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» المشهور باسم تاريخ ابن خلدون.

- والعلامة ابن الأثير صنف «الكامل».
- والحافظ ابن كثير، صنف «البداية والنهاية».
- والعلامة عبد الرحمن الجبرتي رحمه الله تعالى، صنف كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار».
- والعلامة محمد بن إياس الحنفي الماتريدي، صنف كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور». وغيرهم كثير وكثير.

### وكذلك من صنف في تراجم الأعلام:

- مثل الإمام الصَّفَدِيّ رحمه الله تعالى في كتابه الوافي في الوفيات، الذي اختصره في كتابه «أعيان العصر».
- وابن شاعر الكتبي رحمه الله تعالى، صاحب كتاب «وفات الوفيات».
- قاضي القضاة ابن خلكان الشافعي رحمه الله تعالى، صاحب كتاب «وفيات الأعيان».
- وغيرهم من المحدثين والعلماء السابق ذكرهم الذين شاركوا في فنون عديدة كابن حجر والنووي والسيوطي وابن عساكر والخطيب وابن الأثير.

### وكتب تراجم طبقات علماء المذاهب الفقهية، وأصحاب كتب التراجم التي وضعت حسب القرون:

- مثل «الدرر الكامنة» و«إنباء الغمر»، كلاهما للحافظ ابن حجر، و«الضوء اللامع» للحافظ السخاوي، و«مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي، و«مرآة الجنان» لليافعي، و«خلاصة الأثر» للمحبي، و«سلك الدرر» للمرادى، و«الكواكب السائرة» للغزّي، و«الديباج المذهب» لابن فرحون، وغيرهم الكثير.

ومما يلحق بما مرّ وهو قريب منه، ما صنّف في الأنساب والأماكن والبلدان:

- مثل كتاب «الأنساب» للإمام السمعاني، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي،

والمتريديّة. «معجم ما استعجم» للبكري، وغير ذلك كثير جداً. كل أولئك كانوا إما أشاعرة أو ماتريديّة.

وأنا في كل هذا إنما أقتصر على من كان معروفاً بين الناس، وإلا فالأمر لا يدخل تحت الجهد والطاقة. وهؤلاء الذين ذكرتهم وعددت مصنفاتهم، سواء في القرآن وعلومه أو الحديث أو الفقه والأصول أو علوم العربية أو التواريخ والمغازي والسير وغير ذلك، هم عبارة عن مراجع المكتبة الإسلامية التي لا غناء لكاتب أو باحث في أي فن عنها.

وعلى الجملة. فإن التاريخ على مدى أدواره كلها منذ منتصف القرن الرابع الهجري حتى خير شاهد على أن مذهب الأشاعرة والماتريديّة ومن وافقهم من أهل السنة بجميع طوائفهم هو المذهب الغالب السائد، فأينما ارتحلت في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه وشبهه وجنوبه، فرايات أهل السنة أعلى ما تراه، ومهما بلغت بالرجوع في أحقاب الزمن لن تجد مذهبهم إلا غالباً على كل ما سواه، وذلك لحديث المصطفى ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»<sup>(١)</sup>.

أضف إلى ذلك تلك الصروح الشامخة والمراكز العلمية، التي كانت وزالت تنشر النور في جميع أصقاع العالم الإنساني:

مثل الجامع الأزهر في مصر، وجامع القرويين في المغرب، وجامع الزيتونة في تونس والجامع الأموي في دمشق، وندوة العلماء في الهند، وغيرها من منارات العلوم المبتوثة. مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كلها تتبنى إما مذهب الأشاعرة أو الماتريديّة.

ومن قبلها المدارس الإسلامية التي قامت في حواضر العالم الإسلام قديماً مثل المدارس النظامية نسبة للوزير نظام الملك، وهي كثيرة، حتى قيل بأنه لا أحد مدينة من مدن العراق وخراسان من إحداها، وهي من أهم الأسباب في انتشار سنيّة

(١) صححه الزرقاني بهذا اللفظ في مختصر المقاصد: (١١٧٩). وقال العجلوني في كشف الخفاء (٢)

مشهور المتن وله أسنيد كثيرة وشواهد عديدة.

السني وجمع مذاهب أهل البدع بالحجج والبراهين. ومن أشهرها نظامية بغداد، التي كانت أكبر جامعة في الدنيا يومئذ<sup>(١)</sup>. وولي مَشِيخَتَهَا الإمام أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى، ومن وليها أيضاً الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، ونظامية نيسابور التي ولي مشيختها إمام الحرمين الجويني رحمه الله تعالى، وبعده الإمام الغزالي أيضاً.

ومن تلك الصروح العلمية التي كان لها أكبر الأثر في التاريخ الإسلامي والحركة العلمية في العالم الإسلامي أجمع مدرسة دار الحديث الأشرفية، التي كان شرط واقفها أن لا يلي مشيختها إلا أشعري<sup>(٢)</sup>، وكان أول من استلم مشيختها الحافظ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى، ثم تعاقب الأئمة بعده، فمنهم الإمام الرباني الحافظ يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى، والحافظ جمال الدين المزي، والحافظ تقي الدين السبكي، والحافظ ابن كثير، وغيرهم. والذين تخرجوا فيها من العلماء لا يُحْصَوْنَ كثرة. وهكذا استمرت هذه المدرسة بتخريج العلماء والأئمة والحفاظ والفقهاء والمقرئين قروناً طويلة. وبقيت كذلك حتى القرن الحادي عشر الهجري، ثم بدأ يدب إليها الضعف. وذلك تبعاً لما كان يمرّ به العالم الإسلامي من تفكك وخور. ثم هياً الله لها عالين جليلين استطاعا بجهودهما أن يعودا بالمدرسة إلى سابق عهدها، فاستؤنفت فيها حلقات العلم وقراءة الحديث وروايته منذ عام ١٢٧٢هـ. كان ذلك بجهود الشيخ يوسف المغربي، ودعم الأمير عبد القادر الجزائري، الذي افتتح المدرسة بقراءة صحيح البخاري، وكان عملها ذلك تمهيداً لبروز مجدد القرن الرابع عشر الهجري المحدث الأكبر محمد بدر الدين الحسيني، الذي تسلم مشيختها وأعاد لها عزها ومجدها وفخرها، فمن دار الحديث وعلى يدي شيخها المحدث الأكبر تخرج علماء الشام والبلدات الشامية، وما من عالم بدمشق في عصرنا الحاضر أو طالب علم إلا وهو تلميذ له أو تلميذ لتلاميذه<sup>(٣)</sup>.

(١) هكذا وصفها الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى. الفتاوى (٢/٢٥٣).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (١٠/٣٩٨، ٢٠٠).

(٣) من كتاب «دار الحديث الأشرفية بدمشق»، للدكتور محمد مطيع حافظ، بتصرف يسير.

## سلاطين الأمة وفتحوها وأبطلها سابقا وحاضرا أشاعرة وماتريديّة:

وأما الملوك والسلاطين والقادة والفاخون والعظماء، فحدّث عن انتسابهم لأهل الأشاعرة والماتريديّة بلا شك أو تخرج.

فمنهم الملك المجاهد الشهيد عماد الدين زنكي، وابنه الملك العادل المجاهد نور محمد محمود رحمه الله تعالى ورضي عنه. وقد كانا معروفين بالتدين الشديد، ومحبة العلم وهدم ومحاربة البدع الاعتقادية والعملية، ومنهم السلطان المجاهد الناصر لدين الله تعالى ص- الدين الأيوبي رحمه الله، وهو الذي حظي بشرف تطهير المسجد الأقصى من الصليبيين.

يقول الجبرتي عن الأشاعرة وصلاح الدين: «وأظهر الناصر يوسف الشريد الحمديّة، وطهر الإقليم يقصد مصر - من البدع والتشيع والعقائد الفاسدة، وأظهر عتد- أهل السنة والجماعة، وهي عقائد الأشاعرة والماتريديّة، وبعث إليه الإمام أبو حامد الغزالي بكتاب ألفه له في العقائد، فحمل الناس على العمل بما فيه، ومحا من الإقليم مستنكرت الشرع وأظهر المهدي»<sup>(١)</sup> اهـ.

ومنهم الملك الصالح نجم الدين أيوب، والملك المظفر المجاهد التقي سيف الدين قطز رحمه الله تعالى، الذي حظي بشرف دحر التتار عن بلاد الإسلام، والملك المجاهد الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، والملك المنصور سيف الدين قلاوون الأفقي، وابنه الملك الناصر محمد بن قلاوون وابنه السلطان حسن، وبقية السلاطين من نسل قلاوون، ومن جاء بعدهم من حكام وسلاطين دولة المماليك، حتى أنهى حكمها العثمانيون.

ومما يُستشهد به لإثبات فضل السادة الأشاعرة والماتريديّة: ما جاء في الحديث النبوي الشريف من الدعاء والثناء على الجيش الذي يفتح القسطنطينية وأمير ذلك الجيش. وهو من الإشارات الباهرة لحبيبتنا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

(١) عجائب الآثار للجبرتي: (١/١٠). قلت: توفي الغزالي رحمه الله تعالى سنة ٥٠٥ هـ قبل أن يملك صلاح الدين الأيوبي مصر بكثير. لكن الثابت المجمع عليه أن صلاح الدين هو الذي قرر عقيدة الغزالي في مصر بعد طرد الباطنية. فلعل بعض طلاب الغزالي أرسلها إليه عندما طلب منه صلاح الدين عقيدة يقرأها الشيوخ على أهل مصر.



فَقَدْ رَوَى جَمْعٌ مِنَ الْأُمَّةِ عَنِ بَشْرِ الْغَنَوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتُقْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ» (١).

وَهَذَا الْحَدِيثُ حَدَاً بِكَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْذُ زَمَنِ الصَّحَابَةِ إِلَى الَّذِينَ بَعْدَهُمْ وَالَّذِينَ بَعْدَهُمْ أَنْ يَحَاوِلُوا الْكُرَّةَ بَعْدَ الْكُرَّةِ فَتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِيَحْظُوا بِهَذَا الشَّرَفِ السَّامِيِّ وَالشَّانِ الْعَظِيمِ الْعَاطِرِ مِنَ الْمُصْطَفَى ﷺ، فَذَخَرَ اللَّهُ هَذَا الشَّرَفَ وَهَذِهِ الْمُنْقَبَةَ لِلسُّلْطَانِ الْعُثْمَانِيِّ مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَجَيْشِهِ الْمَقْدَامِ الْجَسُورِ. وَفَتَحَتِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَفَازَ الْفَاتِحُ وَجَيْشُهُ بِنِشَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَمَا لَا يَخْفَى عَلَى شَادٍ فِي التَّارِيخِ، أَنَّ مُحَمَّدًا الْفَاتِحَ وَالْعُثْمَانِيِّينَ جَمِيعًا كَانُوا أَحْنَافًا فِي الْفُرُوعِ، مَا تَرِيدِيَّةً فِي الْإِعْتِقَادِ.

وَالسُّؤَالُ الَّذِي يَرُدُّ هُنَا: أَيَكُونُ ثَنَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مُبْتَدِعٍ وَضَالٍّ؟! أَيُصَحُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الثَّنَاءُ الْعَاطِرُ عَلَى فَاتِحِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ نَصِيبِ مَنْحَرَفٍ فِي الْإِعْتِقَادِ!

وَمِنْ مَتَأَخَّرِي الْأَبْطَالِ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يَفْخَرُ أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةُ بِهِمْ: الْأَسَدُ الْمَهْصُورُ عَمْرُ الْمُخْتَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ أَحَدُ أَعْلَامِ وَأَتْبَاعِ الْحُرُوكَةِ السَّنُوسِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ، وَمِنْهُمْ الْعَلَامَةُ الْمُجَاهِدُ الصُّوفِي النَّاسِكُ بَدِيعُ الزَّمَانِ سَعِيدُ النَّوْرَسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، مَحْبِي الْإِسْلَامِ فِي تَرْكِيَا بَعْدَ أَنْ كَادَتْ تُوْدِي بِهِ رِيَاحُ اللَّادِينِيَّةِ الْأَتَاتُورِكِيَّةِ، وَمِنْهُمْ الْبَطْلُ الْمُجَاهِدُ الْأَزْهَرِيُّ عَزَّ الدِّينَ الْقَسَامُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ الْعُلَمَاءِ النَّسَّاكِ الْمُتَّصِفَةِ وَالْمُجَاهِدِينَ، وَالْبَطْلُ الْمُجَاهِدُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجَزَائِرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَالْبَطْلُ الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ يَاسِينَ مَوْسَسُ حُرُوكَةِ حَمَاسٍ، وَالْبَطْلُ الْمُجَاهِدُ الْإِمَامُ شَامِلٌ فِي الْقَوَاقِزِ. وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ الْكَثِيرِ مِمَّنْ لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا خَالِقُهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَهَؤُلَاءِ بَعْضُ الَّذِينَ اشْتَهَرُوا بَيْنَ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ عَلَى السَّوَاءِ. فَمَفَاخِرُ أَهْلِ السَّنَةِ لَا

(١) صَحْحَةُ الْحَاكِمِ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٤/٤٦٨)، وَوَافِقُهُ الذَّهَبِيُّ. وَعَزَاهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ (٦/٣٢٣) إِلَى أَحْمَدَ وَالْبَزَارِ وَالطَّبْرَانِيِّ، وَقَالَ رَجَالُهُ ثَقَاتٌ. وَقَالَ الْبُوصَيْرِيُّ فِي إِتْحَافِ الْخَيْرَةِ الْمَهْرَةِ (٨/١٠٦): رَوَاهُ ثَقَاتٌ.

الانتصر لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السننية:  
تدخل تحت الحصر، وأنتى لنا بكيلى ماء البحر أو عدّ نجوم السماء، وإنما كان ذكراً هؤلاء  
الأكارم استئناساً لا استشهاداً، إذ فيما ذكر سابقاً من الحجج والبراهين كفاية وبلاغ.

ورحم الله الإمام عبد القاهر البغدادي إذ يقول: «لا خصلة من الخصال التي تُعدّ في  
المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم وأنواع الاجتهادات، إلا ولأهل السنة والجماعة  
في ميدانها القدر المعلى والسهم الأوفر»<sup>(١)</sup> اهـ.

ورحم الله الإمام العلامة عبد الله بن علوي الحداد حيث قال: «اعلم أن مذهب  
الأشاعرة في الاعتقاد هو ما كان عليه جماهير أمة الإسلام -علمائها ودهماؤها-، إذ المنتسبون  
إليهم والسالكون طريقهم كانوا أئمة أهل العلوم قاطبة على مرّ الأيام والسنين، وهم أئمة  
علم التوحيد والكلام والتفسير والقراءة والفقهاء وأصوله والحديث وفنونه والتصوف واللغة  
والتاريخ»<sup>(٢)</sup> اهـ.

## فللمسلم العاقل أن يتساءل بعد كل ما مر وما قيل:

ما الهدف من القدر بأعلام المسلمين، وإسقاط الهيبة والتوقير من قلوب الأجيال  
المسلمة لهم !!؟

لماذا يصبر البعض على تحطيم صروح الدين من خلال تحطيم أعلامه ورموزه؟!!

تُرى. ألا يمكن أن يقام مجد للمتأخرين إلا على أنقاض شرف الأولين؟!!

لذا -ورغم كل ما ذكر من أسماء العلماء والحفاظ والسلطين والمجاهدين والعظماء-  
سأحاول مستعيناً بالله تعالى من خلال هذه الوريقات أن أثبت بالدليل القاطع أن الأشاعرة  
والماتريدية هم الامتداد الصحيح والتطور الطبيعي لأفكار السلف الصالح، وأنهم أهل السنة  
والجماعة. وبعدها سيتضح أمر المجسمة كذلك لكل ذي عينين باصرتين.

## التخويف من اشتعال الفتنة بالرد على المجسمة:

وقد يسأل سائل مشفق: أليس هذا نفخاً في كبر الفتنة، ونحن أحوج ما نكون إلى إخماد

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي: (٢٨٣).

(٢) نيل المرام شرح عقيدة الإسلام لعبد الله بن علوي الحداد: (٨).

السبب الأول: قبيح مهمهم والظلمة التي غلبت قلوبهم. أليس السكوت عن هذه الخلافات أولى لجمع كلمة المسلمين؟ ألم يرسكت السلف عن هذه المهاترات ويتعدوا عنها وينهوا أتباعهم عن الخوض فيها؟

فأقول له ما قاله سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى، عندما قيل له مثل ذلك الكلام، لما أراد إسكات الحشوية المجسمة بالحجة والبرهان.

قال رحمه الله تعالى: «كيف يُدعى على السلف أنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه أو يسكتون عند ظهور البدع؟ والعلماء ورثة الأنبياء، فيجب عليهم من البيان ما وجب على الأنبياء، وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ٤٤]. ومن أنكر المنكرات التجسيم والتشبيه، ومن أفضل المعروف التوحيد والتنزيه. وإنما سكت السلف قبل ظهور البدع.

فورب السماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع، لقد تشمر السلف للبدع لما ظهرت فقمعوها أتم القمع، فجاهدوا في الله حق جهاده. والجهاد ضربان: ضرب بالجدل والبيان، وضرب بالسيف والسنان.

فليت شعري، فما الفرق بين مجادلة الحشوية وغيرهم من أهل البدع. وإذا سئل أحدهم عن مسألة من مسائل الحشو أمر بالسكوت عن ذلك، وإذا سئل عن غير الحشو من بدع أجاب فيه بالحق، ولولا ما انطوى عليه باطنه من التجسيم والتشبيه لأجاب في مسائل حشو بالتوحيد والتنزيه.

ولم تنزل هذه الطائفة المبتدعة قد ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا، لا تلوح لهم فرصة إلا ضروا إليها ولا فتنة إلا أكبوا عليها، والكلام في مثل هذا يطول. ولولا ما وجب على العلماء من إعزاز الدين وإخمال المبتدعين، وما طوّلت به الحشوية ألسنتهم في هذا الزمان من الطعن في أعراض الموحدين والإزرار على كلام المنزهين لما أطلت النفس في مثل هذا مع إيضاحه، ينكن قد أمرنا الله بالجهاد في نصره دينه. إلا أن سلاح العالم علمه ولسانه، كما أن سلاح نيك سيفه وسنانه.

فكما لا يجوز للملوك إغماذ أسلحتهم عن الملحدين والمشركين، لا يجوز للعلماء إغماذ ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين. فمن ناضل عن الله وأظهر دين الله كان جديراً أن يحرسه الله بعينه التي لا تنام، ويُعزّه بعزه الذي لا يُضام، ويحوطه بركنه الذي لا يُرام، ويحفظه من جميع الأنام.

وما زال المنزهون والموحدون يُفتون بذلك على رؤوس الأشهاد في المحافل والمشاهد، ويجهرون به في المدارس والمساجد، وبدعة الحشوية كامنة خفية لا يتمكنون من المجاهرة بها، بل يدسّونها إلى جهلة العوام، وقد جهروا بها في هذا الأوان. فنسأل الله تعالى أن يُعجّل بإخماها كعادته<sup>(١)</sup> اهـ.

رحم الله شيخ الإسلام وسلطان العلماء العز بن عبد السلام، فقد كان قوَّالاً للحق، عارفاً بالأحكام، ذا نظرة ثاقبة ورأي سديد.

- ومن الخطأ أن نعتقد أن المتزَّهين استفتحوا الكلام في نفي التجسيم قبل أن يحوم فريق من المسلمين حول حمى التشبيه والتجسيم، ومن الخطأ أيضاً أن نطالب بالسكوت عن النفي بعد الغرق في الإثبات. خاصةً ونحن نعلم أن المخالف في أصل هذه المسألة لم يرض بالسكوت، بل عاب على مَنْ أَمَرَهُ بالسكوت أيضاً<sup>(٢)</sup>. حتى إن الذهبي روى قول أحدهم: «قال ابن طاهر: وسمعت أبا إسماعيل الأنصاري<sup>(٣)</sup> يقول بهراً<sup>(٤)</sup>: عُرِضْتُ عَلَى السيفِ خمس مرات، لا يقال لي ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عنم خالفك؛ فأقول: لا!!»<sup>(٥)</sup> اهـ.

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٨/٢٢٣). وانظر: التجسيم في الفكر الإسلامي، د. صهيب محمود السقار.

(٢) التجسيم في الفكر الإسلامي، د. صهيب محمود السقار.

(٣) أبو إسماعيل الهروي هو الذي كان المجسمة بهراً بلبقونه شيخ الإسلام، نكاية بمن سمي به الحافظ أبو عثمان الصابوني. وسيأتي الكلام عنه إن شاء الله تعالى في موضعه.

(٤) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٥/٣٩٦): هَراة بالفتح مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء، اهـ. قلت: هي الآن في أفغانستان.

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي: (٣/٢٤٩).

باب الأول: تمهيد مهم وإطلالة تدرجية مفيدة

فالسكوت عن هذا الإصرار على الخوض في البدعة وتبديع أهل الحق، يغري أصحاب البدع بالكلام فيها والتجاسر على نشرها، لضمائمهم سكوت العلماء من أهل السنة، مخفة الخوض في الفتنة!!

ومن ذلك قول ابن قتيبة: «ولرأ أقل عذراً ممن أمر بالسكوت والتجاهل بعد هذه الفتنة، وإنما يجوز أن يؤمر بهذا قبل تفاقم الأمور ووقوع الشحناء، وليس في غرائز الناس حتمال الإمساك عن أمر في الدين قد انتشر هذا الانتشار، ولو أمسك عقلاؤهم ما أمسك جهلاؤهم، ولو أمسكت الألسنة ما أمسكت القلوب. وأما قولهم هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها فلا تتكلفوها، فإنما يفرغ الناس إلى العالم في البدعة لا فيما جرت فيه السنة وتكلم فيه بأرائل. والكلام لا يعارض بالسكوت، والشك لا يداوى بالوقوف، والبدعة لا تدفع بسنة، وإنما يقوي الباطل أن تبصره وتمسك عنه. فإن قيل إن الثوري وابن المبارك لم يتكفموا، قلنا: لكل زمان رجال»<sup>(١)</sup> اهـ.

ويعلم الله تعالى أنه لولا ما تسبب فيه هؤلاء من إيقاع الفتنة وزرع البغضاء والعداوة بين المسلمين، بتضليلهم لعلماء الأمة وفقهائها ومحدثيها ومفسريها ومتكلميها، ولولا انخداع كثير من طلبة العلم فيهم، ما كتبت حرفاً واحداً في ذلك. فאלله المستعان.

١: اختلاف في اللفظ لابن قتيبة الدينوري: (٤٧-٥١). وانظر: التجسيم في الفكر الإسلامي - د. صهيب محمود السقار.



# الباب الثاني

## التجسيم في الفكر الإسلامي





## الباب الثاني

### التجسيم في الفكر الإسلامي

في التمهيد السابق ألمحنا إلى التجسيم وأهله وبعض فرقه، ومن الأهمية بمكان أن نتناول أهم فرق ومظاهر ومراجع ومؤلفات التجسيم عند المسلمين بشيء من التفصيل، حتى يكون القارئ على بينة من حجم تلك الطائفة وما لها من تأثير في عصرنا الحاضر، بعد أن كانت لا تُذكر في الماضي، بل وتُنبذ من كل فرق المسلمين التي عرفت منهجها وفكرها. وسوف يكون الكلام على من اشتهروا بالتجسيم دون غيرهم، كي لا يطول البحث.

وأشهر الفرق والأسماء التي سَرَتْ فيها مقالات التجسيم واعتنقها أتباعها ودافعوا عنه واشتهروا به في التاريخ، فرقة الكَرَامِيَّة وما تفرَّع عنها، وهم أتباع محمد بن كَرَام السَّجِسْتَانِيٍّ<sup>(١)</sup>.

وهناك فِرْقٌ تَسَمَّى بها المجسمة وتَسَرَّروا تحتها، وظهروا للناس في ثيابها قديما وحديثا، -وليس هناك تلازمٌ في الأصل بين هذه الفرق وبين مذهب التجسيم-: كالحنابلة وأهل الحديث، لما لهُذين اللقبين من قبول عند عامة المسلمين.

وسنبداً بالكلام عن الحنابلة وأهل الحديث، ثم نتبع ذلك بالكلام عن الكرامية، ثم نختمه بالكلام عن المجسمة المعاصرين أدعياء السلفية.

أما الحنابلة: فمنسوبون لإمام أهل السنة وَعَلَمِهَا الكبير الميجل، أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ورضي عنه، أحد الأئمة الأربعة المجتهدين، الذين اتفقت الأمة على قبول اجتهادهم وجواز التعبد على مذهب أحدهم.

(١) السَّجِسْتَانِيٌّ، وكذلك يقال السَّجَزِيٌّ: نسبة إلى سَجِسْتَانَ، وأغلب الظن أن هذا الإقليم الآن بين أفغانستان وباكستان، ولعله كله أو الجزء الأكبر منه في باكستان.



الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أذعياء -

وأما أهل الحديث: فهم حَمَلَةُ السنة النبوية المطهرة، الذين يعرفون عن رسول الله وأصحابه ما لا يعرفه غيرهم إلا من طريقهم. فهم الذين ينقلون للأمة هدي قديهم ويعرفون الصحيح من السقيم فيما روي لنا من الآثار ونقل إلينا من الأخبار. ولأجر - كانوا أحرص الناس على الاتِّباع وأبعدهم عن الابتداع.

فلماذا إذن كانت هاتان الفرقتان دون غيرهما يُرمى كثير من ممن انتسبوا إليهما بنتن والتجسيم؟ وكيف اشتهر ذلك عنهما مع عِظَم قدر أئمتها وعلو شأنهم في الدين؟

## الفصل الأول

### التجسيم في فكر الحنابلة<sup>(١)</sup>

نعوذ بالله أن يكون غرضنا في عقد هذا المبحث هو الطعن بمذهب من مذاهب أهل سنة، بل الأمر على عكسه؛ لأن الذي دعا إلى تخصيص البحث في مسألة التجسيم في فكر حنابلة خاصة دون غيره من المذاهب الفقهية، هو ميل بعض الحنابلة إلى الغلو في الإثبات، ورغبة بعض مخالفيهم في عدّ قول هؤلاء الغلاة قولاً لعامة الحنابلة. والحق، أن علماء الحنابلة تنزهون عن هذا الغلو، وقد لهجوا بالبراءة منه وبثبوت إمامهم أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى عنه أيضاً.

يقول العلامة ابن الجوزي رحمه الله كلاماً ينبغي أن يكتب بهاء الذهب: «اعلم وفقك الله تعالى، أني لما تتبعت مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى رأيته رجلاً كبير القدر في العلوم، قد بلغ رحمة الله عليه في النظر في علوم الفقه ومذاهب القدماء، حتى لا تأتي مسألة إلا وله نص أو تنبيه، إلا أنه على طريق السلف، فلم يُصنّف إلا المنقول، فرأيت مذهبه خالياً من تصانيف التي كثر جنسها عند الخصوم.

ورأيت من أصحابنا -يعني الحنابلة- من تكلم في الأصول بما لا يصلح. وتندب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد<sup>(٢)</sup>، وصاحبه القاضي<sup>(٣)</sup>، وابن

(١) إلى آخر الباب الثاني مستفاد -إلا قليلاً- من كتاب «التجسيم وأثره في الفكر الإسلامي» للدكتور صهيب محمود السقار - رسالة دكتوراه من جامعة بغداد، يشر الله طباعتها ونشرها. وربما تصرفت بتغيير الترتيب، رغبة في التيسير أو التنبيه على شيء، أو تصرفت في بعض الجمل بالتغيير في الألفاظ أو إضافة ملاحظات وذلك نادر، لكون الشيخ كفي ووفى، ولم أجد خيراً من عبارته، وقد استأذنته في نقل هذا الباب فأذن لي حفظه الله تعالى وتقبل منه جهده في خدمة العقيدة الصحيحة ونفع به ويعلمه.

(٢) قال العلامة الكوثري في تعليقه على «دفع شبه التشبيه»: هو شيخ الحنابلة أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوراق، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ كان من أكبر مصنفيهم، له «شرح أصول الدين»، فيه طامات، ولديه تخرّج القاضي أبو يعلى الحنبلي.

(٣) قال الكوثري في المرجع السابق: هو القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي، =

الزاغوني<sup>(١)</sup>. فصنفوا كتباً شأنوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحده الصفات على مقتضى الحس. فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صر ووجهاً زائداً على الذات، وعينين وفماً ولهوات، وأضراساً ويدين وأصابع وكفأ وخنف وإبهاماً، وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين. وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس!! وقالوا: يجوز . يَمَسُّ وَيُمَسَّ، ويدي العبد من ذاته. وقال بعضهم: ويتنفس!! ثم يرضون العوام بقولهم: كما يُعقل<sup>(٢)</sup>.

ثم يتخرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون: نحن أهل السنة وكلامهم صريح في التشبيه. وقد تبعهم خلق من العوام. فقد نصحت التابع والمتبوع، فقل لهم: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول وهو تحت السية = «كيف أقول ما لم يُقل». فإياكم أن تبدعوا في مذهبه ما ليس منه. فلو أنكم قلت: نذ الأحاديث ونسكت، ما أنكر عليكم أحد. إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح، فلا تُدخِلوا مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه، ولقد كسيتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً، حتى صار لا يقال حنبلي إلا مجسم<sup>(٣)</sup> اهـ.

ولهج شيوخ الحنابلة من قبل ابن الجوزي في الإنكار الشديد على أبي يعلى، حتى قد فيه كلمة شنيعة، لا نقصد بنقلها إلا بيان غيرة أكابر هذا المذهب على مذهبهم. كما فعل شيخ

= المتوفى سنة ٤٥٨هـ، وقال فيه أبو محمد التميمي ما معناه: «لقد شان أبو يعلى الحنابلة شيئاً لا يغسله ر البحار» على ما نقله ابن الأثير وأبو الفداء، وعزا في طبقاته إلى الإمام أحمد ما يبعد أن يصح عنه كل البعد ونقل ابن بدران الدشتي في جزء «إثبات الحد» عن كتاب الأصول لأبي يعلى هذا ما هو أفظع مما سينت المصنف عنه في التشبيه، على تضارب في أقواله بين تنزيه وتشبيه، ولا يخفى على الناظر أنه غير الحافظ . يعلى أحمد بن علي الموصلي صاحب المسند وراوي كتب أبي يوسف عن بشر بن الوليد.

(١) قال الكوثري في المرجح السابق: هو أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي، المتوفى ٥٢٧هـ وهو من مشايخ ابن الجوزي، وله في كتاب «الإيضاح» من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبيه.

(٢) وهي بعينها كلمة أدعياء السلفية اليوم. فيثبتون لله تعالى ما يثبتون للأجسام، ثم يقولون ليس كمثل م ع الأجسام!

(٣) دفع شبه التشبيه لابن الجوزي: (٣٠-٣٣).

سـ الأول: التجسيم في فكر الحنابلة  
حنابلة رزق الله التيميمي. فقال في حق القاضي أبي يعلى وكتابه إبطال التأويلات: «لقد خري  
- يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء<sup>(١)</sup>!»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وأنت إذا تأملت منزلة هذا القائل المشهود له بالرياسة والتقدم في الفقه والأصول  
وتفسير العربية، مع ما له من الحشمة والهيبة وعلو الكعب في الوعظ، احتجّت مع ذلك  
بـ الإطلاع على كتاب أبي يعلى، لتعرف أن هذه الكلمة لم تصدر منه إلا لغيرته الشديدة على  
مذهب الحنابلة، من أمر فظيع نُسب إليهم بسبب أبي يعلى. فإذا وقفت على ما في إبطال  
تأويلات من إثبات الأضراس واللّهوات والفخذ والساعد والساق والأبغاض ورؤيته على  
صخرة شاب أمرد، ونحو ذلك مما هو مبسوط في موضعه، علمت أن التيميمي رحمه الله لم  
يغدر وقاره إلا لأمرٍ لو سكت عنه لما بقي معه شيء من وقار ولا حشمة. وكان الغرض من  
هذه اللفظة لفت الأنظار إلى براءة المذهب مما نسب إليه بسبب الغالين فيه.

ولكن بعض المعاصرين وقع فيما خاف منه أكابر الحنابلة على مذهبهم. من ذلك أن  
سَقَاف<sup>(٣)</sup> إذا حكى قولاً من الأقوال المنكرة، ينسبه إلى مذهب الحنابلة والمجسمة<sup>(٤)</sup>، بل  
يتطاول على الإمام أحمد.

فيقول تعليقاً على قولٍ وقف هو نفسه على عدم صحته إلى أبي ثور: «وكل هذه  
خرافات أتى بها أبو ثور من أحمد بن حنبل، على أنه بعد هذا الولاء لأحمد، رجع أحمد فقال  
بـه جهمي»<sup>(٥)</sup> اهـ.

(١) وهذا الكتاب كثر الكلام فيه وفي مؤلفه القاضي أبي يعلى، وأشار الذهبي في السير (١٨/٩٠) إلى ما يقتضي  
رجوع أبي يعلى عنه بعد ما قام عليه العلماء لتأليفه هذا الكتاب، ووصل الأمر إلى الخليفة القادر بالله  
العباسي، وقال أبو يعلى على الملأ: القرآن كلام الله، وأخبار الصفات تُمرّ كما جاءت.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير: (٣٧٨/٨).. وتبديد الظلام المخيم للكوثري مع السيف الصقيل للسبكي:  
(١٤٨).

(٣) مؤلف معاصر من المهتمين بمباحث التجسيم والمجسمة.

(٤) انظر العلو للذهبي بتحقيق حسن السقاف: (٥٣١).

(٥) المرجع السابق: (٤٦٨).

الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية

بل انسأقت نفسه إلى التطاول على الأشاعرة أيضاً إذا ذُكروا مع الحنابلة، فيتحدث عن الإمام الباقلاني، الذي لفت نظره في ترجمته أنه كان موافقاً لكبار الحنابلة. فقال: «ذكر الذهبي في ترجمته: «أمر شيخُ الحنابلة أبو الفضل التميمي<sup>(١)</sup> منادياً يقول بين يدي جنازته، هذا ناصر السنة والدين، والذابُّ عن الشريعة». فهذا أمرٌ عجبٌ عجاب، مع ما عُرف به الحنابلة من معاداتهم للأشعرية وشدة بغضهم لهم، ... وقال الذهبي في ترجمة شيخ الحنابلة التميمي في السير أيضاً: «كان صديقاً للقاضي أبي بكر الباقلاني ومُؤاداً له». وفي كتاب تبين كذب المفتري لابن عساكر بيان أكثر من هذا عن الصداقة<sup>(٢)</sup> اهـ. وذكر السقافُ الإمامَ الباقلانيَّ في غير هذا الموضوع، فرماه بالتجسيم صراحة<sup>(٣)</sup>!

والذي دعانا إلى ذكر هذا الكلام، هو بيان ما آل إليه الوهم في خلط مذهب الحنابلة وإمامهم بمذهب بعض الغلاة منهم، أو الأدعياء المنتسبين إلى المذهب وهم في الواقع متمذهبون بما فهموه بأنفسهم وظنوه مذهبَ الإمام أحمد، خاصةً المتأخرون منهم. ولا يخفى أن غالبية المتقدمين والمقدمين من أصحاب أحمد على مذهبه في التنزيه، لا خلاف بينهم وبين الأشاعرة في ذلك.

يقول ابن الجوزي في الكتاب الذي حققه السقاف: «وكان الإمام أحمد يقول: أمرُّو الأحاديث كما جاءت، وعلى هذا كبار أصحابه كإبراهيم الحربي<sup>(٤)</sup>. ومن كبار أصحابنا أبو

(١) عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي، شيخ الحنابلة ورئيسهم في عصره، عني بعدة علوم وأمل الحديث بجامع المنصور. وكانت له حلقة في جامع المدينة للوعظ والفتوى. توفي سنة ٤١٠ هـ ودفن بجوار الإمام أحمد، وحضر جنازته أكثر من خمسين ألفاً. انظر: طبقات الحنابلة: (٢/١٧٧)، وسير أعلام النبلاء: (١٧/٢٧٣)

(٢) المرجع السابق: (٥٣٩).

(٣) المصدر السابق: (٥١٩).

(٤) قال السيوطي في بغية الوعاة (١/٤٠٨): إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله بن ديسم أبو إسحاق الحربي. قال ياقوت: كان إماماً في العلم ورأساً في الزهد، عارفاً بالفقه بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميّزاً للعلّة، قيماً بالأدب جماعاً للغة. وقال الدارقطني: كان إماماً يقاس بأحمد ابن حنبل في زهده وعلمه وورعه، وهو إمام مصنف، عالم بكل شيء، بارع في كل علم، صدوق ثقة. مات ببغداد في ذي الحجة سنة ٢٨٥ هـ.

الفصل الأول: التجسيم في فكر الحنابلة. وأبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب، وأبو الوفاء بن عقيل<sup>(١)</sup> (٢) اهـ. وهذا مما لا ينكره أحد من أهل التنزيه.

وحكى أبو الفضل التميمي اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل، فقال: «وأنكر علي من يقول بالجسم، وقال: إن الأسماء مأخوذة بالشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على كل ذي طول وعرض وسُمْكٍ وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يَجْزُ أن يسمى جسماً، لخروجه عن معنى الجسمية، ولرَيْحِيٍّ في الشريعة ذلك، فَبَطُلَ»<sup>(٣)</sup> اهـ.

ومثل هذه النصوص كثيرة مذكورة في مواضعها، فنبهنا إلى الله عز وجل من نسبة التجسيم إلى الحنابلة، كما برّأهم الأشاعرة من ذلك.

قال الشهرستاني: «فأما أحمد بن حنبل وجماعة من أئمة السلف، فَجَرَّوْا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث، وسلكوا طريق السلامة. فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل، بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات، وأن كل ما تَمَثَّلَ في الوهم فإنه خالقه ومُقدِّره، وكانوا يحتززون عن التشبيه، إلى غاية أن قالوا: مَنْ حَرَّكَ يده عند قراءة قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وجب قطع يده»<sup>(٤)</sup> اهـ.

(١) قال ابن العماد في شذرات الذهب (٤/ ٣٤): قال السلفي: ما رأيت مثله، وما كان أحد يقدر أن يتكلم معه، لغزارة علمه وبلاغة كلامه وقوة حجته. قال ابن الجوزي: وأفتى ودرس وناظر الفحول واستفتي في زمرة من الكبار، وجمع علم الفروع والأصول وصنف فيها الكتب الكبار، اهـ. وقال ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٢٤٣): من كبار الأئمة، كان معتزلياً، ثم أشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك، وصحت توبته، ثم صنف في الرد عليهم، وقد أثنى عليه أهل عصره ومن بعدهم، اهـ. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/ ١٨٤): كان يجتمع بهم جميع العلماء من كل مذهب، فربما لامه أصحابه، فلا يلوي عليهم، فلهمذا برز على أقرانه، وساد أهل زمانه، في فنون كثيرة، مع صيانة وديانة، وحسن صورة، وكثرة اشتغال، اهـ توفي سنة ٥١٣هـ.

(٢) دفع شبه التشبيه لابن الجوزي بتحقيق السقاف: (١١١).

(٣) اعتقاد الإمام الميجل ابن حنبل: (٢٩٤-٢٩٥).

(٤) الملل والنحل: (١٠٤).

الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية

فهذا التوافق بين الحنابلة والأشعرية يدل على اتفاق المذهبيين على تَنْزِيهِ الله عز وجل. فأبي سبب يدعو إلى الخلاف والنزاع؟ وأي ضير وجده السقاف وغيره من الوفاق بين أهر السنة، حنابلةً وأشاعرةً وماتريديّةً.

وإنما حصل النزاع والافتراق بين غلاة الحنابلة وبين الأشاعرة، فقد كان أكابر ومقدم الحنابلة مع الأشاعرة في هذا النزاع.

وفي ذلك يقول الإمام الحافظ ابن عساكر: «وعلى الجملة، فلم يزل في الحنابلة طائفة تغلو في السنة وتدخل فيما لا يعينها، حُباً لِلْحُقُوفِ في الفتنة. ولا عار على أحمد رحمه الله من صنعهم، وليس يتفق على ذلك رأي جميعهم. قال أبو ذر الهروي: سمعت ابن شاهين -وهو من أقران الدارقطني ومن أصحاب الحديث المتسنين- يقول: رجلان صالحان ابْتِئِبَ بأصحاب سوء، جعفر بن محمد<sup>(١)</sup>، وأحمد بن حنبل<sup>(٢)</sup>» اهـ.

وربما كان من أسباب ابتعاد كثير من الحنابلة عن عقائد جمهور الأمة، هو مزيد التعرّب بكل ما يُعزّي للإمام أحمد، مع تساهلهم في دراسة أسانيد تلك الأقوال المروية عنه.

خذ على سبيل المثال الرسالة التي رواها ابن أبي يعلى بسنده عن أحمد بن جعفر بن يعقوب الاصطخري عن الإمام أحمد. ففيها عبارات مُوهِّمةٌ، ينبو عنها القلب ويستنكره منها: وصف الله جل وعلا بأنه يتحرك<sup>(٣)</sup>. والمعلّق على الطبعة القديمة لا يعلق بشيء، وكذا المعلّق على الطبعة الجديدة، رغم أن هذا لم يجد ترجمة لبعض رجال السند، لكنه لا يهتم بهذا.

(١) هو الإمام ابن الأئمة سليل العترة المحمدية، جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم سلام الله تعالى. حيث ابْتُلِيَ بالروافض الذين يدعون أنهم على مذهبه وهو منب بريء، وابتلي أحمد بن حنبل بالمجسمة أدعياء السلفية وهو منهم بريء. توفي سنة ٢٤٨هـ.

(٢) تبين كذب المفتري لابن عساكر: (١/١٦٣).

(٣) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: (١/٢٩). وهي كذلك في الطبعة المحققة: (١/٦١). والمحقق لا يعلق على السند ولا على المتن! وقد صار المقصود من التحقيق عند كثيرين إخراج نص المؤلف بالمقابلة عن النسخ الخطية، بغض النظر عن التحقق من صحة النص! فحسبنا الله ونعم الوكيل، وإنا لله وإن يئ. راجعون.



بل لعلك تجد عند بعض الحنابلة في كتب العقيدة: أن الله تعالى يتحرك! وأن هذا هو قول السلف! وأن من لم يعتقد ذلك فهو جهمي مُعَطَّل! وكأنهم يجعلون الكلمة التي رويت عن الإمام أحمد جزءاً من عقيدة السلف لمجرد أنها رويت عنه، ولو كان في سندها إليه راو مجهول! فتأمل واعجب. هذا مع قولهم إنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، ويسكتون عما سكت عنه!<sup>(١)</sup>

لكن الإمام الذهبي رحمه الله ذكر إحدى الرسائل المنقولة عن الإمام أحمد بن حنبل وأثنى عليها، ثم قال: «وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه كرسالة الاضطخري ففيها نظر»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال: «لا كرسالة الاضطخري، ولا كالرد على الجهمية، الموضوع على أبي عبد الله<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup> اهـ.

وإنما علا زَبَدُ هَوْلَاءِ الغلاة في فترة عصيبة مرت بها الدولة الإسلامية، فاستغلوا غفلة السلطان وخدعوا العوام بما هم عليه من التَّزَهُدِ، وبما رفعوه من شعار السنة ونبذ البدعة والتَّجَهُمِ، وهذا ما شهد به المؤرخون.

من ذلك قول ابن خلدون وهو يصف بغداد: «واضطرب آخرُ الدولة العباسية بالفتن، وكثر فيها المفسدون والدُّعَارُ، وأعياء على الحكام أمرهم. وربما حدثت الفتن بين الحنابلة والشافعية وغيرهم، من تصريح الحنابلة بالتشبيه في الذات والصفات، ونسبتهم ذلك إلى الإمام أحمد -وحاشاه منه-، فيقع الجدال والنكير، ثم يفضى إلى الفتنة بين العوام. ولم يحصل من ملوكهم<sup>(٥)</sup> اهتمام لحسم ذلك، لاشتغالهم بما هو أعظم منه في الدولة والنواحي»<sup>(٦)</sup> اهـ.

(١) عقائد الأشاعرة، صلاح الدين الإدليبي، ص: (٥٩).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: (١٣٦).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: (٢٨٦/١١).

(٤) وانظر: عقائد الأشاعرة في حوار هادئ مع شبهات المناوئين، د. صلاح الدين الإدليبي: (٥٩).

(٥) يقصد الملوك الذين يحكمون البلاد تحت اسم العباسيين. فقد ضعفت الخلافة العباسية بعد وفاة المعتصم، وبقيت في عصورها المتأخرة مجرد اسم يرفعه الملوك المتغلبون على الأقاليم.

(٦) تاريخ ابن خلدون: (٤٧٧/٣). وانظر بعض فتن هَوْلَاءِ في الكامل لابن الأثير: (٥٧/٧) و(١١٤/٧).

## فإن قيل ما السبب في اختيار الغلاة مذهب الإمام أحمد بن حنبل؟

فالجواب لسببين: الأول: أن الإمام أحمد قد اشتهر موقفه في محنة خلق القرآن وطر فيها صبره وثباته، حتى صار له من القبول ما دفع إلى ادعاء الغلاة الانتساب إلى مذهبه. متظاهرين بالتمسك بالأثر والسنة كما فعل الإمام أحمد. ولا يخفى أن الإمام لم يتمسك بالاسرائيليات والأخبار الضعيفة والمتون المنكرة كما فعل هؤلاء. واستغلوا ما كتبه الله للإمد من القبول عند العوام، فزخرفوا مذهبهم بالانتساب إليه واستثاروهم بالغيرة على مذهبه.

الثاني: أن الإمام لورعه لم يصنف إلا في المنقول المأثور.

فقد قال الحافظ ابن الجوزي: «وكان الإمام لا يرى وضع الكتب، وينهي عن كتابة كلامه ومسائله»<sup>(١)</sup> اهـ.

ولهذا طمع هؤلاء في نسبة بعض أفكارهم إليه. فتجد الاختلاف في الرواية عن الإمام أحمد كثيراً، حتى أن القاضي أبا يعلى صنف في الاختلاف عن الإمام أحمد كتاباً خاصاً، وهو «الروايان والوجهان»، وجعل آخره خاصاً في المسائل المتعلقة بالعتيقة<sup>(٢)</sup>.

وتجد بعض الرسائل المنسوبة إلى الإمام اعتمد عليها الكثيرون، مع أن فيها رواة مجهولين. مثل رسالة مسدد بن مسرهد، ورسالة الاصطخري وغيرهما<sup>(٣)</sup>. بل تجد مصنفاً معتمداً ومنسوباً إلى الإمام وفي سنده إليه رجل مجهول، وهو «الرد على الزنادقة والجهمية»!

فهل انقطعت الرواية عند أهل الرواية عن إمام الرواية حتى لم يبق لها إلا المجاهيل؟!

ونختم الكلام في هذه المسألة بأبيات صادقة .. ختم بها ابن الجوزي دَفَعَهُ عن مذهب

الحنابلة، فقال:

(١) انظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزي: (٣٠). وسير أعلام النبلاء للذهبي: (٣٢٧/١١).

(٢) حُقق ما يتعلق منه بمسائل الفقه وبقي الجزء المتعلق بالعتيقة مخطوطاً في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية بالمدينة، انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العتيقة للدكتور عبد الإله الأحمدى، ص: (٤٨).

(٣) جمع هذه الرسائل عبد الإله الأحمدى، ولم يمنعه الاعتراف بوجود مجاهيل في أسانيد أكثرها من نسبتها إلى الإمام.

النفوس الأولى: التجسيم في فكر الحضارة الإسلامية  
وجاءك قوم يدعون تمذُّهباً بمذهبه ما كُئِلُ زرع له أكُلُ  
فلا في فروع يثبون لنصرة وعندهم من فهم ما قاله سُغِلُ  
إذا ناظروا قاموا مقام مقاتل فوا عجباً والقوم كلهم عُزِلُ  
قياسهم طردا إذا ما تَصَدَّرُوا وهم من علوم النقل أجمعها عَطِلُ  
إذا لم يكن في النقل صاحب فطنة تشابهت الحياة وانقطع الحبل  
ومالوا إلى التشبيه أخذاً بصورة لما نقلوه في الصفات وهم غفل  
وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد فمال إلى تصديقهم من به جهل  
وصار الأعداء قائلين لكلنا مشبهة قد ضرنا الصحب والخل  
فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم ومذهبه التزييه لكن هم اختلفوا  
لعمري لقد أدركت منهم مشايخاً وأكثر من أدركتهم ماله عقل  
وما زلت أجلو عندهم كل خصلة من الاعتقاد الرذل كي يجمع الشمل  
تسموا بألقاب ولا علم عندهم موائدهم لا حرم فيها ولا حل<sup>(١)</sup>

(١) مختصراً من دفع شبه التشبيه لابن الجوزي: (٧٨).





## الفصل الثاني التجسيم في فكر المحدثين

في البداية يجب توضيح أننا لا نقلل من أهل الحديث ولا نطعن في صدقهم وأمانتهم، حتى أولئك الذين انزلت أقدامهم في هذا الباب، فمنهم أئمة أعلام كبار في الحديث. لكنّ كثرهم عاش في فترة عاصفة بالفتن والأهواء التي لم يختبرها المجتمع المسلم قبل ذلك وبتلك قوة، ولم يكن كثير منهم يحسن غير فنه، أو يملك من الإتقان في الفنون الأخرى - وخاصة علوم الآلة - ما يمكنه من تفادي هذا الانزلاق.

بل والذي نبرئ به ساحتهم من تهمة التجسيم، أن كثيرين منهم لم يجدوا الوقت الكافي لدراسة علوم أخرى، وعلى رأسها علوم الآلة كالنحو والصرف والأصول والبيان، تلك العلوم التي يتمكن بها المسلم من معرفة دلالات الكلام ومراميه. حيث كانت همتهم في تلك نعصور منصرفه إلى جمع ما استطاعوا من الرويات في الأبواب التي يصنفون فيها. أضف إلى ذلك كون الغالبية العظمى من المتقدمين منهم أعاجم، نشأتهم وثقافتهم ومعارفهم بعيدة عن لحواضر العربية.

وقد استغرقت هذه المهمة أعمارهم وجهودهم. بل وربما حتى لم يجدوا الوقت الذي يتمكنون فيه من تنقيح مروياتهم وتهذيبها. ولذلك نجد في كتب الأئمة الكبار أحاديث صحيحة وحسنة وضعيفة، بل وموضوعة أيضاً، فقد كان ما يهمهم هو جمع كل ما يستطيعون جمعه وإسناده إلى رواته، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التنقية وإصدار الأحكام، كان هذا شأن الكثيرين منهم. وقليلون فقط هم الذين جمعوا بين الإمامة والتصدر في علم الحديث وغيره من العلوم كالفقه واللغة والأصول والكلام. فلذلك انجرف عدد منهم إلى التجسيم والتشبيه.

وهم في النهاية بشر لا يتمتعون بالعصمة من الخطأ. فيؤخذ من أقوالهم ويترك بحسب موافقتها ومخالفتها لكتب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

## مذهب أهل الحديث في الاعتقاد والفقہ:

- كما أنه من الضروري أن نُلفتَ الانتباه إلى شيء مهم للغاية، وهو أن أهل الحديث ليس لهم مذهب مستقل - لا في الفقه ولا في الاعتقاد - على عكس ما يشيعة أدعياء السلفية. الذين يسترون بهم لترويج التجسيم على الناس.

وكتبُ الرجال وبيانِ أحوال الرواة ومصنفاتُ المحدثين تشهد بأن في رِواية الحديث من الحنابلة والشافعية وسائر المذاهب الفقهية، وفيهم من الحشوية والرافضة والخوارج وغيرها من المذاهب الفكرية والاعتقادية، مَنْ لَر يُخرجهم مذهبهم الفكري من نسبتهم إلى دائرة المحدثين، وإن حُكم عليهم بالبدعة ومخالفة السنة في الاعتقاد.

وحتى المحدثون من أهل السنة، فيهم من اختار مذهب التفويض ولم يقبل التأويل لأي نص من النصوص، وفيهم أيضاً من اختار تأويل النصوص الموهمة للتشبيه على وفق السياق وما تجيزه اللغة ولا يرفضه الشرع.

والدافع إلى هذا الانتساب إلى الحديث والسلف: هو ما للحديث النبوي من القدسية. وما لأجيال السلف الصالح من المكانة عند أهل السنة. فكلهم يدَّعي وصلاً بالحديث والسلف، ويطعن في فهم مخالفه لحقيقة مذهبهم.

وقد يستغل بعض من أخطأ في فهم مذهبهم مكانة الحديث والسلف للتشيع على مخالفه وتقييح مذهبه والتفجير عنه، ويرمي بالتكُّب عن منهجهم. وهذا يوجب أن نحرر أولاً معنى مصطلح أهل الحديث، ثم نحرر مذهبهم في مسألتنا هذه خاصةً، لكي نضبط من يشمله عموم هذا الانتساب، ومن هو الحقيق بشرف إقرار الحديث الشريف له بما ادعاه من الوصال.

## معنى لقب أهل الحديث:

قال المناوي: «أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو غير ذلك، من بيتٍ وبلدٍ وصنعة»<sup>(١)</sup> اهـ.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: (٧٨).

نخصل الشني: التجسيم في فكر المحدثين  
وقال أبو هلال العسكري: «الأهل يكون من جهة النسب والاختصاص، فمن جهة  
نسب قولك أهل الرجل لقربته الأذنين، ومن جهة الاختصاص قولك أهل البصرة وأهل  
نعلم»<sup>(١)</sup> اهـ.

إذن، كلمة الأهل تطلق باعتبارين، اعتبار النسب والقربة، واعتبار الاختصاص.

وكل ما قيل في المعاجم اللغوية يؤكد هذا المعنى ولا يختلف حوله. فلو نظر الباحث في  
معني «أهل الشيء» وجد أن اللغويين وغيرهم أجمعوا على كونهم مَنْ لهم وجه اشتراك معه في  
شيء من الأشياء، مع بعض الفروق بين ما يضاف إليه لفظ «الأهل».

فإن أضيف إلى شخص فالمراد به مَنْ يجمعهم به نَسَبٌ واحد، وإن أضيف إلى بلد  
فالمراد سُكَّانها حتى لو اختلفت مذاهبهم. وإن أضيف إلى مذهب أو دين فالمراد من يعتقده  
حتى لو اختلفت أنسابهم وبلادهم. وإن أضيف إلى صنعة أو مهنة فالمراد مَنْ يشتغلون بها  
مهما اختلفت بلادهم وأديانهم ومذاهبهم وأنسابهم.

والأخير هو ما يهمننا، لأن فن الحديث النبوي باعتبار تلك الإضافة ليس مذهبا ولا  
شخصا ولا دارا، بل هو صنعة لمن اشتغل به. ومن أهل صناعة الحديث مَنْ هو على مذهب  
أهل السنة والجماعة، ومنهم من نُسب إلى القدر، ومنهم من نُسب إلى الرِّفْضِ، ومنهم من  
نسب إلى غير ذلك.

وعلى ذلك فأهل الحديث: هم المشتغلون برواية الحديث ودرايته. فكل مَنْ صَنَّفَ في  
متون الحديث النبوي، وكل من اندرج في دراسة أسانيده، وكل من غلب عليه الاشتغال  
بعلم مصطلحه، استحق أن يُعَدَّ من أهل الحديث، مهما كان نسبه أو داره أو مذهبه. وفي هذه  
الدائرة يتفاوت هؤلاء جميعا في مواقفهم من التجسيم.

ويمكن إجمال تعاطي أهل الحديث مع موضوعنا في موقفين:

الأول: موقف من يجاهر بتتزيه الله عز وجل، باختياره مذهب تفويض المراد من  
الألفاظ الواردة في نصوص المتشابه وينفي الكيف، أو باختياره تأويل هذه النصوص.

(١) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ص: (٨٤).

وعلى رأس هؤلاء من المحدثين: إمام دار الهجرة، وأحد العلماء الراسخين المقدمين المقبولين عند الخواص والعوام، الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى. الذي كان ينهى عن التحديث بالأحاديث التي توهم التشبيه وتُشكِل في المعنى<sup>(١)</sup>، مثل آيات الاستواء، والحديث الذي جاء في صورة آدم، وكان ينكر ذلك إنكاراً شديداً<sup>(٢)</sup>. وكان مجرد السؤال عن التشبيه موجباً لغضبه على السائل وطرده من المجلس كما هو مشهور عنه.

فأين الإنكار على مجرد التحديث ومجرد السؤال عن التحديث بخلق آدم على صورة: وجهه، مِنْ إثبات الاستواء مع الأيط، ونحو ذلك مما يعدونه مذهباً لأهل الحديث؟

ومن أصحاب هذا الموقف كذلك: الإمام المبجل أحمد بن حنبل، الذي ثبت عنه التأويل وتفويض المعنى، وسيأتي ذلك بشكل أوضح وأوسع في مبحث تفويض السلف وتأويلهم.

يروى ابن قدامة عن الإمام أحمد قوله في نصوص المتشابهات: «هذه الأحاديث تؤم بها ونصدق، لا كيف ولا معنى، ولا نصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وقال ابن كثير: «روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل: أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أنه: «جاء ثوابه». ثم قد البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه»<sup>(٤)</sup> اهـ.

ويروي الحافظ البيهقي عن سفيان بن عيينة<sup>(٥)</sup> قوله: «ما وصف الله تبارك وتعالى نفسه في كتابه، قراءته تفسيره، وليس لأحد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية»<sup>(٦)</sup> اهـ.

(١) الشفا للقاضي عياض: (٢/٥٤٢).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: (٥/٤٤٩).

(٣) لمعة الاعتقاد لابن قدامة: (٣).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: (١٠/٣٢٧). ونقله ابن كثير من غير انتقاد للرواية، كما يفعل مع الروايات الضعيفة والساقطة.

(٥) أحد كبار الأئمة وأعلام الهدى، قال الذهبي في السير (٨/٤٥٧): قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز.. وقال ابن خلكان: كان إماماً عالماً ثابته حجة زاهدا ورعا مجمعا على صحابه حديثه وروايته، توفي ١٩٨ هـ.

(٦) الأسماء والصفات للبيهقي: (٢/١١٧). وكذلك يروي ابن قدامة في كتابيه «لمعة الاعتقاد» و«ذم التأويل» من أقوال السلف التي تؤيد فهمنا هذا ما تقر به الأعيان.



وها هو إمام المدينة عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون<sup>(١)</sup> يقول: «كَلَّتْ الألسن عن تنسير صفته، كما أَحْصَرَت العقول دون معرفة قدره»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وها هو الإمام وكيع بن الجراح<sup>(٣)</sup> يقول عن أحاديث الصفات: «كان إسماعيل بن أبي خلد<sup>(٤)</sup> والثوري<sup>(٥)</sup> ومسعر<sup>(٦)</sup> يروون هذه الأحاديث، لا يفسرون منها شيئاً»<sup>(٧)</sup> اهـ.

ومنهم أيضاً من نص على اختيار وجه من وجوه التأويل في أحد الأحاديث كما سيأتي إن شاء الله تعالى، ولولا أنهم رأوا ما يقتضيه الحمل على الظاهر من مخالفة أدلة التنزيه ما ختاروا التأويل.

(١) قال الذهبي في السير (٣٠٩/٧): الإمام المفتي الكبير الفقيه، فصيح كبير الشأن. قال أبو حاتم والنسائي وجماعة: ثقة. قال ابن وهب: حججت سنة ثمان وأربعين ومائة، وصائح يصيح: لا يفتي الناس إلا مالك، وعبد العزيز بن أبي سلمة. قال محمد بن سعد: كان عبد العزيز ثقة، كثير الحديث، قدم بغداد، وأقام بها إلى أن توفي ١٦٤ هـ. قال ابن حبان: وكان فقيها ورعا متابعا لمذاهب أهل الحرمين، مفرعا على أصولهم، ذابا عنهم.

(٢) الحموية: (١١٣-١١٤)، والتسعينية: (٧٨)، والعلو للذهبي: (١١٤).

(٣) قال الذهبي في التذكرة (٢٢٣/١): الإمام الحافظ الثبت، أحد الأئمة الأعلام. قال أحمد بن حنبل: ما رأيت عيني مثل وكيع قط، يحفظ الحديث ويذاكر بالفقه، فيحسن مع ورع واجتهاد. وقال إبراهيم بن شماس: كان وكيع أفتقه الناس. توفي سنة ١٩٧ هـ.

(٤) قال الذهبي في السير (١٧٦/٦): الحافظ الإمام الكبير. روى ابن المبارك عن سفيان: حفاظ الناس ثلاثة: إسماعيل بن أبي خالد، وعبد الملك ابن أبي سليمان، ويحيى بن سعيد الأنصاري. قلت [الذهبي]: أجمعوا على إتيقانه والاحتجاج به، ولم يُتَبَرَّ بِتَشْيِيعٍ ولا بدعة، والله الحمد، اهـ. توفي سنة ١٤٥ أو ١٤٦ هـ.

(٥) قال ابن خلكان في الوفيات (٣٨٦/٢): أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق، الثوري الكوفي؛ كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين. ويقال: كان عمر بن الخطاب في زمانه رأس الناس، وبعده عبد الله بن عباس، وبعده الشعبي، وبعده سفيان الثوري. توفي سنة ١٦١ هـ على الأرجح، اهـ.

(٦) قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (١٤١/١): الإمام الحافظ أحد الأعلام. قال أحمد بن حنبل: الثقة مثل شعبة ومسعر. وقال وكيع: شك مسعر كيقين غيره. قال شعبة: كنا نسمي مسعرا المصحف من إتيقانه. وعن يعلى قال: كان مسعر قد جمع العلم والورع. وقال معن: ما رأيت مسعرا إلا ويزداد كل يوم خيراً.

(٧) العلو للذهبي: (١٥٠).

وهؤلاء الذين ساروا على نهج الإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل هم جـ بالانتساب إلى الحديث الشريف.

الموقف الثاني: موقف من يثبتُ بعض الأخبار الواهية المنكرة التي لا تكاد تُـ التأويل.

ومن هذا الفريق مَنْ أَلَّفَ وجمع من هذه الأحاديث والأخبار التي يسمونها - الصفات. ومصنفات هؤلاء هي العمدة في تقرير ما يسمونه اليوم بعقيدة السلف.

ولا بد من الإشارة إلى بعض هذه المصنفات، مع المرور على بعض ما فيها. - البون الشاسع بين أصحاب الموقف الأول وأصحاب هذا الموقف.

أولاً: كتاب الرد على الجهمية، وكتاب نقض عثمان بن سعيد على المرز - العنيد، لعثمان بن سعيد الدارمي<sup>(١)</sup>:

أما كتاب الجهمية: فقد احتج فيه مؤلفه بكثير من الأسانيد الواهية والمتون المنكرة - تخالف التزييه. وأثبت فيه أن العرش يَطُّ من ثقل الجبار فوقه. وأنه ينزل في الليل إلى - عدن، وهي مسكنه، يسكن معه فيها النبيون والصديقون والشهداء. وأنه يهبط من عرشه - كرسيه، ثم يرتفع عن كرسيه إلى عرشه. وعقد فيه باباً في تكفير الجهمية، وباباً في قت - واستتابتهم من الكفر.

- ولا يفوتنا التنبيه إلى أن مصطلح الجهمية عند هؤلاء مصطلح تشيع لا ير - الفرقة التي انتسبت إلى الجهم بن صفوان، لأن الجهم مات وماتت معه أفكاره، إن - الدارمي ومن تابعه يعنون بالجهمية من خالفهم في صفات الله عز وجل، فيدخل في - الوصف المعتزلة وأهل السنة الأشاعرة والماتريدية.

(١) قال الذهبي في السير (١٣/٣١٩): الإمام العلامة الحافظ الناقد. فاق أهل زمانه، وكان لهجا بالسنة. - بالمنظرة!! اهـ. قلت: هو إمام كبير القدر، لكنه جمع في كتابيه كل ساقط وباطل من الأخبار التي لا يسر لها سند. توفي سنة ٢٨٠هـ.



وأما كتابه الآخر: فهو مثل سابقه. وزاد فيه إثبات الحركة لله عز وجل، وفيه إثبات الحد، وأنه مس آدم مَسِيَساً بيده، وأنه تعالى يقعد على العرش فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع، وأنه قادر على الاستقرار على ظهر بعوضة، وأنه إذا غضب ثَقَلَ على حملة العرش، وأن رأس المنارة أقرب إليه من أسفلها، وغير ذلك مما يندى له الجبين، ولا يستسيغه عقل أو يجيزه نقل!

وهذان الكتابان لهما منزلة عظيمة عند ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وقد أكثرا من نقل عن هذين الكتابين.

يقول ابن القيم بعد الثناء على الدارمي: «وكتابه من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سُنَّةٍ مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية يعظّمهما جداً. وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما!!»<sup>(١)</sup> اهـ.

ومع أن الذهبي ينقل عن الدارمي ويشني عليه، إلا أنه نبه إلى غلو الدارمي فقال: «وفي كتبه بحوث عجيبة مع المريسي يبالغ فيها في الإثبات، والسكوت عنها أشبه بمنهج السلف في القديم»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وهذا التنبيه لا يكفي، لأننا نحتاج أن نعلم إلى أي مدى وصل الدارمي في الإثبات. ويلاحظ تردد الذهبي في الحكم على ما أثبتته الدارمي، فهو يكتفي بأن ينبه إلى أن سكوت عنه أشبه بمنهج السلف. فهل يشبهه منهج السلف بمنهج إثبات الثقل والحركة والحد والقرب الحسي وغير ذلك من لوازم الجسم التي أثبتتها الدارمي، بحيث يعد السكوت عن إثباتها أشبه بمنهجهم؟!

(١) اجتماع الجيوش لابن القيم: (١٤٣).

(٢) العلو للعلو للغفار، للذهبي: (١/١٩٥).

## ثانياً: كتاب السنة لابن أبي عاصم<sup>(١)</sup>:

هذا الكتاب لمؤلفه أبي بكر بن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن محمد الشيباني من أهل البصرة، وكان مذهبه القول بالظاهر.

وأثبت في كتابه من الأخبار المنكرة الشيء الكثير. ومنها أن الله خلق آدم على صورة وجهه، وعلى صورة الرحمن، وأنه تعالى تجلى للجبل منه مثل الخنصر، وأن العرش يئط به منقلبه، وأنه يُعبدُ محمداً ﷺ معه على العرش، وأن المؤمنين يجالسون الله عز وجل في الجنة وغير ذلك.

## ثالثاً: كتاب السنة المنسوب إلى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

وأخذ هذا الكتاب من نسبه إلى ابن الإمام أحمد مكانة كبيرة عند المتتبعين إلى السلف خاصة في العصر الحديث. وسوف تأتي الإشارة إلى مكانته عند المعاصرين في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقد قطع محققه بنسبة الكتاب إلى مؤلفه، وبدّل وسعه في الرد على من نزه الإمام أحمد عن أن يخوض ولدّه الذي تربى في كنفه في كل ما خاض فيه المؤلف، ولم يأت المحقق بشيء علمي، بل اجتهد في كلام خطابي لا يدفع ما ذكره هو نفسه، من الاعتراف بوجود مجهولين في طبقتين من طبقات إسناد هذا الكتاب إلى مؤلفه.

يقول الدكتور صهيب السقار: «والذي يبدو لي أن هذا الكتاب من مؤلفات من يسمونه شيخ الإسلام أبا إسحاق الهروي، صاحب المؤلفات المعروفة في ما يسمونه العقيدة:

(١) قال الذهبي في السير (١٣/٤٣٠): حافظ كبير إمام بأرع متبع للأثار كثير التصانيف. قال أبو العباس النسوي: كان من أهل البصرة، من صوفية المسجد، من أهل السنة والحديث والنسك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صحب النسك، وكان مذهبه القول بالظاهر، وكان ثقة نبيلاً معمرًا، اهـ. توفي سنة

نسلفية. وهذا الهروي شديد التعصب ربما ركب له إسناداً، فرواه عن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم القَرَّاب الهروي<sup>(١)</sup> عن شيخ مجهول عن شيخ مجهول عن المؤلف. وأبو إسماعيل خروي لا يُستبعد صدور ما في هذا الكتاب منه، كما سوف يتبين في الحديث على مؤلفاته نسلفية! أما ابن الإمام أحمد، فلا نظن به أن يتعدى على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ وعلى لإمام أحمد والإمام أبي حنيفة النعمان<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر المحقق في توثيق الكتاب وصحة نسبه إلى المؤلف نقل الحنابلة عنه وأخذهم منه. وكل من ذكر نقلهم عنه جاءوا بعد عصر الهروي المذكور، فلا تدفع هذه النقول هذا لشك في نسبة الكتاب إليه، ولا الشك في صحة نسبه إلى المؤلف<sup>(٣)</sup> اهـ.

واشتمل هذا الكتاب على أكثر من مائة وثمانين نصاً في الطعن في دين ورأي الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى ورضي عنه، بل في بعضها تكفيره، وأنه أخذ من لحيته كأنه نيس يُدار به على الحلق يُستتاب من الكفر أكثر من مرة، وأنه كذلك أفتى بأكل لحم الخنزير! وفيه نقل عن الإمام مالك أنه ذكره بسوء، وقال: كاد الدين، ومن كاد الدين فليس من الدين، ووثق المحقق رجال سند هذه الرواية<sup>(٤)</sup>.

وغير ذلك من المثالب التي تقشعر منها الأبدان، كله في حق إمام من أئمة الهدى وواحد من أجمعت الأمة على دينه وحسن اعتقاده وجودة مذهبه وآتباع رأيه. عامل الله بعدله واضع هذه النصوص، وغفر لمحققها وناشرها!

(١) إسحاق بن إبراهيم بن محمد. محدث هراة، ربما زاد عدد شيوخه على ألف ومائتي نفس، وكان زاهدا مقلا من الدنيا. توفي سنة ٤٢٩هـ. انظر سير أعلام النبلاء: (١٧/٥٧٠)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٤/٢٦٤).

(٢) وهذا من باب إحسان الظن بالإمام أحمد، وإلا فلا شيء يضيره لو كانت تلك عقيدة ولده، فابن نبي الله نوح عليه السلام كان كافرا ولم يقدح ذلك في مقامه.

(٣) التجسيم وأثره في الفكر الإسلامي، د. صهيب السقار. قلت: مثل هذه الدعوى ينبغي الاستيثاق منها، ولا يكفي في الاحتجاج على تركيب الاسناد كون من اعتمد نسبه إلى عبد الله بن أحمد جاءوا بعد عصر الهروي، ويكفي في إسقاط نسبه وجود مجهولين في طبقتين متاليتين من إسناده الذي رواه به الهروي.

(٤) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، بتحقيق د. محمد سعيد سالم القحطاني: (١/١٩٩).

وتخرّج هذه الرواية في كتاب صُفِّفَ لجمع السنة والعقيدة المتوارثة، خير مثال عليّ -  
الطعن بأكابر المسلمين وعلماهم ركن من أركان هذه العقيدة التي تصدئ لها العلماء. فما من  
سبيل إلا الطعن بهم ورميهم بالتجهم والتنكب عن منهج السلف ونحو ذلك، مما تركوا -  
الجواب العلمي، واستبدلوا به هذا الأسلوب الناجح في فتنه العوام، المأخوذين بما يُظهِر:  
هؤلاء من التزهد، المخدوعين بلافتات الدعوة إلى الكتاب والسنة واتباع السلف.

ومما اشتمل عليه هذا الكتاب من الجرأة على الله عز وجل: وصفهُ بالجلوس على  
العرش، وإثبات صدرٍ له وذراعين، وإثبات الثقل، والصورة التي صُوِّرَ عليها آدم، وأنه على  
كرسي من ذهب تحمله أربعة من الملائكة، وأنه واضعٌ رجله على الكرسي، وأن الكرسي قد  
عاد كالنعل في قدميه، وأنه إذا أراد أن يخوف أحداً من عباده أبدئ عن بعضه، وأنه قرّب دونه  
عليه السلام حتى مس بعضه وأخذ بقدمه. وغير ذلك من الخرافات الموضوعية على أنها من  
العقائد!

ومما اشتمل عليه في حق الإمام أحمد: أنه نقل عنه تصحيح الأخبار التي ثبت جلوسه  
عز وجل على العرش وحصول الأظط من هذا الجلوس، وأنه واضع رجله على الكرسي  
وأن الكرسي موضع قدميه، وأنه يقعد على العرش فما يفضل منه إلا قيد أربعة أصابع، وغير  
ذلك مما لم يغب نكارتة ولا ضعف سنده على بعضهم، وسكتوا عن نسبة تصحيحه إلى  
إمامهم وابن إمامهم.

فحاشا لله أن يصحح الإمام أحمد هذه الأخبار، فيخفي عليه ضعف سندها وم في  
متنها من النكارة ومخالفة عقيدة السلف، ثم يأتي المحقق ليكشف عن ذلك.

## رابعاً: كتاب السنة للخلال<sup>(١)</sup>:

وقد أطل فيه الخلال الكلام عن تقرير قعود النبي ﷺ مع الباري سبحانه على الفضّة  
التي تفضل من العرش. وحشر مع ذلك نقولاً عن بعض المحدثين في تكفير مُنكره ورميه

(١) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال توفي في ٣١١هـ. قال الذهبي في السير (١٤/ ٢٩٧)  
أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحاب الإمام أحمد، ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل، حتى تتبعه  
نصوص أحمد ودونها وبرهنها بعد الثلاثمائة.

بالبدعة والتجهم وغير ذلك، مما لو قرأه رجل لم يسمع عن الإسلام شيئاً لظن أن هذا الخبر ركن من أركان الإسلام. وفيه أن الله عز وجل ينادي: يا داود ادن مني، فلا يزال يدينه حتى يمس بعضه، ويقول: كن أمامي فيقول رب ذنبي ذنبي، فيقول الله له كن خلفي خذ بقدمي!

ثم يقول الخلال في آخر كتابه: «وبعد هذا أسعدكم الله، فلو ذهبنا نكتب حكايات الشيوخ والأسانيد والروايات لطال الكتاب، غير أننا نؤمل من الله عز وجل أن يكون في بعض ما كتبنا بلغة لمن أراد الله به، فثقوا بالله وبالنصر من عنده على مخالفيكم، فإنكم بعين الله، بقربه وتحت كنفه»<sup>(١)</sup> اهـ.

### خامساً: كتاب العرش وما روي فيه:

لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة (٢٩٧هـ). وحال الكتاب من حال مؤلفه، الذي نقل الذهبي تضعيفه عن الجمهور، وتكذيبه عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وعن غيره الاتهام بالوضع<sup>(٢)</sup>!

وفي هذا الكتاب: أن أقرب الخلق إلى الله جبريل وميكائيل وإسرافيل، بينهم وبين ربهم مسيرة خمسمائة عام، وأن السماء منفطرة من ثقل الله، وأن محمداً ﷺ رأى ربه في روضة خضراء، ونحو ذلك مما هو مبسوط في موضعه.

### سادساً: كتاب الصفات للدارقطني<sup>(٣)</sup>:

وهو الحافظ أبو الحسن علي بن عمر، الذي انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق وصحة الاعتقاد.

(١) السنة للخلال: (١/ ٢٦٥).

(٢) العبر في خبر من غير للذهبي: (٢/ ١١٤)، وسير أعلام النبلاء: (١٤/ ٢١)، وشذرات الذهب لابن العماد: (١/ ٢٢٦).

(٣) الإمام الشهير شيخ الإسلام وصاحب السنن. قال السبكي في الطبقات (٣/ ٤٦٢): قال الحاكم: صار الدارقطني أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع، وإماماً في القرآء والنحوين. أشهد أنه لم يخلف على أديم الأرض مثله. وقال الخطيب: كان فريد عصره وإمام وقته، واتتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال، مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد والاضطلاع من علوم سوى الحديث. وقال القاضي أبو الطيب الطبري: الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث. توفي سنة ٣٨٥هـ.

وهذا الكتاب تشهد حاله الحديثية على براءة الدارقطني البصير بعلل الحديث ورجاله منه. وإنما يصلح أن يكون من صنيع من رواه عنه. فلا تصح نسبته إلى الدارقطني كما نبه عليه الكوثري<sup>(١)</sup>، لأن في سنده إليه أبا العز بن كادش أحمد بن عبيد الله (٥٢٦هـ). قال الذهبي في ترجمته: «أقر بوضع حديث وتاب وأتاب»<sup>(٢)</sup> اهـ.

## ولا يخفى أن هذه التوبة لا تعني قبول روايته، لأمرين:

الأول: أن من قواعد المحدثين أن التائب من الكذب على رسول الله ﷺ لا تقبر روايته أبداً، وإن حسنت طريقته. حكاها السيوطي عن الإمام أحمد بن حنبل وغيره من المحدثين<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أنه حتى على مذهب من يقبل توبته لا يلزم قبول روايته؛ لأنه ضعيف الرواية قبل الكذب وبعده. نقل ابن حجر في ترجمته: أنه كان كذاباً لا يحتج بمثله، وللأئمة فيه مقال<sup>(٤)</sup>. ويرويه ابن كادش عن محمد بن علي بن أبي طالب العشاري. قال الذهبي في ترجمته: «شيخ صدوق معروف، لكن أدخلوا عليه أشياء فحدّث بها بسلامة باطن، منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء، ومنها عقيدة للشافعي.

وذكر الذهبي بعض الأباطيل عنه ثم قال: فقبح الله من وضعه، والعتب إنما هو على محدثي بغداد، كيف تركوا العشاري يروي هذه الأباطيل»<sup>(٥)</sup> اهـ.

وفي هذا الكتاب باب في إثبات القدمين، وفيه أن الكرسي موضع القدمين، وفيه الأُطيط، وخلق آدم على صورة الرحمن ونحو ذلك.

(١) تبديد الظلام المخيم للكوثري: (٢٠٦).

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي: (٢٥٩/١).

(٣) تدريب الراوي للسيوطي: (٣٢٩/١)، المنهل الروي لبدر الدين بن جماعة: (٦٧).

(٤) لسان الميزان لابن حجر: (٢١٨/١)، المغني في الضعفاء للذهبي: (٤٧).

(٥) ميزان الاعتدال: (٢٦٧/٦)، وانظر ترجمته في لسان الميزان: (٣٠٢/٥).



## سابعاً: كتاب التوحيد لابن خزيمة:

وهو الإمام الكبير أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (٣١١ هـ)، صاحب الصحيح، المشهود له بالفقه والرواية، ولكن العلماء أخذوا عليه خوضه في الكلام، ولعله تأثر برأس الكرامية.

فقد نقل ابن السبكي عن الحاكم أنه ذكر في تاريخه محمد بن كرام فقال: «وقد أثنى عليه فيما بلغني ابنُ خزيمة، واجتمع به غير مرة»<sup>(١)</sup> اهـ. وقد لامه بعض المحدثين على الخوض في ما لا يحسنه.

فمن ذلك ما أخرجه البيهقي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي أنه قال: «ما لأبي بكر والكلام؟ إنما الأول بنا وبه ألا نتكلم فيما لم نتعلمه. قال البيهقي: والقصة فيه طويلة، وقد رجع محمد بن إسحاق إلى طريقة السلف، وتلهف على ما قال والله أعلم»<sup>(٢)</sup> اهـ.

واعترف ابن خزيمة على نفسه بأنه لا يحسن الكلام. فقد نقل البيهقي عنه أنه قال: «ما تُنكرون على فقيه راوي حديث، لا يحسن الكلام»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وكتاب التوحيد هو جزء من صحيحه على التحقيق، لأنه يُجِيل في أكثر من موضع على أبواب الصلاة وغيرها من أبواب الصحيح. وفيه باب بعنوان إثبات الأصابع لله عز وجل، وباب في إثبات القَدَم، ونحو ذلك.

ومع أنه اشترط الصحة في ما يذكره، إلا أنه لم يلتزم بذلك، فأخرج فيه متوناً منكراً وأسانيدَ واهيةً. منها ما جاء في أن الكرسي موضع قدميه، وأن العرش يئط به، وأنه تجلى منه مثل طرف الخنصر، وأنه يهبط ثم يرتفع، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فيستفص!! -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-، وأن جنة عدن مسكنه، وأن محمداً ﷺ رآه في روضة

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٣/ ٣٠٤).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي: (٣٤٢).

(٣) المصدر السابق: (٣٤٠).

خضراء، دونه فراش من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة، وغير ذلك مما هو مبسوط موضعه.

### ثامناً: كتاب التوحيد لابن منده:

وهو أبو عبد الله محمد بن إسحاق «ابن منده»<sup>(١)</sup>.

وله أيضاً كتاب الرد على الجهمية، وفيه: أن الله يكشف يوم القيامة عن ساقيه، وعر إلى البخاري ومسلم، مع أنه ليس في أحدهما<sup>(٢)</sup>، وفيه أن الله خلق الملائكة من نور الص والذراعين - أي صدره وذراعيه، تعالَى عن ذلك علواً كبيراً-، وأن الكرسي موضع قدم ونحو ذلك من الأخبار.

### تاسعاً: كتاب الأربعين في دلائل التوحيد، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي<sup>(٣)</sup>:

والهرويّ -نسبة إلى هرة-، هو الذي كان المجسمة بهراة يلقبونه شيخ الإسلام، تك بمن سمي به الحافظ أبا عثمان الصابوني.

(١) قال الذهبي في التذكرة (٣/١٥٧): الإمام الحافظ الجوال محدث العصر. ما بلغنا أن أحداً من هذه الأمة ما سمع ولا جمع ما جمع، وكان ختام الرحالين وفرد الكثيرين مع الحفظ والمعرفة والصدق والتصانيف، اهـ. قلت: ربما كانت الآفة كثرة الجمع. فقد نقل الذهبي بعد كلامه هذا قول الحافظ أبي عبد الأصبهاني: اختلط في آخر عمره وتخيّب في أماليه، ونسب إلى جماعة أقوالاً في المعتقدات لم يُعرفوا به: - الله السر والسيانة. اهـ. وعقب الذهبي بقوله: لا يُعبأ بقولك في خصمك للعداوة المشهورة بينك. - يعبأ بقوله فيك، فقد رأيت لابن منده مقالاً في الحط على أبي نعيم من أجل العقيدة أقذع فيه، وكر صدوق غير متهم بحمد الله في الحديث، اهـ. وتوفي سنة ٣٩٥ هـ. قلت: يُردُّ على الذهبي رحمه الله في الكلام: فإن كلام الأقران في بعضهم لا يُقبل إن كان طعنا في العدالة والخلق والدين، أما إن كان في عند الأوصاف التي تخص الرواية كالاختلاط وقلة الضبط والنسيان فلا بأس في ذلك، بل هو مقبول، حم إذا ذكر هذا غيره من الحفاظ.

(٢) الرد على الجهمية لابن منده: (١/١٦).

(٣) سبقت ترجمته والكلام عليه.

قال ابن السبكي: «وأما المجسمة بمدينة هراة، فلما ثارت نفوسهم من هذا اللقب عمدوا إلى أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري صاحب كتاب ذم الكلام فلقبوه بشيخ الإسلام. وكان الأنصاري المشار إليه رجلاً كثير العبادة محدثاً، إلا أنه يتظاهر بالتجسيم والتشبيه وينال من أهل السنة، وقد بالغ في كتابه ذم الكلام، حتى ذكر أن ذبائح الأشعرية لا تحل!

وكان أهل هراة في عصره فئتين: فئة تعتقده وتبالغ فيه لما عنده من التقشف والتعبد، وفئة تكفّره لما يظهره من التشبيه.

ومن مصنفاته التي فوّت نحوه سهام أهل الإسلام: كتاب «ذم الكلام»، وكتاب «الفاروق في الصفات» وكتاب «الأربعين» .. وهذه الكتب الثلاثة أبان فيها عن اعتقاد التشبيه وأفصح.

وكان شديد التعصب للفرق الحنبلية، بحيث كان ينشد على المنبر على ما حكى عنه تلميذه محمد بن طاهر:

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتحنّبوا

وترك الرواية عن شيخه القاضي أبي بكر الحيري<sup>(١)</sup> لكونه أشعرياً. وكل هذا تعصب زائد، برأنا الله من الأهواء<sup>(٢)</sup> اهـ.

(١) قال الذهبي في السير (١٧/٣٥٦): الإمام العالم المحدث مسند خراسان قاضي القضاة. درس الكلام والأصول على أصحاب أبي الحسن الأشعري، وانتقى عليه أبو عبد الله الحاكم. وكان بصيراً بالمدّهب، فقيه النفس، يفهم الكلام، حدّث عنه الحاكم وهو أكبر منه، وأبو محمد الجويني، وأبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وأبو بكر الخطيب، وقاضي القضاة أبو بكر محمد بن عبد الله الناصحي، وشيخ الحنفية محمد بن إسماعيل ابن حسنويه، وخلق سواهم. قال عبد الغافر الفارسي: كان من أصح أقرانه سماعاً، وأوفرهم إتقاناً، وأتمهم ديانة واعتقاداً. صنف في الأصول والحديث. أثنى عليه الحاكم، وفخم أمره، مات في شهر رمضان سنة ٤٢١ هـ. قلت: ألا قاتل الله التعصب الذي يجعل الإنسان يترك الرواية عن مثل هذا الخبر الذي تخرّج عليه كل أولئك الأئمة!

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٤/٢٧٢).

وفيه باب بعنوان وَضَعَ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الْكَرْسِيِّ، وباب في إِثْبَاتِ الْجِهَاتِ لِلَّهِ عِزِّ وَجَلِّ، وباب في إِثْبَاتِ الْحُدِّ، وباب في إِثْبَاتِ الْخَطِّ، وباب في إِثْبَاتِ الصُّورَةِ، وباب في إِثْبَاتِ الْعَيْنَيْنِ، وباب في إِثْبَاتِ الْمَهْرُولَةِ. ومن عناوينها يتبين ما تحتها من الأخبار التي سيكشف عنها البحث.

ومن كتابه ذم الكلام ينقل ابن تيمية تعثر الهروي في الواقعة بالإمام الأشعري.

يقول ابن تيمية: «وقال شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري في كتاب ذم الكلام في آخره، لما عقد باباً في ذكر هؤلاء الأشعرية المتأخرين، فقال: «باب في ذكر كلام الأشعري».

ولما نظر المُبْرَزُونَ من علماء الأمة وأهل الفهم من أهل السنة طوايا كلام الجهمية وم أودَعَتْهُ من رموز الفلاسفة، ولم يقع منهم إلا على التعطيل البحث، وأن قطب مذهبهم ومتمهى عقيدتهم ما صرَّحتْ به رؤوس الزنادقة قبلهم، أن الْفَلَكَ دَوَّارٌ والسما خالية، وأن قولهم سميع بلا سمع، بلا نفس ولا شخص ولا صورة. فقد سَخَنَتْ كتاب تكفير الجهمية من مقالات علماء الإسلام، ورَنَّ الخلفاء فيهم، ودَقَّ عامة أهل السنة عليهم، وإجماع المسلمين على إخراجهم من الملة. يردون على اليهود قولهم يد الله مغلولة، فينكرون الغل وينكرون اليد، فيكونوا أسوأ حالاً من اليهود، لأن الله سبحانه أثبت الصفة ونفى العيب، واليهود أثبتت الصفة وأثبتت العيب، وهؤلاء نفوا الصفة كما نفوا العيب، وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود، لفظته الجهمية الذكور بمرة والجهمية الإناث بعشر مرات.

قالوا: وقد شاع في المسلمين أن رأسهم على بن إسماعيل الأشعري كان لا يستنجي ولا يتوضأ ولا يصلي!«<sup>(١)</sup> اهـ.

فالرجل يسمى الأشاعرة جهمية، ويعيب عليهم قولهم أن الأفلاك تدور - وهو ما

(١) بيان تليس الجهمية لابن تيمية: (٢/ ٤٠٠-٤٠٤)، وانظر هذه الحكاية في سير أعلام النبلاء: (١٦/ ٤٧٨).

أثبتته العلم الحديث-، وأن السماء خالية من أن تحتوي رب العزة سبحانه وتضمه بين طياتها، وأن الله لا يشبه المخلوقات في شخص ولا صورة، ويجعل ذلك من علامات الزندقة، وينقل خبراً يتهم فيه الإمام أبا الحسن الأشعري أنه كان لا يستنجي ولا يتوضأ ولا يصلي!

نقل ذلك ابن تيمية رحمه الله تعالى وسامحه، مستشهداً به على ذم من ساهم المتأخرين من أصحاب الأشعري. مع أن من سماه شيخ الإسلام لم يوقر منهم أحداً، بل حكى الإجماع على تكفيرهم، وشحن كتبه في ذلك، وسعى بين السلاطين في فتنهم، ونضح بما فيه من وصفهم ذلك الوصف الذي خرج به عن حدود الأدب، فأطلق على الأشاعرة «مخائث!»، وصار من بعده سنة سيئة عليه وزرها ثم على ابن تيمية مثل ذلك الوزر، لأنه عمل بهذه السنة في أكثر من موضع، حتى تابعه عليها ابن القيم ومن افتن بهم من المعاصرين!

بل إن هذا الرجل لا يستحي أن يكذب على الأشاعرة وينسب إليهم ما لم يقولوه. مما يدل على جهله الكامل بمذهبهم إذا أحسن الظن به، أو يدل على تعصبه الشديد البالغ حد العمى والفجور في الخصومة والعياذ بالله تعالى. والجهل أهونها لا شك.

قال ابن رجب الحنبلي: «...، عبد الجبار بن أبي الفضل الصيرفي، سمعت جماعة من أصحاب شيخ الإسلام الأنصاري يقولون: سمعنا شيخنا شيخ الإسلام أبا إسماعيل يقول: فذكر آياتاً بالفارسية تفسرها بالعربية: «إلهنا مرئي على العرش مُستو. كلامه أزي رُسوله عَرَبِيٌّ. كل من قال غير هذا أشعريٌّ. مذهبنا مذهب حنبلي»<sup>(١)</sup> اهـ.

والأشاعرة لا ينكرون الرؤية ولا الاستواء ولا أزلية الكلام ولا عروبة الرسول ﷺ، بل ينكرون ما يدعيه البعض من إفادة النصوص ما يدل على التجسيم. فتأمل ما يفعله التعصب بصاحبه!

وبما سبق يتبين شيء من حال هذه المصنفات، وسوف يُكشف في ثنايا البحث عن تفصيل هذا الإجمال. ولكن لا بد أن نبين هنا غلط هؤلاء المصنفين على سبيل الإجمال أيضاً.

(١) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب: (٢٠/١).



فمن ذلك: ما فعله يحيى بن عمار السجزي<sup>(١)</sup> مع الإمام الحافظ محمد بن حبان رحمه الله.

قال الذهبي: «قال أبو إسماعيل الأنصاري شيخ الإسلام: سألت يحيى بن عمار عن أبي حاتم ابن حبان، فقال: رأيتُه، ونحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير ولم يكن له كبير دين! قدم علينا، فأنكر الحدَّ لله، فأخرجناه!»<sup>(٢)</sup> اهـ. فانظر إلى هذا التباين بين الفريقين، وكلاهما من أهل الحديث.

فمن جانبٍ، يُعدُّ إثباتُ الحدِّ لله عز وجل مخالفاً لتزويده الله عز وجل عنه، لأنه من لوازم الجسم. ومن جانبٍ آخر يُعد نفيه طعنًا في الدين، وموجباً لطرده من نفيه.

وإن شئتَ. فهناك موقف ثالث متذبذب، كالذي ذكره الحافظ الذهبي - وهو من أهل الحديث كذلك - تعليقا على قول يحيى بن عمار. قال رحمه الله تعالى: «قلت: إنكاره الحد وإثباتكم للحد نوع من فضول الكلام، والسكوت عن الطرفين أولى، إذ لم يأت نص بنفي ذلك ولا إثباته، والله تعالى ليس كمثله شيء، فمن أثبته قال له خصمه جعلت لله حداً برأيك ولا نص معك بالحد، والمحدود مخلوق تعالى الله عن ذلك. وقال هو للنافي ساويت ربك بالشيء المعدوم، إذ المعدوم لا حد له، فمن نزه الله وسكت سلم وتابع السلف»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وهذا الموقف الذي لا يرضى عن الموقفين السابقين موقف متهافت. فقد حصل النزاع

(١) كان من أهل الحديث والوعاظ المجيدين إلا أنه متعصب جدا، يخرج به تعصبه عن الحدود. توفي بهراة ٤٢٢هـ. قال الذهبي في السير (١٧/ ٤٨١): وكان متحرقا على المبتدعة والجهمية بحيث يؤول به ذلك إلى تجاوز طريقة السلف!، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، إلا أنه كان له جلاله عجيبة بهراة وأتباع وأنصار. وكان من كبار المذكرين، لكن ما أقيح الحرص وجمع المال بالعالم الداعي إلى الله! وكان قد تحول من سجستان فعظم بهراة جدا، وتغالوا فيه، وتخرج به أبو إسماعيل الأنصاري، وخلفه من بعده، اهـ. قلت: خلفه من بعده حتى في تعصبه، غفر الله لنا ولأهل العلم جميعا.

(٢) ميزان الاعتدال: (٦/ ٩٩). قلت: وقد عاني الكثير من الأئمة قديما وحديثا من ظلم هؤلاء المجسمة وفتنهم، كما سبق أن ألقينا في التمهيد إلى بعض النماذج.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي: (٦/ ٩٩).

في الحد نفيًا وإثباتًا. فإن كان الحد من لوازم الجسم التي يجب تزيه الله عز وجل عنها، فلا يسع النافي أن يسكت على إثبات التجسيم. وإن كان نفي الحد موجباً لعدم الباري فلا يسع المثبت السكوت على نفيه.

قال الحافظ ابن حجر تعليقا على قول الذهبي: «وقوله: «قال له النافي ساويت ريك بالشيء المعدوم، إذ المعدوم لا حد له» نازل<sup>(١)</sup>. فإننا لا نسلم أن القول بعدم الحد يفضي إلى مساواته بالمعدوم بعد تحقق وجوده. والحق: أن الحق مع ابن حبان فيها،... كيف يُحكم عليه بأنه هفا؟ ما هذا إلا تعصب زائد على المتأولين، وابن حبان قد كان صاحب فنون وذكاء مفرط وحفظ واسع إلى الغاية رحمه الله»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ولا يخفى أن الحافظ ابن حجر من أهل الحديث أيضا، وكلامه في أي مبحث من مباحث العقيدة يعبر عن مذهبه.

وللحافظ تاج الدين السبكي كلام في هذا النقل أيضا، ويروي فيه كذلك عن الحافظ العلائي، وكلاهما من أهل الحديث، مما يثبت اختلاف أهل الحديث في المذاهب العقديّة.

قال التاج السبكي: «انظر ما أجهل هذا الجارح، وليت شعري من المجروح، مُثِّبُ الحد لله أو نافية؟! وقد رأيت للحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي<sup>(٣)</sup> رحمه الله على هذا كلاما جيدا أحببت نقله بعبارة، قال رحمه الله، ومن خطه نقلت: يا لله العجب، مَنْ أَحَقُّ بالإخراج والتبديع وقلة الدين؟!»<sup>(٤)</sup> اهـ<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: ساقط متهافت.

(٢) لسان الميزان لابن حجر: (١١٤/٥).

(٣) قال ابن حجر في الدرر الكامنة (٢/٢١٣): قال شيخه الذهبي: يستحضر الرجال والعلل، وتقدم في هذا الشأن مع صحة الذهن وسرعة الفهم. وقال الحسيني كان إماما في الفقه والنحو والأصول متقنا في علوم الحديث وفنونه علامة فيه، حتى صار بقية الحفاظ، عارفا بالرجال علامة في المتون والأسانيد بقية الحفاظ. وقال الإسنوي في الطبقات: كان حافظ زمانه إماما في الفقه والأصول وغيرهما ذكيا نظارا فصيحاً كريهاً ذ سطوبة وحشمة، اهـ. توفي سنة ٧٦١هـ.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٣/١٣٢).

(٥) قلت: ولنا أن نقول في زماننا، يا لله العجب. من الأحق بلقب المبتدعة، أهل السنة الأشاعرة والماتريدية =



ومن لم يكتف بهذا الموقف في إثبات أن أهل الحديث لا يجمعهم مذهب عقدي واحد، عيه يكتب الرجال وبيان حال الرواة ومصنفات المحدثين، فكلها شاهدة بأن في رواية حديث من الحنابلة والشافعية وسائر المذاهب الفقهية، وفيهم من الحشوية والقدرية . خوارج وغيرها من المذاهب الفكرية من لم يخرجهم مذهبهم الفكري من دائرة المحدثين ، ين حُكم عليهم بالبدعة ومخالفة السنة.

وبهذا يتبين أن المحدثين ليس لهم عقيدة جامعة. فيكون عَزْوُ عقيدة إلى جماعة أهل حديث تمويهاً وخداعاً للناس، وتسترا بما له قدسية ومكانة في القلوب، حتى يطمئن السامع بقارئ، فلا يسعى للتحقق من صحة كلام المتكلم في إثبات التجسيم، اتكالا منه على أمانة أهل الحديث ودقة نقلهم<sup>(١)</sup>.

ويتبين أيضا أنه لا يصح قول الشيخ ابن تيمية في المتكلمين: «ولو اعتصموا بالكتاب والسنة لاتفقوا كما اتفق أهل السنة والحديث، فإن أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شيء من أصول دينهم»<sup>(٢)</sup>أهـ.

---

= الذين يتزهون الله تعالى، أم أدعياء السلفية الذين ينسبون إليه صفات الأجسام!؟، وما أجهل الجارح، وليت شعري من المجروح!  
 (١) انظر تبديد الظلام المخيم للكوثري: (٢٠).  
 (٢) درء التعارض لابن تيمية: (٣٠٦/١٠).



## الفصل الثالث الكرامية المجسمة

قبل التعريف بهذه الفرقة، لا بد من التنبيه إلى تميزها عن سائر فرق المجسمة، فهذه الفرقة لم تمت مقالاتها بموت مؤسسها، بل تمكنت بتلبسها لباس الزهد والتقشف أن تخدع بعض ذوي السلطان وتقعنهم بمقالاتها وتفوز بأعضائهم وقمعهم لمخالفاتها، وتميزت أيضا تسرب بعض مقالاتها إلى المصنفات التي تُنسب إلى العقيدة السلفية.

وتاريخ هذه الفرقة يوضح كيفية انتشار مقالة التجسيم بين العوام، انخداعا بها يظهر عن أصحاب المقالة من زهد وتقشف وعبادة، وانخداعا بتشنيع أصحاب المقالة على مذهب تنزيه وأهله، بدعوى موافقته للفلسفة الأجنبية<sup>(١)</sup>. وتوضيح ذلك يتم بإطالة على تاريخ هذه الفرقة ومعرفة مقالاتها.

أما مؤسس هذه الفرقة: فهو محمد بن كرام السجزيّ.. ولد في سجستان ونشأ فيها. يقول الشهرستاني: «نبغ رجل متمسّس بالزهد من سجستان، قليل العلم، قد قمّش من مذهب ضغثاً وأثبته في كتابه، ورّوجه على سواد بلاد خراسان، فانتظم ناموسه وصار نك مذهباً»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ويقول التاج السبكي: «وكان من خبر ابن كرام هذا - وهو شيخ سجستاني مجسم - أنه سنع يسيراً من الحديث، ونشأ بسجستان ثم دخل خراسان وعاد إلى نيسابور وباح التجسيم. وكان من إظهار التنسك والتأله والتعبد والتقشف على جانب عظيم. فافترق نس فيه على قولين: منهم المعتقد، ومنهم المتقّد. قال الحاكم: لقد بلغني أنه كان معه جماعة من الفقراء، وكان لباسه مسك ضأن مدبوغ غير مخيط، وعلى رأسه قلنسوة بيضاء، وقد نُصب - دكان من لبن، وكان يُطرح له قطعة فرو فيجلس عليها، فيحفظ ويذكر ويحدث. ثم قال

(١) وهذا ما يحدث الآن تماماً.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني: (١٠٧).

[يعني الحاكم]: وأثنى عليه فيما بلغني ابن خزيمة، واجتمع به غير مرة<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال تقي الدين الحصني: «سمع الحديث الكثير وأظهر التقشف، واتخذ قطعة فريد يجلس عليها ويحفظ ويحدث وَيَتَخَشَّعُ، حتى أخذ بقلوب العوام والضعفاء من الطلبة لوعظـه وزهده، حتى حُصِرَ مَنْ تَبِعَهُ مِنَ النَّاسِ إِذَا هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا<sup>(٢)</sup> اهـ.

فلما أظهر ابن كرام بدعته أنكر العلماء عليه وسعوا في سجنه وقتله.

يقول السبكي: «وصاحب سجستان هو الذي نفاه، ولم يكن قصد الساعين إلا إراقة دمه. وإنما صاحب سجستان هاب قتله، لما رأى من مخايل العبادة والتقشف»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وابن خزيمة رحمه الله الذي كان قد حُكِيَ عنه ثناؤه على ابن كرام كان أحد هؤلاء الساعين في إراقة دمه أو نفيه.

قال الحافظ ابن حجر: «ولما نفي من سجستان وأتى نيسابور، أجمع ابن خزيمة وغيره من الأئمة على نقله منها، فسكن بيت المقدس»<sup>(٤)</sup>، ومات فيها سنة ٢٥٥ هـ. وكان أصحابه ببيت المقدس نحو عشرين ألفاً، وكان له من الأتباع مثل ذلك في خراسان وسجستان<sup>(٥)</sup>.

ومع أن ابن كرام لم يكن يحسن العلم ولا الأدب، فقد ألف تصانيف كثيرة كما ذكر ذلك عبد القاهر البغدادي. وقال: «إلا أن كلامه في غاية الرِّكَّة والسقوط»<sup>(٦)</sup>. وكان مصير مؤلفاته الحرق بعدما أظهر بدعته. ونجا كتابه عذاب القبر من النار، إذ نقل منه البغدادي وغيره قول ابن كرام في وصف الله عز وجل: أنه أَحَدِيُّ الذات أحدي الجوهر<sup>(٧)</sup>.

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٣٥ / ٢).

(٢) دفع شُبُه من شُبُه وتمرد للحصني: (٢٩).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٥٣ / ٢).

(٤) لسان الميزان لابن حجر: (٣٥٤ / ٣).

(٥) انظر التبصير في الدين للإسفرائيني: (٦٥)، والمنظّم لابن الجوزي: (٩٨ / ١٢)، والميزان، للذهبي: (١ / ٤).

(٦) الفرق بين الفرق للبغدادي: (٢٠٣)، وانظر الملل والنحل للشهرستاني: (١٠٧).

(٧) انظر الفرق بين الفرق: (٢٠٣)، والملل والنحل للشهرستاني: (١٠٨)، والتجسيم عند المسلمين لسهير

مختار: (٦٢-٦٣).

عُرِّمَتْ الكرامية بموت مؤسسها، بل هُدِّبَتْ مقالته في التجسيم وزُيِّفَتْ حتى كثر  
 - واستحسنها السلطان واعتنق مذهبها، وامتحن بذلك بعض الكبار من علماء أهل  
 - سَرَهِينَ لله عز وجل عن الجسمية ولوآزمها.

ومن تلاميذ ابن كرام وأتباعه الذين قاموا بنصرة مذهبهم، إسحاق بن محمشاد الذي  
 سب في فضائل ابن كرام.

يقول ابن حجر: «إسحاق بن محمشاد، روى عن أبي الفضل التميمي حديثاً، هو  
 - معه بقلة حياء. مَتْنُهُ: «يجيء في آخر الزمان رجل يقال له ابن كرام تحيا السنة به». فانظر إلى  
 - دح والمدوح، وسند حديثه مجاهيل»<sup>(١)</sup>أهـ.

ومن تلاميذ ابن كرام وأتباعه الشاعر أبو الفتح علي بن محمد البستي<sup>(٢)</sup>، الذي اتصل  
 - سنك ناصر الدولة سبكتكين<sup>(٣)</sup> وعمل في خدمته، فقربه منه حتى تأثر مُلْك آل سبكتكين<sup>(٤)</sup>  
 - كرامية، فنصروا المذهب وقسوا على مخالفيه.

(١) لسان الميزان لابن حجر: (٣/٣٥٤).

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير: (١١/٢٧٨)، وشذرات الذهب لابن العماد: (٢/١٩٥).

(٣) قال الذهبي في السير: (١٦/٥٠٠): كان فيه عدل وشجاعة وعسف وكونه كرامياً. وذكر في: (١٧/٤٨٤)  
 مثالا لقسوته على مخالفي مذهبهم فقال: كان أبو القاسم النضري قاضي مرو صلب المذهب، فدخل صاحب  
 غزنة سبكتكين بلخاً ودعا إلى مناظرة الكرامية، وكان النضري يومئذ قاضياً ببلخ، فقال سبكتكين: ما  
 تقولون في هؤلاء الزهاد الأولياء؟ فقال النضري: هؤلاء عندنا كفرة، فقال ما تقولون في؟ فقال: إن كنت  
 تعتقد مذهبهم فقولنا فيك كذلك، فوثب وجعل يضربهم بالدبوس حتى أدماهم وشج النضري، وقدهم  
 وسجنهم، ثم أطلقهم خوف الملامة. وقال في ترجمة سبكتكين: (١٧/٤٨٦): وكان السلطان ماثلاً إلى  
 الأثر إلا أنه من الكرامية.

(٤) اتسعت دولة آل سبكتكين حتى شملت الهند وخراسان وغزنة وغيرها، كان ابتداء دولتهم (٣٣٦هـ)، ومدة  
 ولايتهم مائتين وثلاث عشرة سنة تقريباً، وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة، لا سيما السلطان محمود  
 بن سبكتكين (٢٤١هـ)، وأول ملوكهم جدهم سبكتكين، وانتهت دولتهم على يد الغوريين. انظر الكامل  
 لابن الأثير: (٩/٣٧٠)، وسير أعلام النبلاء: (١٧/٨٤)، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي:  
 (٥/٣١٤-٣١٧).

ومن أتباع ابن كرام محمد بن الهيصم<sup>(١)</sup>، الذي اجتهد في ترميم مقالة ابن كرام، حتى ردها من المحال الفاحش إلى نوع يفهم بين العقلاء.

فمن ذلك: أنه عدل بإثبات الجسم إلى معني زعم أنه المراد، وهو القائم بالذات. وهذا هو الرأي الذي مال إليه ابن تيمية رحمه الله. ومنه أيضاً أنه زعم أن الفوقية بمعنى العلو، مع إثبات البيئونة غير المتناهية بينه وبين خلقه<sup>(٢)</sup>!

قال الشهرستاني: «قد تخطى بعض الكرامية إلى إثبات الجسمية، فقال: أعني بها القيء بالنفس، وذلك تلبيس على العقلاء. وإلا فمذهب أستاذهم - يعني ابن كرام - مع كونه سبحانه عنده محلاً للحوادث، مستوياً على العرش استقراراً، مختصاً بجهة فوق مكة واستعلاءً. فليس ينحيه من هذه المخازي تزويرات ابن هيصم، فليس يريد بالجسمية القيء بالنفس. وإنما هو إصلاح مذهب لا يقبل الإصلاح، وكيف يستوي الظل والعود أعرج. وكيف استوى المذهب وصاحب المقال أهوج»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وكان ابن الهيصم من مجالسي السلطان محمود بن سبكتكين<sup>(٤)</sup>، وكان الإمام أبو بكر

(١) لم أجد له ترجمة شافية، وأجمع كل من ذكره من أئمة التراجم كالذهبي وابن حجر وغيرهما أنه من الكرامية وإمامهم وكذلك عدد من أحفاده. لكن قال الباخريزي في دمية القصر (١/١٠٢): الإمام أبو عبد الله محمد بن الهيصم من جبال هرات. وهو من أصحاب المقالات. فلا يتصورنَّ لك في الهواجس والخيالات أنه من الجسمية المرتكبة للمجالات. وقد تقرر عند العلماء الكرام أنه ليس من أشياع أبي عبد بن كرام!

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني: (١١١).

(٣) نهاية الإقدام للشهرستاني: (١٢٢)، وانظر التجسيم عند المسلمين وهو مذهب الكرامية: (٨٩-٩٠).

(٤) أبو القاسم الملقب بيمين الدولة صاحب بلاد غزنة وما والاها، كان غاية في الديانة وكرامة المعاصي وحملاً ولا يجرؤ أحد أن يظهر معصية ولا خيراً في مملكته، واختلف في أتباعه مذهب الكرامية. انظر البداية و... لابن كثير: (٣٠-٢٩/١٣)، وطبقات الشافعية لابن السبكي: (٥/٣١٤).

بن فُورَك<sup>(١)</sup> هو الذي يناظر ابن الهيضم في هذا المجلس<sup>(٢)</sup>، وكانت هذه المناظرات سبباً في استشهاد ابن فورك رحمه الله تعالى.

قال التاج السبكي: «وكان ابن فورك شديداً على الكرامية، وأذكر أن ما حصل له من لمحنة من شَعْب أصحاب ابن كرام وشيعتهم من المجسمة، فتحزبوا عليه ونمُّوا عليه غير مرة، وهو يتنصر عليهم، فلما أيست الكرامية من الوشاية والمكايدة، عدلت إلى السعي في موته والراحة من تبعه، فسلطوا عليه من سَمَّةٍ فمضى حميداً شهيداً»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وكان الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني<sup>(٤)</sup> قد تعين عليه مناظرة الكرامية بعد ابن فورك. ومن هذه المناظرات ما ذكره أبو المظفر الإسفرائيني. قال: «سأل بعض أتباع الكرامية في مجلس السلطان محمد بن سبكتكين إمامَ زمانه أبا إسحاق الإسفرائيني رحمه الله عن هذه

١- هو الإمام الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الذي لا يُجَارَى قههاً وأصولاً ونحوها، مع مهابة وورع بالغ، بلغت تصانيفه قريباً من المائة. قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات عند ترجمة أبي إسحاق الإسفرائيني (١/٧٣٣): كان الأستاذ أحدَ الثلاثة الذين اجتمعوا في عصر واحد على نصر مذهب الحديث والسنة في المسائل الكلامية، القائلين بنصرة مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، وهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني، والقاضي أبو بكر الباقلاني، والإمام أبو بكر بن فورك، اهـ. وقال الذهبي في السير (١٦/٢٨٥): الإمام الكبير المقرئ، مسند أصبهان،... توفي في ذي القعدة سنة ٣٧٠هـ وما أعلم به بأساً، اهـ. وقال السبكي في الطبقات (٤/١٢٨): قال الحاكم: أحيا الله به في بلدنا أنواعاً من العلوم لما استوطنها، وظهرت بركته على جماعة من المتفقهة وتخرجوا به، اهـ. وانظر: طبقات الشافعية للسبكي: (٤/١٢٧)، وشذرات الذهب لابن العماد: (٢/١٨١)، ووفيات الأعيان لابن خلكان: (٤/٢٧٢).

٢- نظر البداية والنهاية لابن كثير: (١٢/٣٠)، والتجسيم عند المسلمين وهو مذهب الكرامية لسهر مختار: (٨٧).

٣- طبقات الشافعية الكبرى: (٤/١٣١)، وانظر شذرات الذهب لابن العماد: (٤/١٨١).

٤- يقال الإسفرائيني والإسفرائيني، قال الذهبي في السير (١٧/٣٥٣): الإمام العلامة الأوحد الأستاذ لأصولي الشافعي الملقب ركن الدين. أحد المجتهدين في عصره. قال عبد الغافر في تاريخه: كان طِرَازَ ناحية نشرق فضلاً عن نيسابور، ومن المجتهدين في العبادة المبالغين في الورع، انتخب عليه الحاكم عشرة أجزاء وذكره في تاريخه لجلالته، وكان ثقة ثبتاً في الحديث. قال عنه الحاكم في تاريخه: الأصولي الفقيه المتكلم، تقدم في هذه العلوم. قد أقر له العلماء بالتقدم، اهـ. توفي سنة ٤١٨هـ.

المسألة - الاستواء على العرش - فقال: هل يجوز أن يقال: إن الله تعالى على العرش؟ ز - العرش مكان له؟ فقال: لا. وأخرج يديه ووضع إحدى كفيه على الأخرى، وقال: كـ - الشيء على الشيء يكون هكذا، ثم لا يخلو إما أن يكون أكبر منه أو أصغر منه، فلا بد من مُخَصَّصٍ خَصَّصَهُ، وكل مخصوص يتناهى، والمتناهى لا يكون إلهاً. فلم يمكنهم أن يجيب عنه، فأغروا به رعا عهم، حتى دفعهم عنه السلطان بنفسه!

ولما ورد عليهم هذا الإلزام تحيروا، فقال قوم: إنه أكبر من العرش، وقال قوم: إنه من العرش، وارتكب ابن المهاجر منهم قوله: إن عرضه عرض العرش. ثم قال أبو المظفر: وهذه الأقوال كلها متضمنة لإثبات النهاية، وذلك علمُ الحدوث، لا يجوز أن يوصف - الصانع»<sup>(١)</sup> اهـ.

وابتلي الإمام الفخر الرازي بمناظرة الكرامية بعد ابن فورك وأبي إسحاق. وكان رأس الكرامية في زمانه مجد الدين بن عمر المعروف بابن القدوة<sup>(٢)</sup>، وهو الذي تسبب في محبة الفخر الرازي، مستغلاً مكانته عند الغوريين<sup>(٣)</sup>، الذين خلفوا آل سبكتكين في حكم بلادهم. وحدثت بذلك فتنة عظيمة.

ذكر ابن كثير في حوادث (٥٩٥هـ): «وفي هذه السنة حدثت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين ملك الغور وغزنة<sup>(٤)</sup>. وسببها أن الفخر محمد بن عمر الرازي كان قد قدم يـ

(١) التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني: (٦٦).

(٢) لم أقف له على ترجمة، ولعله لم يذكره أحد إلا في هذه الواقعة.

(٣) ينسب الغوريون إلى بلاد الغور أو الأويغور، وقد يقال الإيغور، وهي جبال وعرة ومضائق مستخلقة تجر - غزنة من أرض الأفغان، وهم من الأعراق التركية، وموطنهم الأصلي هو تركستان الشرقية على حدود الصين، ثم احتلت الصين الشيوعية بلادهم وأطلقت على إقليمهم اسم (تشينج يانج)، وكان الغوريين أول الأمر يستغلون طبيعة مناطقهم في الغزو وقطع الطريق، ثم تجمعوا وتحزبوا ضد آل سبكتكين وقضى على دولتهم سنة أربعين وخمسةائة. وانتهت دولة الغوريين سنة ٥٠٥هـ وآخر ملوكهم هو غياث الدين محمد بن غياث (٦٠٥هـ). انظر الكامل لابن الأثير: (٦٢ / ٨) و(٣٥٦ / ٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٠٦ / ٢٠).

(٤) هو أبو الفتح غياث الدين محمد بن سام أحد ملوك الغوريين، كان على مذهب الكرامية إلى أن هداه الله =



حس الثالث: الكرامية المجسمة فتنق الفقهاء من الكرامية والحنفية والشافعية عند غياث الدين للمناظرة، وحضر  
 يث الدين فأكرمه واحترمه وبنى له مدرسة بهراة، فقصده الفقهاء من البلاد، فعظم ذلك  
 في الكرامية وهم كثيرون بهراة، وأما الغورية فكلهم كرامية.

فتنق الفقهاء من الكرامية والحنفية والشافعية عند غياث الدين للمناظرة، وحضر  
 نخر الرازي وابن القدوة، وهو من أتباع ابن كرام وابن الهيصم وله عندهم محل كبير لزهده  
 -علمه وبيته. فتناظر هو والرازي، وخرجا من المناظرة إلى السب والشتم. فانفصلوا على  
 هذا، وقام ضياء الدين<sup>(١)</sup> في هذه الحادثة وشكر إلى غياث الدين، وذم الفخر الرازي، ونسبه  
إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة، فلم يصغ غياث الدين إليه.

فلما كان الغد، قام واعظ بالجامع. فلما صعد المنبر، قال بعد أن حمد الله وصلى على  
 نبي ﷺ: لا إله إلا الله، ربنا آمانا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، أيها الناس،  
ينا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله ﷺ، وأما علم أرسطاليس وكُفْرِيَات ابن سينا  
وفلسفة الفارابي فلا نعلمها، فلاي شيء يُشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن  
دين الله وعن سنة نبيه، ويكفي وضج الناس، ويكفي الكرامية واستغاثوا. وثار الناس من كل  
جانب، وامتلا البلد فتنة وكادوا يقتلون ويجري ما يهلك فيه خلق كثير، فبلغ ذلك السلطان  
فأرسل جماعة من عنده إلى الناس وسكنهم، ووعدهم بإخراج الفخر من عندهم، وتقديم إليه  
بالعودة إلى هراة فعاد إليها»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وهذه حادثة مهمة في تاريخ التجسيم، إذا أردنا أن نأخذ من دراسته العبر.

### مقالة الكرامية في التجسيم:

اختلف كُتَّابُ الملل والنحل في تعداد فرق الكرامية. فالبغدادي جعل الكرامية ثلاثة  
 أصناف، وجعلها الرازي ستة فرق، وأوصلها الشهرستاني إلى اثنتي عشرة فرقة.

= تعالي، فَهَجَرَهُ وصار شافعي المذهب وبنى المدارس للشافعية ومسجدا بغزنة، كما ذكره ابن الأثير في  
 الكامل: (١٠/٢٤٦).

(١) أحد أمراء الغوريين، ضياء الدين محمد الغوري، وهو ابن عم غياث الدين، انظر الكامل لابن الأثير:  
 (٧٣/١٠).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: (١٣/١٩)، وانظر الكامل لابن الأثير: (١٠/٢٦٢).

وعند ذكر مقالاتهم، سيجد القارئ المنصف أن مقالاتهم تسربت إلى مجسمة زمان أدعياء السلفية، فاعتمدها مذهباً لهم، ونسبها كعادتهم إلى مذهب السلف والسنة والحديث والإمام أحمد!!

## ولا نطيل في تفصيل مقالاتهم لسببين:

أولهما: أن جهداً قد بُذِل من قبل في مذهب الكرامية<sup>(١)</sup>.

والثاني: أن هذه الفرق وإن كان لكل واحدة منها رأي، إلا أن الشهرستاني قال: «إلا أن ذلك لما لم يصدر عن علماء معتبرين، بل عن سفهاء جاهلين<sup>(٢)</sup> لم نفردها مذهباً، وأورد مذهب صاحب المقالة وأشارنا إلى ما يتفرع منه»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وأهم مقالاته تجسيم معبوده: إذ زعم أنه جسم، له حد ونهاية من تحته، وهي الجهة التي يلاقي منها العرش<sup>(٤)</sup>. ثم اختلف أصحابه في النهاية: فمنهم من وافقه، ومنهم من أثبت النهاية له من ست جهات، ومنهم من أنكر النهاية له وقال: هو عظيم. ولهم في معنى العظمة خلاف. فقال بعضهم: معنى عظمته أنه مع وحدته، على جميع أجزاء العرش، والعرش تحته. وهو فوق ذلك، على الوجه الذي هو فوق جزء منه. وقال بعضهم: معنى عظمته أنه يلاقي مع وحدته من جهة واحدة أكثر من واحد، وهو يلاقي جميع أجزاء العرش، وهو العلي العظيم<sup>(٥)</sup>.

(١) ومنه رسالة نالت بها الباحثة سهر مختار شهادة الماجستير من الأزهر الشريف، بعنوان «التجسيم عند المسلمين وهو مذهب الكرامية»، واقتصر فيها على دراسة الكرامية وتكلمت فيه على فرقها من: (٨٦-٩٨).

(٢) ولهذا لم يعبأ المؤرخون بالترجمة هؤلاء، ولم أجد فيما بين يدي من المصادر شيئاً يستحق الذكر في ترجمة رؤس تلك الفرق غير ما سبق في تاريخ هذه الفرقة.

(٣) الملل والنحل: (١٠٧)، وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي: (٢٠٣)، واعتقادات فرق المسلمين للرازي: (٧).

(٤) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي: (٢٠٣)، والملل والنحل للشهرستاني: (١٠٨)، واعتقادات فرق المسلمين للرازي: (١٧).

(٥) انظر الملل والنحل للشهرستاني: (١١١).

وقد سبق أن ابن كرام زعم أن معبوده أَحَدِيُّ الذات أحدي الجوهر. وقد حاول بعض أتباعه تهذيب هذا الوصف في ما حكاه البغدادي .

قال الإمام أبو منصور البغدادي: «وأتباعه اليوم لا يبوحون بإطلاق لفظ الجوهر على نه تعالى عند العامة، خوفاً من الشناعة عند الإشاعة. وإطلاقهم لفظ الجسم عليه أشنع من سم الجوهر. وامتناعهم من تسميته جوهرًا مع قولهم بأنه جسم، كامتناع شيطان الطاق - راضي<sup>(١)</sup> من تسمية الإله جسماً مع قوله بأنه على صورة الإنسان»<sup>(٢)</sup> اهـ.

واتفق أكثر الكرامية على إطلاق لفظ الجسم .. واجتهد بعضهم في تزيين هذه المقالة، بزعم أنه يريد بلفظ الجسم أنه قائم بنفسه، وزعم أن هذا هو حد الجسم.

قال الشهرستاني: «وبنوا على هذا أن مِنْ حُكْمِ الْقَائِمِينَ بأنفسهما أن يكونا متجاورين ز متباينين، ففضي بعضهم بالتجاور مع العرش، وحكم بعضهم بالتباين. وربما قالوا: كل موجودين فإما أن يكون أحدهما بحيث الآخر كالعرض مع الجوهر، وإما أن يكون بجهة منه، والباري ليس بعرض، إذ هو قائم بنفسه فيجب أن يكون بجهة من العالم، وأشرفها جهة فرق، فقلنا هو بجهة فوق بالذات»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وعين هذا الاستدلال موجود في المؤلفات التي توصف بجمع العقيدة السلفية في عصرنا، مع أن أحداً من السلف لم يهمس فيه ببنت شفة، إلا أن يكون الكرامية ومن اغتر بهم من المحدثين هم السلف دون الصحابة والتابعين!

(١) محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة، من غلاة الشيعة. تنسب إليه فرقة يقال لها الشيطانية، عدها المقريني من فرق (المعتزلة) وقال: انفرد بطامة، وهي أن الله لا يعلم الشيء حتى يقدره، وأما قبل تقديره فيستحيل أن يعلمه، ولو كان عالماً بأفعال عباده لاستحال أن يمتحنهم ويختبرهم اهـ. ويقال: إن الإمام أبا حنيفة أول من لقبه بشيطان الطاق عقب مناظرة جرت بحضرته بينه وبين بعض الحرورية. توفي نحو ١٦٠ هـ. انظر: لسان الميزان لابن حجر: (٣٠٠ / ٥)، الأعلام للزركلي: (٦ / ٢٧١)،.

(٢) الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي: (٢٠٣).

(٣) الملل والنحل للشهرستاني: (١٠٨).

ونعود إلى مقالة ابن كرام: الذي زاد على ما سبق، زعمه أن الله تعالى ماس لعرشه من الصفحة العليا<sup>(١)</sup>. وأبدل أصحابه لفظ المهاسة بلفظ الملاقة منه للعرش، وقالوا: لا يصح وجود جسم بينه وبين العرش، إلا أن يحيط به العرش إلى أسفل. وهذا هو معنى المهاسة التي امتنعوا من لفظها كما نبه عليه البغدادي<sup>(٢)</sup>. ومنهم من قال إنه على بعض أجزاء العرش. وقال بعضهم إن العرش قد امتلأ به، وصار المتأخرون منهم إلى أنه بجهة فوق، وأنه محذ للعرش<sup>(٣)</sup>.

واختلفت الكرامية في المسافة التي أثبتوها بينه وبين العرش: فمنهم من قال إن بينه وبين العرش من البعد والمسافة ما لو قُدِّر مشغولاً بالجواهر لاتصلت به. وقال ابن الهيصم: إن بينه وبين العرش بعداً لا يتناهى، وهو مُبَيِّنٌ للعالم بينونة أزلية، ونفى التحيز والمحاذاة. وأثبت الفوقية والمباينة<sup>(٤)</sup>. وسوف نرى تسرب هذه المقالة إلى ما يسمى بعقيدة السلف.

واختلفت الكرامية في الاستواء على العرش: فنص ابن كرام على أن معبوده على العرش استقر، وأنه بجهة فوق ذاتاً، وأن العرش مكان له، وجوّز عليه الانتقال والنزول. وسوف نرى مدى تسرب هذه المقالة إلى ما يسمى بعقيدة السلف أيضاً. وزاد بعض أصحابه، فزعم أن العرش مكان له، وأنه لو خلق بإزاء العرش عروشاً موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكاناً له، لأنه أكبر منها كلها.

قال البغدادي: «وهذا القول يوجب أن عرشه اليوم كعبضه<sup>(٥)</sup> في عرضه، ومنهم من قال: إنه لا يزيد على عرشه من جهة المهاسة، ولا يفضل منه شيء على العرش. وهذا يقتضي أن يكون عرضه بعرض العرش، ...، وأعجب من هذا كله أن ابن كرام وصف معبوده:

(١) انظر الفرق بين الفرق لأبي منصور البغدادي: (٢٠٤)، والملل والنحل للشهرستاني: (١٠٨).

(٢) انظر الفرق بين الفرق: (٢٠٤).

(٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني: (١٠٨).

(٤) المصدر السابق: (١٠٨)، واعتقادات فرق المسلمين للرازي: (٦٧).

(٥) يقصد أن مقالته تفيد أن مساحة عرض العرش تساوي مساحة الجزء الذي يلاقي العرش من الله، سبحانه. عما يقولون وتعالى علوا كبيرا. فلفظ البعض يقصد به الجزء هنا.

مسر الثالث: الكرامية المجسمة ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾.  
تنظر: [١]: إنها انفطرت من ثقل الرحمن عليها<sup>(١)</sup> اهـ.

وسوف نرى من وافق على ذلك من المنتسبين إلى السلف اليوم.

ومن مقالة ابن كرام أيضا: إثبات الكيفية لله عز وجل، فيما نقله البغدادي من كتاب عذاب القبر<sup>(٢)</sup>.

قال البغدادي: «ثم إن ابن كرام ذكر في كتابه عذاب القبر باباً له ترجمة عجيبة فقال: ب في كَيْفُوفِيَّةِ الله عز وجل. ولا يدري العاقل من ماذا يتعجب، أم من جسارته على إطلاق نطز الكيفية في صفات الله عز وجل؟ أم من قبح عبارته عن الكيفية بالكيفوفية؟ وله من جنس هذه العبارة أشكال. وقد عبر عن مكان معبوده في بعض كتبه بالحَيْثُوثِيَّة، وهذه عبارات لاثقة بمذهبه السخيف»<sup>(٣)</sup> اهـ. وهذه المقالة مما تسرب إلى ما يسمى اليوم بعقيدة سلف أيضاً.

ومن مقالة أصحابه التي زادوا فيها على مقالة كبيرهم: أنهم عدوا في صفات الله تعالى نيدين والوجه، فأثبتوها صفاتٍ قديمة قائمة بذاته، وقالوا: له يد لا كالأيدي ووجه لا كوجوه<sup>(٤)</sup>، وأثبتوا جواز رؤيته من جهة فوق دون سائر الجهات<sup>(٥)</sup>.

وزعم ابن الهيصم أيضا: «أن الذي أطلقه المجسمة من الهيئة والصورة والجوف وغيرها لا يشبه ما أطلق الكرامية، من أنه خلق آدم بيديه، وأنه استوى على العرش، وأنه يحيى يوم القيامة لمحاسبة خلقه. قال: وذلك لأننا لا نعتقد ذلك على معنى فاسد، من جارحة عضو أو مطابقة للمكان والاستقرار بالعرش في تفسير الاستواء ولا تردد في الأماكن التي

(١) الفرق بين الفرق: (٢٠٧).

(٢) المصدر السابق، وانظر نحوه في التبصير في الدين للإسفرائيني: (٦٨).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر الملل والنحل للشهرستاني: (١١١).

(٥) انظر الفرق بين الفرق: (١٠٩)، والملل والنحل للشهرستاني: (١١١).

تحيط به في تفسير المجيء. قال: وإنما ذهبنا في ذلك إلى إطلاق ما أطلقه القرآن فقط، من غير تكييف ولا تشبيه، وما لم يرد به القرآن والخير فلا نطلقه كما أطلقه سائر المشبهة»<sup>(١)</sup> اهـ.

وهذه محاولة ترقيع وترميم فاشلة، لم يُميّز فيها بين ألفاظ القرآن وبين ما جاء في المتر- المنكرة بالأسانيد الواهية، ولا بين فهمها فهماً صحيحاً وبين فهمها فهماً قبيحاً. فخلطوا ألفاظ القرآن مع هذه الفهوم وتلك المنكرات، وأثبتوا الجميع -مرقوعاً- بزعمهم أنه على الوجه الذي يليق بجلاله، ومستوراً بنفي التكييف والتشبيه لفظاً. وسوف نرى مثل هذا الترميم في ما يسمى اليوم بعقيدة السلف.

وقبل أن نختم القول في تاريخ المجسمة وفرقهم، نشير إلى بعض العبر والفوائد التي يجب أن لا تغيب عن الأذهان في دراسة مثل هذه الآراء.

### عبر وفوائد ينبغي ألا تغيب عن الأذهان في دراسة مقالات التجسيم:

أولاً: أن أتباع الكتاب والسنة والسلف شعار يرفعه حتى من خالف قواطع الكذ- والسنة والسلف. فها هو ابن القدوة الكراميّ يزعم أنه آمن بما أنزل وما صح، وهذا مقذ- وشيطان الطاق يزعم كل منهما أنه لم يُثبِت صورةً للرحمن على صورة آدم إلا اتباعاً للأثر.

ثانياً: أن هذا الشعار يُمزج دائماً بتشنيع مذهب المخالف ونسبته إلى الفلسفة كمن فع- ابن القدوة.

ثالثاً: أن مثل هذه المقالات الشنيعة وقودها العوام الذين لا يحسنون الاستد- ويفتقرون إلى الفهم الدقيق، وربما افتتن بهذه المقالة بعض ضعاف الطلبة الذين يتمللملون ب- إعمال الفكر، فيقتنعون في اعتقادهم بتقليد من أظهر مخايل الزهد وأطال في النسك وت- الوعظ، ويستدلون بما يظهر من التدين على ما بطن من الدين. فها هو ابن كرام على ش- مقالته ينخدع بزهده ووعظه الآلاف.

رابعاً: أن هؤلاء العوام يُستغلون في حماية صاحب هذه المقالة من بطش أحر ح-

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني: (١١١).

٤. كما هاب صاحب سجستان قتل ابن كرام واكتفى بنفيه. وتارة يُستظهر بهم في إيذاء حنفيين وإثارة الفتن كما فعل ابن القدوة.

خامساً: أن المقالة التي بان فسادها لن تعد من يحاول ترميمها واستئصال ما انكشف - عوارها، فيتبرأ المرء مما لا يمكن إصلاحه، أو يتلاعب بألفاظها ويحملها على معان - غير المعاني التي بان فسادها.

سادساً: أن أكثر الناس تصریحاً بأشنع العقائد الباطلة في هذا الباب يتمسكون بنفي شيء وإثبات ما أثبتوه على الوجه اللائق. فهذا هشام بن الحكم يزعم أنه إنما أثبت جسماً لا - : جسم.

وفي هذه المقالة يقول التاج السبكي:

كذب ابن فاعلة يقول لجهله الله جسم ليس كالجسمان

لو كان جسمًا كان كالأجسام يا مجنون فاصغِ وعُدَّ عن البهتان<sup>(١)</sup>

ومن ذلك أيضا أن مقاتل بن سليمان بعد أن تجرأ على الله عز وجل بإثبات الجسم حورة والأعضاء والجوارح، زعم أنه مع ذلك لا يشبهه شيء ولا يشبه غيره.

وهذه النقاط لا تغيب في عصر من العصور عن فكر الخائضين في وصف الله عز - والمتبعين لما تشابه من كتابه وسنة رسوله ﷺ.





## الفصل الرابع

### التجسيم في فكر الوهابية

إن كانت الإشارة قد سبقت إلى بعض جهود المجسمة المعاصرين في التحقيق والتعليق عن بعض المصنفات القديمة التي يسمونها مصادر العقيدة السلفية، إلا أنها كانت أقرب إلى تلميح السريع الذي يحتاج إلى التوضيح، لكشف ما وراءه ومعرفته بشيء من التفصيل. ففي هذا المبحث يتبين العذر الذي سوَّغ إعادة الكتابة في هذا المذهب الشنيع الهالك، فنشير بوضوح إلى صنيع بعض المعاصرين ممن خاضوا في المتشابه، فحاموا حول حمى التجسيم. وأثبتوا نلك أنهم خلَّفوا لسلف كلهم تواصوا بالانحراف العقدي ناحية التجسيم والتشبيه.

- فالقوم لما عرفوا أن مسلكتي التفويض والتأويل اللذين اعتمدهما أهل السنة في تعامل مع نصوص التشابهات - لما عرفوا أنها - حاجزان منيعان من الوقوع في مهاوي تشبيه بالغوا في تشنيعها، وأسرفوا في ذم جمهور أهل السنة وأكابرهم من الأشاعرة والماتريدية الذين اختاروا هذين المسلكين، فرمَوْهُم بالتعطيل والتجهم والإحاد، ونسبوا لهم في اعتقاد الفلاسفة تمويها على الناس وتنفيرا لهم عن مذهبهم، وصرح بعضهم باستباحة دماءهم وأعراضهم، وعكفوا على بعض مصنفات السابقين الذين سبقوهم في ذلك فأشبعوها دراسة وخدمة، وقدموها على أنها مصادر العقيدة السلفية!

فلا بد من الإشارة أولاً إلى جهودهم في خدمة المصنفات التي خاض فيها المتقدمون في التشابهات، ولا بد أيضاً من الإشارة إلى جهودهم في التشنيع على من اختار هذين المسلكين لإبطال ما يدرأ التجسيم.

**أولاً: جهودهم في نشر المصنفات التالفة وتحقيقتها ونشرها وتعظيمها:**

اهتم المعاصرون بما صنفه بعض المتقدمين من الكتب التي جُمعت فيها الأخبار المتشابهة والمتون المنكرة، في ما يسمونه كتب التوحيد والسنة والرد على الجهمية. وقد سبق

الكلام على هذه المصنفات بشيء من الإيجاز. إلا أننا نريد هنا أن نشير إلى منزلة هذه المصنفات - رغم نكارتها - في فكر المعاصرين، الذين بذلوا جهداً كبيراً في تحقيقها ودراستها. على طريقتهم في الدراسة، ونشرها وتوزيعها على مكتبات العالم الإسلامي.

## فمن أهم هذه الكتب:

كتاب السنة المنسوب لعبد الله بن أحمد بن حنبل: وكنا قد أطلنا الكلام في هذا الكتاب، وكشفنا عن كثير من الطامات التي ضمتها صفحاته السوداء، والمقصود هنا - نشير إلى منزلة هذا الكتاب في فكر المعاصرين. فمما يشير إلى أهمية هذا الكتاب، تحقيقه في رسالة جامعية نال فيها المحقق التقدير الممتاز في شهادة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية. وقد صرح الباحث بما يشير إلى منزلة هذا الكتاب في الفكر السلفي.

فقال: «إن هذا الكتاب من أوائل المصادر التي كُتبت في عقيدة السلف، وإخراجها للناس في هذا العصر من الأهمية بمكان»<sup>(١)</sup> اهـ.

ويقول أيضاً: «هذا الكتاب من أمهات مصادر العقيدة في كتب السلف. لذا فهو من المصادر الأولى، إذ لم يتقدمه إلا بعض الكتب الصغيرة، فهو من هذا الجانب ذا (٢) مكانة كبيرة، حيث اعتمدت عليه كثير من الكتب التي صنف في عقيدة السلف. فهو بحق مصدراً برزت قيمته فيمن نقل عنه وعزا إليه. فهذا الكتاب صنوه لهذه المصنفات التي هي نبيه تحتل مكان الصدارة بعد كتاب الله في المكتبة الإسلامية»<sup>(٣)</sup> اهـ.

يقول الدكتور صهيب السقار<sup>(٤)</sup>: وقد أجريت إحصائية لما في هذا الكتاب من الأحاديث والآثار، فوجدت المحقق قد ضعف من أحاديثه وآثاره ما يقارب ثمانية وخمسين خبيراً من كل مئة خبر. وفي الأخبار التي وثق المحقق رجال إسنادهما من هذا الكتاب ما يزيد على ثمانين خبيراً. فوجدت المحقق قد ضعف من أحاديثه وآثاره ما يقارب ثمانية وخمسين خبيراً من كل مئة خبر. وفي الأخبار التي وثق المحقق رجال إسنادهما من هذا الكتاب ما يزيد على ثمانين خبيراً. فوجدت المحقق قد ضعف من أحاديثه وآثاره ما يقارب ثمانية وخمسين خبيراً من كل مئة خبر. وفي الأخبار التي وثق المحقق رجال إسنادهما من هذا الكتاب ما يزيد على ثمانين خبيراً.

(١) مقدمة كتاب السنة، بتحقيق د. محمد سعيد سالم القحطاني: (١٥/١).

(٢) الصواب (ذو مكانة) لأنه خير.

(٣) مقدمة كتاب السنة لعبد الله بن أحمد - تحقيق د. محمد سعيد سالم القحطاني: (١/٦٥-٦٦).

(٤) التجسيم وأثره في الفكر الإسلامي للدكتور صهيب السقار.

فمن ذلك مثلاً: أنه وثق ما أخرجه المؤلف بسنده عن الإمام مالك بن أنس، أنه ذكر أبا حنيفة بكلام سوء، وقال: كاد الدين، ومن كاد الدين فليس من الدين<sup>(١)</sup>، ومنه أيضاً: عن ي عوانة: أن أبا حنيفة قال في المسكر حلال<sup>(٢)</sup>، وأنه - أي الإمام أبو حنيفة - استُيب من كفر مرتين<sup>(٣)</sup>، ومنه أيضاً: أن الله عز وجل يدني داود عليه السلام حتى يضع يده في يده<sup>(٤)</sup>.

فمن العجيب أن القوم قد بالغوا في التشنيع على كتاب إحياء علوم الدين للحجة بسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى، متذرعين بما فيه من الأحاديث الضعيفة، مع أن غزالي لم يورد هذه الأحاديث في كتاب موضوعه العقيدة في الله عز وجل وصفاته!

بل لو كان يُشترط في الأخبار التي يُحتج بها في فضائل الأعمال ما يُشترط في الأخبار التي يُحتج بها في العقائد لم ينج مؤلف كتاب السنة مما نجا منه الغزالي. وهو معارضة القواطع التي دلت على تنزيه الله عز وجل. فقد سبق أن المحقق نفسه اعترف على بعض أخبار الكتاب أن فيه دخولاً في تكييف صفات الله عز وجل، فيكون أسوأ حالاً ممن احتج بحديث ضعيف في فضائل الأعمال التي لا يعارضها الشرع، بل لا بد أن يشهد لها إجمالاً أو تفصيلاً.

وبالجملة، فقد سبق نقد هذا الكتاب وما تضمنه من المنكرات والإسرائيليات التي لم تخف حتى على المحقق. فمن العجيب أن يزعم المحقق أن هذا الكتاب صنو لمؤلفات تحتل مكان الصدارة بعد كتاب الله في المكتبة الإسلامية! ومن العجيب أن القوم تظاهروا على عدّه من مصادر عقيدتهم السلفية!

ومن يتابع السلف على نبذ التعصب والتجرد لطلب الحق، يعلم أن الإسلام أغنى ما يكون عن هذا الكتاب، لأن شيئاً من دين الله عز وجل لم يوكل إثباته إلى كتاب مجهول السند. ويعلم كذلك أن ما اختص به هذا الكتاب هو الطعن في السلف، وإثارة الفتنة بين المسلمين،

(١) مقدمة كتاب السنة لعبد الله بن أحمد - تحقيق د. محمد سعيد سائر الفحطاني: (١/١٩٩).

(٢) المصدر السابق: (١/٢٠٧).

(٣) المصدر السابق: (١/١٩٣).

(٤) المصدر السابق: (٢/٢٠٥).



حصل الرابع: التجسيم في فكر الوهابية ١٤١  
دكتور رشيد بن حسين في رسالة نال بها شهادة الماجستير بتقدير ممتاز. قال فيها: «ومن تأمل  
تدبه، سيقف على ما كان عليه هذا الرجل من مناصرة السنة، وشدة الحرص على إثبات  
صفات الله وأسمائه!»<sup>(١)</sup> اهـ.

وأما كتاب الرد على الجهمية فقد حققه أيضاً بدر البدر، وشهد له باتباع السلف ونصر  
سنة<sup>(٢)</sup>. وخصَّ الطالبُ محمود محمد أبو رحيم الدارمي بدراسة دفاعه عن عقيدة السلف في  
سالة جامعية، زعم فيها أن الدارمي لم تتعثر قدمه في اقتفاء أثر سلفه الصالح<sup>(٣)</sup>.

ولرير محمد بن خليفة التميمي بأساً بأن يعد كتاب العرش لمحمد بن عثمان بن أبي  
شيبه<sup>(٤)</sup> من مصادر العقيدة السلفية أيضاً، ونال شهادة الدكتوراه على تحقيقه لهذا الكتاب،  
وشهد له ولمؤلفه بالسلفية<sup>(٥)</sup>.

ولر يأنف بعضهم من تحقيق كتاب أحد المتهمين بالوضع وحكّ الكتب، وهو أبو عبد  
له بن بطة العكبري<sup>(٦)</sup>، الذي ألف كتابه الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ونال رضا نعيان  
معطي شهادة الماجستير على تحقيقه. وقال: «كتاب الإبانة لابن بطة يعد أكبر موسوعة في  
نعقيدة السلفية. هذا الكتاب يمثل مذهب الإمام أحمد بن حنبل!»<sup>(٧)</sup> اهـ.

(١) انظر مقدمة الكتاب بتحقيقه: (١٤/١).

(٢) انظر مقدمة الكتاب بتحقيقه: (٩-١٠).

(٣) انظر مقدمة رسالته الموسومة «عثمان بن سعيد الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف» من رسائل جامعة أم  
القرى: (١٤٠٣).

(٤) سبق الكلام عنه وأنه متهم بالكذب عند كثير من أئمة الحديث.

(٥) انظر مقدمة رسالته «محمد بن عثمان بن أبي شيبه وكتابه العرش»، ص: (٢٢١،٧)، وقد نال به شهادة  
الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٦) قال الذهبي في المغني في الضعفاء (٤١٧/٢): عبید الله بن محمد بن بطة العكبري، إمام، لكنه لئّن صاحب  
أوهام، مات سنة ٣٨٧هـ. قلت: وانظر ترجمته في السير وتاريخ الإسلام للذهبي، وتاريخ دمشق لابن  
عساكر، لتعرف كيف كان يحكّ الكتب، ويدعي كذباً أنه سمع من بعض الشيوخ .. والعجب من الحافظ  
الذهبي، كيف يصف من هذا حاله بأنه إمام، مع جرحه فيه بنسبة اللين والأوهام إليه !!

(٧) انظر مقدمة الكتاب بتحقيقه: (٧-٦/١).

وحاشا لمذهب إمام أهل الأثر أن يمثله متهم بالوضع والتصرف في الكتب.  
 ومثله كتاب التوحيد لابن منده، الذي اشترك في تحقيقه الطالبان موسى بن ع-  
 العزيز الغصن ومحمد ابن عبد الله الوهبي، لأنه من مصادر عقيدة السلف أيضاً<sup>(١)</sup>.  
 وحظي كتاب الأربعين في دلائل التوحيد لأبي إساعيل الهروي بعناية الدكتور علي -  
 محمد الفقيهي، فحققه على أنه من مصادر العقيدة السلفية أيضاً.  
 وقد سبق الكلام قبل ذلك على هذه المصنفات والكشف عن ما تضمنته من المنكر -  
 الواهيات. والتي إن كان لا بد من جعلها مصدراً لشيء، فلا يجوز إلا أن تكون مص-  
للأخبار المنكرة.

وليس أدل على ذلك من أن بعض القوم عد كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصفهاني  
 من مصادر العقيدة السلفية<sup>(٣)</sup>، مع أنه مادة لمن صنف في جمع الأحاديث الموضوعة.  
 واهتموا بكتاب إبطال التأويلات لأبي يعلى الفراء، فحققه محمد بن حمد النجدي، وزعم  
 أنه كتاب فريد تضمن الرد على تأويلات الأشاعرة والمعتزلة والجهمية لأخبار الصفات الإلهية  
 وبيان مذهب السلف فيها<sup>(٤)</sup>. وقال متحلياً بالمنهج العلمي: «والكتاب لا يخلو من هفوات -  
 هو شأن جميع الكتب، فقد أبى الله أن يتم إلا كتابه كما قال الشافعي رحمه الله»<sup>(٥)</sup> اهـ.

(١) انظر مقدمة الكتاب: (١/٢٣).

(٢) قال الذهبي في التذكرة (٣/١٠٥): الإمام حافظ أصبهان ومسنده زمانه، أبو محمد عبد الله بن محمد بن حمد  
 بن حيان الأنصاري، صاحب المصنفات السائرة. وكان مع سعة علمه وغزارة حفظه صالحاً خيراً قديماً -  
 صدوقاً، اهـ. توفي سنة ٣٦٩هـ.

(٣) انظر مثلاً مقدمة المحقق رضاء الله بن محمد المباركفوري: (١/١٢ و ٤٠ و ٨٣ و ٨٥). وانظر أيضاً جـ -  
 أهل السنة لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (١٥٦)، فقد عده من كتب السنة مع كتابي الدارمي وكتـ -  
 ابن بطة والهروي وستة الخلال ونحوها. وانظر أيضاً من عقيدة المسلمين لعلي محمد المصراحي: (٢٩). وكتـ -  
 أيضاً الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء، وهو رسالة جمعية -  
 بها جمال بن أحمد بن بشير يادي شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

(٤) انظر مقدمة إبطال التأويلات: (٤/١).

(٥) المصدر السابق: (٦/١).

فهذا المحقق يزعم أن ما اعتبره أئمة الحنابلة عاراً محسوباً على المذهب لا يعدو أن يكون مجرد هفوات. فهل يُعد من الهفوات إثبات الأضراس واللّهوات، وإثبات الفراش والحجر في الصفات؟! ومن العجيب كذلك أن المحقق شهد للمؤلف باتباع الإمام أحمد ومذهب أهل السنة، وأخذ عليه نفى التجسيم، وعدّه من القليل الذي وافق فيه المتكلمين من نبي أو إثبات أو تفويض، مما يخالف بزعمه كتاب الله وسنة رسوله<sup>(١)</sup>.

وقد اعتنى القوم بدراسة منهج أبي يعلى: فنال الطالب فهد بن موسى الفائز شهادة ماجستير في رسالته: «منهج القاضي أبي يعلى في أصول الدين»<sup>(٢)</sup>. ونال الطالب سعود بن عبد العزيز الخلف شهادة الماجستير بتقدير ممتاز، في رسالة شهد فيها لأبي يعلى باتباع منهج سلف في إبطال التأويلات<sup>(٣)</sup>. وقد بذل وسعه في دفع صولة أئمة الحنابلة على أبي يعلى وشيخه ابن حامد وما لطّخا به المذهب، فزعم أنهما في ذلك اتبعا السنة واقتفيا الأثر<sup>(٤)</sup>. زعم علي ابن العربي أنه نسب إلى أبي يعلى أنه قال القول المشهور في الفرج واللحية، وزعم أن أبا يعلى بريء منه. مع أن كتاب أبي يعلى الذي شهد له المحقق فيه باتباع منهج السلف ثبت لله عز وجل الفخذ والأضراس واللّهوات والإيهام والخنصر والرجل والوجه واليدين ونساق الصدر والحقو والذراعين وغيرها مما سموه بالصفات. ونال الطالب سعود الخلف كذلك شهادة الماجستير، في رسالته التي أعدها تحت عنوان «القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان»<sup>(٥)</sup>.

وأكثر القوم من الثناء على هذه المؤلفات، وعدّها من مصادر العقيدة السلفية، ولم أقف على خلافٍ بينهم في ذلك<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر السابق: (١/٢٥).

(٢) من رسائل جامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٤١٢هـ.

(٣) انظر القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان: (٦٧).

(٤) القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان: (١١٤).

(٥) رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٦هـ.

(٦) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء: (٣/١٢٤)، جواب أهل السنة لعبد الله بن محمد بن عبد =

• ثانياً: ذمهم لأهل السنة الأشاعرة والماتريدية، ورميهم لهم بالبدعة، واستباحة دماءهم

وأعراضهم:

من المهم أن نلفت الانتباه إلى أن القوم عالة على أهل السنة الأشاعرة والماتريدية في جميع العلوم، فلم يشعروا عليهم في شيء من العلوم العقلية والنقلية أبداً. بل يعترفون بتقدمهم وفضلهم، ويعتمدون على كتبهم، ويعتبرونها مراجع للأمة الإسلامية قاطبة، والأمر كذلك على الحقيقة.

لكنهم فيما يخص التفويض والتأويل تجدهم يتناسون ذلك، وينقلب مدحهم لعلمهم ذمًا، واعترافهم بفضلهم لومًا. فتظن أنهم يتكلمون عن قوم آخرين غير الذين مدحهم في مواضع أخرى!

وما ذاك إلا لأن التفويض والتأويل فيهما ما يتناقض مع مذهبهم، من الخوض في التشبيه عن طريق بؤابة ما يسمونه بالصفات.

فهذا ابن تيمية قديماً يشير إلى موضع النزاع فيقول لأحد مناظريه: «إن أمهات المسائل التي خالف فيها متأخرو المتكلمين ممن ينتحل مذهب الأشعري لأهل الحديث ثلاث مسائل: وصف الله بالعلو على العرش، ومسألة القرآن، ومسألة تأويل الصفات. فقلت له: نبدأ بالكلام على مسألة تأويل الصفات فإنها الأم، والباقي من المسائل فرع عليها»<sup>(١)</sup> اهـ.

وعلى طريقة ابن تيمية يقول صالح الفوزان: «أما كون الأشاعرة لم يخرجوا عن الإسلام فهذا صحيح، هم من جملة المسلمين، وأما أنهم من أهل السنة والجماعة فلا، لأنهم يخالفون أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات من غير تأويل»<sup>(٢)</sup> اهـ.

= الوهاب: (١٥٨)، تنبيهات على من تأول الصفات لابن باز: (٢٢)، العقيدة الصحيحة له: (١١)، مجيب فتاوى ابن عثيمين: (١٤٩/١)، عقيدة التوحيد للدكتور صالح الفوزان: (٢٢٠)، علاقة الإثبات والتفويض لرضا نعسان معطي: (٢١)، من عقيدة المسلمين للمصراحي: (٢٩)، تعريف الخلف بمنهج السلف للبريكان: (٢٧١).

(١) مجموع الفتاوى: (٣٥٤/٦).

(٢) تنبيهات على مقالات الصابوني: (٦٢).



ويقول الشيخ ابن باز: «فالأشاعرة وأشباههم لا يدخلون في أهل السنة في إثبات صفات، لكونهم قد خالفوهم في ذلك وسلكوا غير منهجهم. كما أنه لا مانع أن يقال: إن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة في باب الأسماء والصفات، وإن كانوا منهم في الأبواب الأخرى!»<sup>(١)</sup> اهـ.

وسياتي الكلام إن شاء الله عن تفصيل مذهب أهل السنة في العمل بالتفويض وتأويل، وإقامة الأدلة على صحة هذين المسلكين وصحة نسبتها إلى السلف، وبراءة الفكر سليم والسلف الصالح من المسلك الذي اختاره المجسمة أدياء السلفية.

وهذا يعني أن القوم ما تقموا منهم إلا أنهم لم يُثبتوا الصفات بالظن، ولم يتبعوا ما تشبه، بل حملوه على محكم التنزيه، وعلى ما يصح حمله عليه في لغة العرب وأساليبها، أو تسكوا بتفويض العلم بالمراد إلى الله عز وجل، ولم يتصرفوا فيه بزيادة أو تغيير أو تأويل. فهل يستحق من اختار هذين المسلكين هذه الحملة الشرسة وما يترتب عليها من أحكام جائرة؟.

هذه الحملة التي شارك فيها ابن تيمية ساعده الله بوصفٍ خرج فيه عن جادة العلم، فقال: «المعتزلة في الصفات مخانيث الجهمية. وأما الكلائية فيثبتون الصفات في الجملة، وكذلك الأشعريون، ولكنهم كما قال الشيخ أبو إسماعيل الأنصاري: الجهمية الإنانث، وهم مخانيث المعتزلة!»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقال أيضاً: «ومن رزقه الله معرفة ما جاءت به الرسل وبصراً نافذاً وعرف حقيقة ما أخذ هؤلاء، علم قطعاً أنهم يلحدون في أسائهم وآياتهم، وأنهم كذبوا بالرسل وبالكتاب وبما رُسل به رسله! ولهذا كانوا يقولون إن البدع مشتقة من الكفر وآيلة إليه، ويقولون إن المعتزلة مخانيث الفلاسفة، والأشعرية مخانيث المعتزلة. وكان يحيى بن عمار يقول: المعتزلة الجهمية نذكور، والأشعرية الجهمية الإنانث، ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية. وأما من قال منهم بكتاب الإبانة<sup>(٣)</sup> الذي صنفه الأشعري في آخر عمره، ولم يُظهر مقالة تناقض

(١) تنبيهات في الرد على من تأول الصفات: (٤٢)، وانظر نحوه في وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم محمد: (٢٩٨).

(٢) الحسنة والسيئة، ضمن مجموع الفتاوى: (٣٤٨/١٤).

(٣) هناك علامات استفهام كثيرة على كتابة الإبانة، وقد طعن عدد من المحققين في صحة نسبة الإبانة الموجودة =

ذلك فهذا يعد من أهل السنة. لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة، لا سيما وأنه بذلت يوهم حسناً بكل من انتسب هذه النسبة، ويفتح بذلك أبواب شر»<sup>(١)</sup> اهـ.

ويقول ابن القيم في قصيدته النونية:

«ليسوا مخانيث الوجود فلا إلى الـ الكفران ينحازوا ولا الإيـان»<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً: «في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت:

أهون بذات الطاغوت لا عز اسمه طـاغوت ذي التعطيل والكفر -  
كم من أسير بل جريح بل قتيل تحت ذا الطـاغوت في الأزـم -  
وترى الجبان يكاد يخلع قلبه من لفظه تبالكل جبـ -  
وترى المخنث حين يقرع سمعه تبدو عليه شمائل النسور  
ويظل منكوحاً لكل معطل ولكل زنديق أخى كفران»<sup>(٣)</sup>

ويقول أيضاً: «بل الذي بين أهل الحديث والجهمية من الحرب أعظم مما بين عسكر

الكفر وعسكر الإسلام»<sup>(٤)</sup> اهـ.

ومن ذلك ما نشره المعاصرون تحت عنوان نونية القحطاني، لأبي محمد عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي (٣٨٧هـ) بتحقيق محمد بن أحمد سيد أحمد، هذه النونية التي يعتني بعض المبتدئين بحفظها، وتجد نسخاً منها عند أبواب معظم المساجد!

ومن أبيات هذه النونية:

= الآن كاملة إلى الإمام الأشعري رحمه الله. وانظر «أهل السنة الأشاعرة، شهادة علماء الأمة وأدلتهم» لحمد السنان وفوزي العنجري. و«الإبانة» تحقيق د. فوقية حسين، و«نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن» للشيخ وهبي غاوجي الألباني.

(١) الحسنة والسيئة، ضمن مجموع الفتاوى: (٦/٣٥٩) وانظر أيضاً: (٨/٢٢٧) و(٢/١١٤).

(٢) شرح قصيدة ابن القيم: (٢/٢٠٣).

(٣) شرح قصيدة ابن القيم: (٢/٣٢٠).

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية: (١٥٤) وانظر الصواعق المرسله: (٤/١٣٣٣).

«والآن أهجو الأشعري وحزبه وأذيع ما كنتموا من البهتان  
عطلتم السبع السموات العلا والعرش أخليتم من الرحمن  
لأقطعن بمعولي أعراضكم مادام يصحب مهجتي جثماني  
ولأكتبن إلى البلاد بسبكم فيسير سير البزل بالركبان  
يا أشعرية يا أسافلة الوري يا عمي يا صم بلا آذان  
إني لأبغضكم وأبغض حزبكم بغضاً أقل قليله أضغاني  
لو كنت أعمى المقتلين لسرني كيلا يرى إنسانكم إنساني  
قد عشت مسروراً ومت مخفراً ولقيت ربي سري ورعاني  
لم أدخر عملاً لربي صالحاً لكن بإسخطي لكم أرضاني»<sup>(١)</sup>

وليشفع الانتساب إلى المحدثين ولا الانتساب إلى الحنابلة في منع تطاول القوم على مثل الحافظ البيهقي<sup>(٢)</sup> والحافظ ابن الجوزي<sup>(٣)</sup> والحافظ النووي<sup>(٤)</sup> والحافظ ابن حجر<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر نونية القحطاني: (٥٤-٥٠)، وانظر رمي الأشاعرة بالبدعة في معتقد أهل السنة للدكتور محمد بن خليفة التميمي: (٥٤-٥٥)، وموقف أهل السنة من أهل البدع للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي: (١٥٤/١). وقد جعل الدكتور غالب بن علي العواجي الإمام الأشعري في الدرجة الثالثة من درجات الجهمية في كتابه فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام: (٩٨٩/٢). وعد رضاء الله المباركفوري الأشاعرة والمازنيدي من الحركات الهدامة والفتن في مقدمة تحقيقه كتاب العظمة: (٨٣/١).

(٢) انظر مقدمة رسالة أحمد بن علي الغامدي، وعنوانها: «البيهقي وموقفه من الإلهيات»، وهي رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ.

(٣) وقد خصه أحمد بن عطية الزهراني بالدراسة على طريقتهم في رسالته التي نال فيها شهادة الماجستير من جامعة أم القرى ١٣٩٧هـ بعنوان ابن الجوزي بين التفويض والتأويل.

(٤) انظر دعوة التوحيد للدكتور محمد خليل هراس: (٢٢٤)، وفتاوى اللجنة الدائمة: (١٦٣/٣).

(٥) انظر نيل عبد الله بن إبراهيم آل حمد من الحافظ ابن حجر، في تحقيقه لكتاب «توفيق الرحمن» لفيصل بن عبد العزيز آل مبارك (٢/٢٢٠)، وقد رماه بمخالفة أهل السنة وأتباع أهل البدع من الأشاعرة. وانظر نحوه في منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة لمحمد إسحاق كندو (١٣١)، وغمزه بأنه كان ذا عقيدة يشوبها التمشعر.

ويقول الدكتور محمد أمان الجامي بعد نفيه علاقة الأشاعرة بالسلف: «وقد انخدع بهم كثير من علماء الفقه والحديث، فوافقوهم في بعض ما ابتدعوه. فانتشرت في مصر والشهد والعراق باسم عقيدة أهل السنة والجماعة، حيث خلا الميدان لأبي حميدان»<sup>(١)</sup> أهـ.

فهل يمكن تصديق فكرة أن ينخدع في العقيدة أئمة أعلام في قَدْرٍ ودراية وكفاءة: البيهقي والحاكم وأبي نعيم والإسفرائيني والخطيب البغدادي وإمام الحرمين والفخر الرازي والآمدي والبيضاوي والعز بن عبد السلام وابن عساكر والنووي وابن حجر العسقلاني والقاضي ابن العربي والقاضي عياض وابن كثير والسيوطي وابن الزملكاني وابن الحاجب والحصري والسبكي والقرطبي والسَّفِيّ والسيوطي وغيرهم من العلماء، وهم أئمة الحديث والرواية والدراية والفهم والاستنباط، والذين تمثل آراؤهم ومصنفاتهم الذخيرة الحقيقية والمرجعية الموثوقة للتراث الإسلامي.

وهل كان كل أولئك العظماء بتلك السذاجة البالغة، لدرجة أنهم لم يستطيعوا أن يميزوا الحق من الباطل والصواب من الخطأ في أهم مسائل الدين على مر الزمان وتعقب الأجيال، ثم يتبته الدكتور محمد أمان الجامي وأهل مذهبه في بداية القرن الثالث عشر الهجري بكل بساطة هكذا إلى هذه الخدعة التي انطلت على جميع أولئك الأكابر؟ هذا أمر أعجب العجائب!

بل وفي كلامه ما يؤكد أن عقيدة الأشاعرة في مصر والشام والعراق -وهي محض العلماء وحواضر العلوم ومستودعات التراث- انتشرت واشتهرت على أنها عقيدة أهل السنة والجماعة. وهذا يثبت أنها كذلك في الحقيقة، وإلا ما تبعتها علماء تلك البلاد، على كثرتهم وكفاءتهم وإتقانهم واختلاف تخصصاتهم.

ويقصد في كلامه الجزيرة العربية بميدان أبي حميدان الذي خلا لأهل البدع -على حد قوله-، مما يضيف قلب الجزيرة العربية إلى الأقطار الساذجة المخدوعة بعقيدة الأشاعرة: ومعهم الماتريديّة.

(١) الصفات الإلهية: (١٥٥).

ثم يقول الجامي: «هكذا تجسدت الدعوة السلفية في الدولة السعودية الإسلامية سلفية في قلب الجزيرة العربية. التزمت الحكومة السعودية أن يكون المنهج المقرر بالنسبة سموات الدينية هو المنهج السلفي في جميع مراحل التعليم، من المرحلة الابتدائية إلى الدراسات العليا. فالشباب السعودي يبدأ في دراسة العقيدة على المنهج السلفي من السنة الابتدائية لأولى، ثم يستمر في دراسة العقيدة والشريعة على المنهج نفسه بتوسع متفاوت ومطرود إلى درجة الدكتوراه، كما ينهج هذا المنهج الطلاب الوافدون من خارج البلاد للدراسة في جامعات السعودية، ليتخرجوا على ذلك المنهج السلفي ليطبوه في بلادهم إذا رجعوا إليهم. فلا يوجد في الجامعات السعودية ولن يوجد إن شاء الله منهج آخر يزاحم المنهج سلفي»<sup>(١)</sup> اهـ.

وهذا شاهد على أهمية التلقين وتغيير فطرة المتزّهين منذ نعومة الأظفار، فيسبّبون تَشْيِيبُونَ على الفكر الحسي. وفيه التنبيه على الطريقة التي انتشر بها هذا الفكر في بعض أنحاء عالم الإسلام.

ويقول عبد الملك علي الكليب: «وهؤلاء الأشاعرة يدافعون عن الزنادقة مدافعة المسعور. وهذا شأنهم في الشام والهند ومصر وكثير من بلدان المسلمين، ورحم الله محمد بن عبد الوهاب الذي طهر أكثر جزيرة العرب من الشرك والبدع والعقائد الفاسدة الهدامة الكافرة»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ولا أدري من هم أولئك الزنادقة الذين دافع عنهم الأشاعرة مدافعة مسعورة كما يزعم الكليب؟ حيث لم ينقل لنا التاريخ شيئاً عن هذه المدافعة. بل الذي نقله التاريخ يشهد بجهد الأشاعرة المستميت في التصدي للزنادقة والمبتدعة، والدفاع عن العقيدة الصافية النقية، ولو كان في هذا التصدي إزهاق أرواحهم أو خسارة مناصبهم!!

ويقول محمد بن ربيع المدخلي في وصف القرن السادس الهجري: «كان الأشاعرة

(١) المصدر السابق: (١٣٦).

(٢) صفات التابعين وأهل الكتاب والسنة: (٦-٧).

يلقبون أنفسهم أهل السنة والجماعة، وكاد يخفي المنهج السلفي، منهج أحمد بن حنبل ومن سبقه من أئمة الإسلام، وأصبحت عقيدة السلف غريبة، يُعدُّ أتباعها في أنحاء العالم الإسلامي على الأصابع»<sup>(١)</sup> اهـ.

وهذا من أصح الاعتراف بشذوذ فكر أدعياء السلفية وتطرفه وغلوه، حتى لا يعدن في أنحاء العالم الإسلامي من الأتباع إلا بعدد الأصابع! وهو من أصدق الشهادة على مسيأتي من قول التاج السبكي. هذا القول الذي يحصل به الجواب عن ما يستحق الجواب عنه سبق<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ تاج الدين السبكي: «اعلم أن أبا الحسن -يعني الأشعري- لم يبتدع رأياً وإنما ينشئ مذهباً، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ. فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقَّد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك السالك سبيلَه في الدلائل يسمى أشعرياً.

ولقد قلتُ مرةً للشيخ الإمام رحمه الله -يعني والده الإمام تقي الدين السبكي-: أعجب من الحافظ ابن عساكر في عدّه طوائف من أتباع الشيخ، ولم يذكر إلا نزرًا يسيرًا وعدداً قليلاً، ولو وقى الاستيعاب حقه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة، فإنهم برأي أبي الحسن يدينون الله تعالى! فقال: إنما ذكّر من اشتهر بالمناضلة عن أبي الحسن، وإلا فالأمر على ما ذكرت من أن غالب علماء المذاهب معه.

(١) انظر تعليقه على كتاب الحجّة في بيان المحجّة لإسماعيل بن محمد التميمي (٥٣٥هـ): (١/٤٢).

(٢) قلت: لم يكن لقب أهل السنة يُطلق على الأشاعرة والماتريدية لأنهم لقبوا أنفسهم به، بل كان كل مخنفي الأشاعرة والماتريدية - ما عدا المجسمة - يقرّون لهم بلقب أهل السنة والجماعة، وهذا أوضح من أن نقيه عليه دليلاً، حيث لا يحتاج إثبات هذا الأمر إلى أكثر من مطالعة كتب خصومهم من غير المجسمة، فهو لا الخصوم جميعاً يلقبونها صراحةً بأهل السنة، سواء كان أولئك الخصوم من المعتزلة أو الزيدية أو الروافض؛ والخوارج أو غيرهم من الفرق. على عكس ما يفعل الوهابية الآن، حيث لقبوا أنفسهم بالسلفيين وأهل السنة وأهل الحديث، رغم عدم إقرار مخالفيهم لهم بهذه الألقاب، وكذلك فعل المعتزلة قديماً ولقبوا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، ولقب الخوارج أنفسهم الشّراة أي الذين باعوا أنفسهم لله، ومع ذلك أصر خصومهم عن تسميتهم معتزلة وخوارج، وأجمع الكل كذلك على تسمية هؤلاء وهابية ومجسمة وحشوية.

وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، أن عقيدته -أي الأشعري- اجتمع سبب الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ -كفية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصري. ونقل الحافظ -عساكر- كلام الشيخ أبي عبد الله محمد ابن موسى بن عمار الكلاعي المأيرقي، وهو من -سنة المالكية في هذا الفصل، فاستوعب فيه أهل السنة من المالكية والشافعية وأكثر الحنفية، -سن أبي الحسن الأشعري يتكلمون وبحجته يحتجون.

قال المأيرقي: ولر يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة، إنما جرى على سنن -برية وعلى نصرة مذهب معروف، فراد المذهب حجة وبياناً، ولر يبتدع مقالة اخترعها ولا -حجاً أنفرد به. ألا ترى أن مذهب أهل المدينة نُسب إلى مالك، ومن كان على مذهب أهل -سنة يقال له مالكي؟ ومالك إنما جرى على سنن من كان قبله وكان كثير الاتباع لهم، إلا أنه -رد المذهب بياناً وبسطاً عزي إليه. كذلك أبو الحسن الأشعري ولا فرق، ليس له في -حج السلف أكثر من بسطه وشرحه وتواليغه في نصرتة»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال التاج السبكي أيضاً: «ذَكَرُ بِيَانُ أَنَّ طَرِيقَةَ الشَّيْخِ هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا الْمُعْتَبَرُونَ مِنْ عَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُتَمَيِّزُونَ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ فِي مَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْقَائِمُونَ بِنَصْرَةِ نَبِيِّنَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ».

قد قدمنا في تضاعيف الكلام ما يدل على ذلك، وحكي لنا لك مقالة الشيخ ابن عبد سلام ومن سبقه إلى مثلها وتلاه على قولها، حيث ذكروا أن الشافعية والمالكية والحنفية -فضلاء الحنابلة أشعريون، هذه عبارة ابن عبد السلام شيخ الشافعية وابن الحاجب شيخ -نكية والحصري شيخ الحنفية.

ومن كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة الثقة الثبت: هل من الفقهاء الحنفية والمالكية -شافعية إلا موافق للأشعري ومنتسب إليه وراض بحميد سعيه في دين الله ومثنٍ بكثرة نعم عليه، غير شذمة قليلة تضمم التشبيه وتعادى كل موحد يعتقد التزيه، أو تضاهى قول

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٣/٣٦٥-٦٧).

١٥٢ المعتزلة في ذمّة وتبأهي بإظهار جهرها بقدره سعة علمه. قلت [التاج السبكي]: أنا أعلمُ المالكية كلهم أشاعرة لا أستثنى أحداً، والشافعية غالبهم أشاعرة لا أستثنى إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به، والحنفية أكثرهم أشاعرة، أعني يعتقدون عند الأشعري، لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة، والحنابلة أكثر فضلاء متقدميه أشاعرة، لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعري إلا من لحق بأهل التجسيم، وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم»<sup>(١)</sup> .

ولست أرى بعد ذلك وجهاً للسكوت عن وصف الله عز وجل بشيء مما سبق. مع التغير بنسبته إلى السلف، ولا أرى وجهاً كذلك يبرر السكوت على التطاول على أكابر عمّ المسلمين من الأشاعرة والماتريديّة ورميهم بالبدعة ومخالفة السلف، خاصة في هذا العصر الذي علا فيه الزبد واستُحسِنَتْ فيه المسايرة وإيثار السلامة، وطُمِعَ فيه بالوظيفة، و- بمجاملة من خاض في المتشابه وتطاول على الأكابر.

وما أعجب التذرع بكرامة إيقاظ الفتن، مع نشر هذه المصنفات وانتشار التطاول على جمهور أهل السنة وأكابرها على مر العصور. فإن كان بيان ما في هذه المصنفات من الخوض في المتشابه إيقاظاً، فهو إيقاظ لمن غطوا في سبات الفتنة والله المستعان<sup>(٢)</sup>.

(١) طبقات الشافعية الكبرى: (٣/ ٣٧١-٣٧٧)، وانظر كلام الحافظ ابن عساکر في تبين كذب نعتي.

(١١٨-١٢٢) و(٣٣٢ و٣٦٢).

(٢) التجسيم وأثره في الفكر الإسلامي، د. صهيب السقار - رسالة دكتوراه، جامعة بغداد.





# الباب الثالث

قول الفريقين في قضية الصفات الخيرية

## الباب الثالث

### قول الفريقين في قضية الصفات الخبرية<sup>(١)</sup>

اختلف أهل السنة الأشاعرة والماتريدية مع المجسمة أدياء السلفية في بعض نصوص التي وردت بها ألفاظٌ تُوهَمُ مشابهةً الله تعالى لخلقه.

كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

وكقوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>، «الصَّدَقَةُ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ»<sup>(٣)</sup>.

### اختلفوا في موقفهم منها:

- هل هو تفويض معناها، بالسكوت عنها وإمرارها دون التعرض لها بتفسير أو تأويل، وفهمها من خلال السياق الذي وردت فيه وعدم انتزاعها منه، مع نفي الكيفية عنها؟
- أم بحملها على معنى مجازيٍّ على وجه الاحتمال، مستفادٍ من السياق، ألجأت إليه الضرورة؟

(١) وهو الاصطلاح الذي اختاره عدد من المحققين، وإن كنت أميل إلى اصطلاح «الإضافات» على ما ذكره الحافظ أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي في «دفع شبه التشبيه»، والعلامة السيد محمد بن علوي المالكي الحسيني في كتابه القيم «منهج السلف في فهم النصوص بين النظرية والتطبيق». لكن هذه التسمية اصطلاح عليها عدد كبير من العلماء في عصرنا، على سبيل المسابرة للمخالفين عند المناقشة، ولذلك أُنْتُهتُها في ترجمة الباب.

(٢) صحيح البخاري: (١١٥٤)، مسلم: (٧٥٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير: (٨٥٧١) عن ابن مسعود، ويلفظ آخر (١٢٥١) قال: عن ابن عباس رفعه، قال: «وما مدَّ عبد يده بصدقة إلا ألقيت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٤): فيه عبد الله بن قتادة المحاربي، ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله ثقات.

- أم إثبات معانٍ محددةٍ مقطوعٍ بها، تُستفاد من حقيقتها اللغوية، مع إثبات كيفية غير معلومة؟

## واختلفوا كذلك:

- هل هذه الألفاظ تدل بظاهاها وحقيقتها اللغوية على صفات تصح نسبتها قطعاً إلى الباري جل وعز؟

- أم أنها وردت في النصوص لأغراض أخرى، وربما دلت على صفات في بعض النصوص لا في جميعها؟

## وإن كانت تدل بظاهاها وحقيقتها اللغوية على صفات:

- فهل تثبتُ لوازمها في حقه تعالى، من التواجد في الأماكن والامتداد أو الانحصار في الجهات والتحيّز، والاتصاف ببعض صفات الأجسام من الحركة والصعود والنزول وحلول الحوادث في ذاته سبحانه؟

- أم أنها تدل على معانٍ أخرى يصح أن تكون صفات للباري، بعيدة عن التجسيم والتشبيه؟  
واختلفوا كذلك: على أيّ هذه الآراء كان السلف الصالحون، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، عليهم رضوان الله تعالى؟

هذا هو ما تنازع فيه الفريقان، وادعى كل منهما أنه على الحق، وقام بعزّو قوله إلى السلف الصالحين، وزعم أنه على مذهبهم فيه.

ولننظر في أقوال الفريقين ومواقفهما من هذه النصوص، ثم ننقل ما صح فيه عن السلف الصالحين، ثم نُلحِق بهم الفريق الأحق بالانتساب إليهم والسائر على منهجهم.

ولكن يحسُن بنا قبل ذلك أن نذكر فصلاً مهماً، في مدارك الإنسان وحدود تفكيره. عند التعامل مع ما يتعلق بالعالم المحيط به والعالم المغيّب عنه. ثم تتبعه بفصل آخر نقوم فيه بتعريف بعض المصطلحات الهامة التي يستخدمها الطرفان في التعبير عن عقيدتهما، حتى نفهم الدلالات المباشرة لتلك المصطلحات، وما تتضمنه، وما يلزم عنها من المعاني، وإلى أي مدى يمكن الاعتماد عليها والثوق بها.

ب الثالث: قول الفريقين في قضية الصفات الخبرية ﴿١٥٧﴾

مستعينين بالله سبحانه وتعالى، وسائلين أن يبصّرنا بالحق، وأن يجعلنا من أهله  
عازفين به، العاملين من أجل نصرته، المعرضين عن الحكم بالهوى والتعصب بالباطل.



## الفصل الأول

### العقل البشري أسير الحواس وعالم المشاهدة

#### الحواس وحدودها:

في داخل الإنسان قوة إدراكية كبيرة، ولكن مَدْرَكَاتِها لا تنبع من داخلها، وإنما تأتيها من العالم الخارجي عنها، عبر منافذ خاصة هي الحواس الخمس. فبمقدار ما تنقل هذه حواس من حقائق للقوة الإدراكية في الإنسان، تستطيع هذه القوة أن تتخيل وتدرک، وتحلل وترکّب، وتستنتج القواعد العامة، وتقيس الأشباه والنظائر على بعضها، ولا تستطيع شيئاً غير ذلك.

فالذين يولدون فاقدی الأبصار مثلاً، مهما أوتوا من الذكاء لا يستطيعون أن يتصوروا في مخيلتهم شيئاً عن الألوان مهما حاولنا أن نقرب لهم ذلك بالتشبيه والتمثيل، حيث لم يسبق ضم أن اتصلوا بإدراك حقيقة أي لون من الألوان عن طريق البصر. ولعلنا لو مُنَحنا بعض حواس أخرى لكننا اكتشفنا من حولنا أشياء كثيرة هي مغيبة الآن عنا، لأننا لا نحس بها ولا ندرکها رغم وجودها المؤكّد، حيث لا توجد لدينا الحاسة الخاصة التي نتمكن بواسطتها أن نكتشفها وندركها.

والدليل على هذا الكلام: تلك الأجهزة التي تقيس بدقة درجات الحرارة، ودرجات نضغوط الجوية، ومقادير الكثافة، إلى غير ذلك من أجهزة مختلفة، مما يشير إلى نقص كبير في حواسنا المرکّبة فينا. وقد كان من الممكن أن يزودنا الله تعالى بالحواس التي ندرک بها ما تحسسه هذه الأجهزة وتدل عليه. وحواسنا -التي هي منافذنا للعالم الخارجي- قصيرة مدی ومحدودة كما وكيفاً.

فالفضاء مملوء بالصور التي لا نستطيع أن نلتقطها بأبصارنا، في حين تلتقطها





الفصل الأول: العقل البشري أسير الحواس وعاء المشهدة ﴿١٦١﴾

صورة كائن غريب شاهدته في فلم سينمائي أو كارتوني، وامزج في خيالك بينه وبين أمور أخرى غير الشكل، ثم حاول تحليله مرة أخرى. ستجد أنك تعجز عن ضم شيء جديد لم تعرفه حواسك قبل ذلك. حتى أن الأمور الأخرى التي تضمها إلى الشكل من خيالك، ستجدها إما أصواتا أو رياحا أو خشونة أو ليونة في الملمس، أو غير ذلك من الأمور التي أدركتها واختزنتها ذاكرتك من خلال حواسك!

فالذين يتخيلون المخلوقات الفضائية برأس وعين واحدة وعدد كبير من الأطراف وقوى هائلة، لم يفعلوا أكثر من تركيب ما عرفوه بحواسهم من أجزاء في صورة كلية جديدة. فالعين معروفة، وكذلك الرأس، وقوة الرصاص وسرعة الريح أو البرق التي نتخيلهم عليها، كلها أمور عرفناها بحواسنا، ولكننا غيرنا بخيالنا الأوضاع والهيئات التي عرفناها عليها، فأضفنا هذا إلى ذلك وشكلنا الصورة الجديدة. لكن خيالنا لا يمكن له على الإطلاق أن يأتي بشيء لم يسبق له أن رأى أو أحس بمثل له في حياته من خلال حواسه.

## العقل وحدوده:

من خلال ما سبق يتضح أن العقل البشري مقيد بعالم الحس، ولا عمل له في الحكم على طبيعة عالم الغيب الذي لم تبلغ حواسه إدراكه، ويسميه البعض (المتافيزيك).

ذلك لأن القوة العاقلة فينا التي تجمع بين المصورة والذاكرة والمخيلة والذكاء، تقوم بعملها في التحليل والتركيب، والجمع والتفريق، واستنتاج القواعد العامة والكليات، وقياس الأشباه والنظائر على بعضها، بعد أن تنقل الحواس المختلفة إلى القوة المصورة أشرطة مشاهداتها في الكون. (شريط المرئيات، وشريط المسموعات، وشريط المدوقات، وشريط الوجدانيات الداخلة في الإنسان،.. إلخ)، ثم تكون أحكامها مقيدة بحدود هذه الأشياء التي جاءت عن طريق الحس. وهذه القوة العاقلة فينا لا تستطيع أبداً أن تصدر أحكامها على مغيبات لم يُعرض أمامها شريط مسجل عنها.

وقد يختلف عالم الغيب عن عالم الحس كل الاختلاف، فلا يمكن الحكم عليها بالتشابه، وبالتالي فهما لا يخضعان لنفس القوانين التي تساعد في الحكم على ما تلتقطه

١٦٢ ﴿١٦٢﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿١٥٨﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿١٥٦﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿١٥٤﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿١٥٢﴾ ﴿١٥١﴾ ﴿١٥٠﴾ ﴿١٤٩﴾ ﴿١٤٨﴾ ﴿١٤٧﴾ ﴿١٤٦﴾ ﴿١٤٥﴾ ﴿١٤٤﴾ ﴿١٤٣﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿١٣٨﴾ ﴿١٣٧﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿١٣٥﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿١٣١﴾ ﴿١٣٠﴾ ﴿١٢٩﴾ ﴿١٢٨﴾ ﴿١٢٧﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿١٢٤﴾ ﴿١٢٣﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿١١٩﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿١١١﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿١٩﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾

الحواس . والقاعدة الثابتة عند العلماء: أن الحكم على الشيء قرع عن تصوّره. فعالم الغيب لا تستطيع عقولنا أن تحكم على شيء فيه بإثبات أو نفي استقلالاً ذاتياً، إلا أن يأتيها خبر يشهد العقل بإمكان وجوده وبصدق ناقله، عند ذلك يُسَلَّمُ بمضمونه تسليماً تاماً دون مناقشة أو اعتراض.

وحيث إن عالم الحس فينا محدود، فالعقل فينا أيضاً محدود من وجهين:

الوجه الأول: محدود بين شيئين هما الزمان والمكان، لذلك يسأل العقل دائماً: متى؟ وأين؟

ذلك أن جميع الأشياء التي اتصل بها الحس البشري لا بد أن توجد في مكان وأن يجري عليها زمان، ولا يستطيع العقل أن يتصور أو يتخيل موجودات لا أمكنة لها، أو أشياء لا يجري عليها زمان يجعل لها بداية ونهاية.

علماً بأن من الأصول المقررة عند جميع العقلاء الواعين المنصفين: أن ذات الله تعالى لا تجري عليها زمان، وليست بحاجة إلى مكان، لأن الله هو خالق الزمان والمكان.

الوجه الثاني: محدود حينما يعلن عن عجزه عن التسليم بواحد من احتمالين في الكون لا ثالث لهما.

فمثلاً، يتساءل كل إنسان عاقل بينه وبين نفسه: هل هذا الكون مُتَنَاهٍ أو غير متناهٍ؟ فإذا قال لنفسه الكون متناهٍ، قال له وَهْمُهُ: وماذا بعد النهاية؟ وإذا قال لنفسه الكون لا نهاية له، قال في نفسه: كيف يكون شيء لا نهاية له؟ ثم هو مضطر أن يتردد بين هذين الاحتمالين. ولا ثالث لهما، وهو لا يسلم بواحد منهما. وما ذلك إلا لأن العقل محدود بما أدركه من عايشة المشاهدة.

فإذا كان العقل عاجزاً عن فهم أشياء في الكون من حوله، وعن الإحاطة بصورتها الحقيقية، فكيف يستطيع أن يحكم على صفات الله عز وجل أو غيرها من أمور الغيب؟ إذ لا بد أن تختلف القوانين لا اختلاف المجال.

يقول الإمام فخر الدين الرازي: «من أراد أن يشرع في الإلهيات فليستحدث لنفسه فطرة أخرى. فالإنسان إذا تأمل في أحوال الأجرام السفلية والعلوية، وتأمل في صفاتها، فذلك له قانون. وإذا أراد أن ينتقل منها إلى معرفة الربوبية؛ وجب أن يستحدث له فطرة أخرى وعقلاً آخر بخلاف العقل الذي اهتدى به إلى معرفة الجسمانيات»<sup>(١)</sup> اهـ.

يشير بذلك رحمه الله تعالى إلى أن قياس الخالق على المخلوق خطأ فادح يقع فيه من حاول ذلك، لأن الحكم على العالم من حولنا له قانون، والحكم على ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته يخضع لقانون آخر، وذلك لأن ما يتعلق بالله تعالى وصفاته لا يخضع لإدراكنا لمحدود. بل غاية ما نستطيع التفكير فيه: هو ملاحظة العلامات والأمارات الدالة على وجوده سبحانه، واتصافه بصفات الكمال، وتزويجه عن صفات النقص، ومشابهة المخلوقين.

يقول إمام الحرمين في الكلام عمّن يشبهون الله تعالى بخلقه: «إنهم يطلبون ربهم في لمحسوسات، وما يتشكل في الأوهام، ويتقدّر في مجاري الوسوس وخواطر الهواجس، وهذا حيدٌ بالكلية عن صفاته الإلهية. فأى فرق بين هؤلاء وبين من يعبد بعض الأجرام العلوية؟!»<sup>(٢)</sup> اهـ.

فهم لم يستطيعوا أن يتخيلوا ربا يتصف بصفاتٍ تختلف عن صفات المخلوقين التي أدركوها بحواسهم، فصورت لهم عقولهم أن ربهم لا بد أن يكون متصفاً بأعظم ما شاهدوه من الصفات، فاتجهوا بالعبادة إلى الأجرام العلوية - من شمس وقمر وكواكب -، لعظمة عتديدها وأحجامها.

ثم يقول رحمه الله تعالى: «إنه لو اجتمع الأولون والآخرون على أن يدركوا الروح - وهي خلق الله تعالى - بهذا المسلك لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، فإنه معقول غير محسوس، وقد قال تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [نساء: ٨٥]»<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) أساس التقديس للفخر الرازي: (١٣-١٤) وما بعدهما.

(٢) النظامية لإمام الحرمين، بتحقيق الكوثري: (١٥).

(٣) النظامية لإمام الحرمين، بتحقيق زاهد الكوثري: (١٥).

ومع كون الروح معقولة غير محسوسة، فإن بعض من أرادوا التفكير فيها والوقوف على ماهيتها عجزوا عن ذلك تماماً، وغاية ما تصوروه عنها أنها شيء يشبه الريح أو الوجود الهلامي، وكلاهما محسوس في عالم المشاهدة.

ويقول إمام الحرمين في موضع آخر: «إنّ أحداً - من البشر - لو أراد أن يتصور الأرض بِرَحَبِهَا برأً وبحراً، لما تَمَثَّلَ منها إلا قدرًا صغيراً ومبلغاً يسيراً. وإنّ أحداً من الأحياء لو فكر في حياته وأراد أن يمثلها في فكره، لتمثلت له الحياة شكلاً متشكلاً. وهكذا تَرَلُّ الأوهام عن كثير من المخلوقات، فكيف السبيل إلى أن ندرك بها الرب تعالى، الذي لا يشبهه شيء وذا يشبه شيئاً؟! فَمِنْ صفة الإله تَقَدُّسه عن التصور، فكيف يستقيم على منهاج الحق من يطلب معرفة مَنْ لا يُتصور بالتصور؟!»<sup>(١)</sup> اهـ.

ويقول الآمدي متابعاً نفس المعنى: «إنه جل وتعالى لا ينبغي أن يكون مقيساً بالأشياء والنظائر. وما جاء التشبيه إلا من جهة الوهم بإعطاء الغائب حكم الشاهد، والحكم على غير المحسوس بما حكم به على المحسوس. فالليب إذن من ترك الوهم والخيال جانباً، ولم يتخذ غير البرهان والدليل صاحباً»<sup>(٢)</sup> اهـ.

والذي لا تخطئه العين في هذه النصوص وكثير غيرها: أن النفس البشرية قد اعتادت أن تبسط على معارفها حكم الحس والخيال، وكلاهما وليد المشاهدة وربيبها، ومن ثم تصبح الموجودات بأسرها - ما شوهد نظيره وما لم يشاهد نظيره -، منظوية تحت أحكام الحس والخيال<sup>(٣)</sup>.

وقرر الفخر الرازي نفس هذه الوجهة من النظر قائلاً: «إن الحكم بانحصار الموجودات كلها إما في الحلول أو في المباينة بالجهة، إنما جاء بسبب الوهم والخيال، لا بسبب العقل البتة»<sup>(٤)</sup> اهـ.

(١) الشامل لإمام الحرمين، ص: (٥٢٧-٥٢٨).

(٢) غاية المرام للآمدي، ص: (١٨٥-١٨٦).

(٣) موقف السلف من التشابهات، د. محمد عبد الفضيل القوصي: (١١).

(٤) أساس التقديس للرازي: (٦).

الفصل الأول: العقل البشري أسير الحواس وعالم المشاهدة  
 فيصبح لزاماً على العقل حينئذ أن يقاوم تلك العادة الباطنة في أعماق الذات، وأن  
 يحاول الاعتلاء عليها، والارتقاء فوقها، إذا ابتغى معرفة الإلهيات<sup>(١)</sup>.

(١) موقف السلف من التشابهات، د. محمد عبد الفضيل القوصي: (١١).



## الفصل الثاني

### تعريف بعض المصطلحات وما يستلزمه معنى كل منها

المعنى في اللغة: هو المقصود من اللفظ، أي ما يدل عليه.

قال الجوهري: «عَنِيْتُ بالقول كذا، أي أردت وقصدت. ومعنى الكلام ومَعْنَاهُ واحد، تقول: عرفتُ ذلك في مَعْنَى كلامه وفي مَعْنَاةِ كلامه، وفي مَعْنَى كلامه، أي فحواه»<sup>(١)</sup> اهـ.

والحقيقة: هي استعمال اللفظ فيما وضع له، وهو خاص بالحقيقة اللغوية.

وأما حد الحقيقة نفسها. فقد قال ابن منظور في اللسان: «الحقيقة: ما يصير حق الأمر ووجوبه، ويبلغ حقيقة الأمر أي يقين شأنه،...، والحقيقة في اللغة: ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وَضْعِهِ»<sup>(٢)</sup> اهـ.

هذا تعريف أحد أئمة اللغويين، وأما أئمة أصول الفقه.

فقال الإمام الحطّاب في شرحه على الورقات: «يُنْقَسَمُ الكلام أيضاً إلى حقيقة ومجاز، فالحقيقة في اللغة: ما يجب حفظه وحمايته، وفي الاصطلاح: ما بقي في الاستعمال على موضوعه، أي على معناه الذي وُضِعَ له في اللغة. وقيل: ما اسْتُعْمِلَ فيما اصْطُلِحَ عليه من المُخَاطَبَةِ التي وقع التخاطب بها، وإن لم يبق على موضوعه الذي وضع له في اللغة، كالصلاة المستعملة في لسان أهل الشرع للهيئة المخصوصة، فإنه لم يبق على موضوعه اللغوي وهو الدعاء بخير، وكذلك الموضوعة في العرف لذوات الأربع كالحمار، فإنه لم يبق على موضوعه اللغوي وهو كل ما يدب على الأرض»<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) الصحاح في اللغة للجوهري (٢/٢).

(٢) لسان العرب لابن منظور: (٩٢٤).

(٣) قرّة العين بشرح ورقات إمام الحرمين للحطّاب: (١٩).

أي أن الحقيقة هي استعمال اللفظ لمعنى واحد، سواء كان موضوعاً له في الأصل. نُقل إلى غيره لكنه ثبت في ذلك الغير فأصبح حقيقة فيه، بحيث لا يفهم السامع إلا أحد المعنى منه عند إطلاقه.

## وفي تعريف المجاز:

يقول إمام اللغويين عبد القاهر الجرجاني: «وأما المجاز: فكل كلمة أُريدَ بها غيرُ ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول»<sup>(١)</sup> اهـ.

ويضرب الشريف الجرجاني مثالا للمجاز بقوله: «المجاز اسم لما أُريدَ به غيرُ ما وُضع له، لمناسبة بينها، كتسمية الشجاع أسداً»<sup>(٢)</sup> اهـ.

لفظ الأسد إذا قصد به المتكلم ذلك الحيوان المفترس المعروف فهو على حقيقته، لأن اللفظ هنا مستعمل فيما وُضع له، وإذا قصد به المتكلم ذلك الإنسان الشجاع، فهو في تلك الحالة مجاز، لأن اللفظ هنا مستعمل في غير ما وُضع له، لوجود علاقة أو قرينة هي مشابة الرجل للأسد في شجاعته أو قوة بأسه وانقضاضه.

ولا بد أيضاً من إلقاء نظرة على تعريف المجاز عند علماء أصول الفقه. وتكمن أهمية رأيهم في أن قواعد الأصول هي القواعد التي يتعامل بها المجتهد مع النصوص في التفسير والسنة وغيرهما من الأدلة الشرعية، وهم أدركوا الناس بها، وقد سلمت لهم جماهير علماء الأمة قاطبة واعترفت بتقديم رأيهم وفهمهم للنصوص على رأي غيرهم في هذا المجال. ومحلُّ النزاع الذي ناقشه في هذا الكتاب هو دلالات ألفاظٍ وردت في الكتاب والسنة يدعي كل فريق من المختلفين أنه صاحب الرأي الحق والمنهج الصائب في فهمها وتفسيرها.

قال الإمام القرافي: «المجاز: استعمال اللفظ في غير ما وُضع له في العرف الذي وقع - التخاطب، لعلاقة بينهما»<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) أسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني: (٣٠٤).

(٢) التعريفات للشريف أبي الحسن علي الجرجاني: (٢٥٧).

(٣) شرح تنقيح الفصول للقرافي: (٤٢).





فقوله: « في غير ما وُضع له في العرف الذي وقع به التخاطب»، هو نفسه المراد بقول عبد القاهر الجرجاني: «غير ما وقعت له في وضع واضعها»، وقوله: «لعلاقة» أو «لقريئة» هو المراد بقول الجرجاني: «لملاحظة بين الأول والثاني».

وقال الإمام المحلّي في شرحه على الورقات: «والمجاز ما تُجوز أي تُعدّي به عن موضوعه، وهو ما استعمل في غير ما اصطُح عليه من المخاطبة»<sup>(١)</sup> اهـ. فهو بذلك عكس الحقيقة في الاستعمال.

## وأما الكيفية:

فقال أبو البقاء: «الكيفية منسوبة إلى كيف، وهي معرفة الحال، لأن كيف سؤال عن حال. وكيف: كلمة مدلولها استفهام عن عموم الأحوال التي شأنها أن تُدرك بالحواس»<sup>(٢)</sup> اهـ.

فالكيف: هيئة تعرض وتزول، وهي مُدركة بالحواس. ولا شك أن ما يعرض ويزول لا يتصف به المولى جل وعلا، وكذا ما يُدرك بالحواس، فهو سبحانه وتعالى أجّل من أن تدركه حواسنا.

## لأن الذي ندركه بحواسنا:

- هو ما يُشَمُّ، لأن له ريحا نابعا من جسمه، يوصف بأنه طيب أو خبيث أو عفونة أو نؤونة أو عبير أو نسيم، سواء كان الجسم حيا أو جمادا.
- أو يُسَمَع، لأنه صوت يوصف بكونه عاليا أو منخفضا أو حادا أو رخيبا.
- أو يلمَس، ويتصف بالنعومة أو الخشونة أو اليبس أو الرطوبة أو السخونة أو البرودة أو الصلابة أو الميوعة أو غيرها مما يدرك باللمس.

(١) شرح الورقات لجلال الدين المحلي: (٤١-٤٢).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: (٦١٤).

- أو يُرى بالعين، فيُقَدَّر ويوصف بحجم كبير أو صغير أو طويل أو قصير أو دائري أو مربع أو متوازٍ أو مفرَّغ أو مُصَمِّتٍ أو واسع أو ضيق أو مفلطح أو مكتنز.  
 - أو يذاق، وله طَعْمٌ يوصف بأنه حلو أو مُر أو عذب أو ملح.  
 ولا شك أن المولى تبارك وتعالى ليس شيئاً من ذلك.

ويتضح من ذلك: أن الكيفية من لوازم الحقيقة اللغوية ومعناها الحسي، وهي عبارة عن الحال والوصف المحسوس لصورة الموصوف.

## وعلى ذلك:

فمعنى لفظ اليد على الحقيقة: هو الجارحة المُركَّبة من كف وأصابع ولحم ودم وعض وأعصاب وعروق ومفاصل إذا أضيفت إلى الإنسان، أو الآلة التي يتمكن الإنسان بواسطتها من القيام بفعل ما إذا أضيفت إلى جماد كالباب مثلاً. فهي على كل الأحوال جزءٌ من المركب الذي تضاف إليه، هذه هي الحقيقة اللغوية للفظ اليد ولا حقيقة غيرها عند العرب.  
 وحقيقة لفظ الفوقية: هي الجهة المقابلة للتحية، لا تعرف العرب حقيقة للفظ الفرق إلا هذا.

وحقيقة النزول: هي الانتقال والحركة والهبوط من أعلى إلى أسفل. فإثبات النزول على الحقيقة يعني أن الله تعالى يتحرك هابطاً من فوق العرش، مخترقاً السماوات الست ليستقر في السماء الدنيا، مما يستلزم أن الله ذو حجم وله طول وعرض وسمك كخلقه وتحويه السماء. وقس على ذلك بقية النصوص. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

## وأما التفويض:

قال ابن منظور: «فوض إليه الأمر: صَيَّرَهُ إِلَيْهِ وجعله الحاكم فيه، وفي حديث الدعاء: «فوضت أمري إليك» أي رددته إليك»<sup>(١)</sup> اهـ.

(١) لسان العرب لابن منظور: (٣٤٨٥).

فالتفويض ليس نفيًا ولا تعطيلًا، بل هو تصيير الأمر إلى من يعلمه، فنحن نفوض أمر ديننا الاجتهادية إلى العلماء: بمعنى أننا نجعلهم المرجع في بيان أحكام هذه الأمور. وكذلك تفويض معاني الصفات: هو إثبات معنى الصفة على مراد الله، فليس نفيًا للصفة ولا تعطيلًا لها عن المعنى الذي أراده الله.

### مشكلة المجسمة مع هذه المصطلحات:

ومشكلة المجسمة: أنهم قالوا ثبتت معاني الألفاظ على حقيقتها، ونسبها الله سبحانه تعالى. فزادوا على ما يقوله السلف ألفاظا كثيرة: منها (الحقيقة)، و(بذاته) و(بنفسه) كما قال بعضهم، مما يستلزم الجسمية في حقه تعالى، وهو سبحانه مُتَزَّةٌ عن ذلك كله من سمات مُحَدَّثَاتٍ.

وهذه الزيادة تنقض دعواهم أتباع السلف واقتصارهم على ما ورد عنهم في الكلام عن النصوص المشابهة.

ثم يتناقضون مع أنفسهم ويقولون: لكننا نفوض الكيفية إلى الله تعالى! فَيَكْفُهُ لَيْسَتْ كَأَيْدِينَا وَوَجْهَهُ لَيْسَ كَوَجْهِنَا وَقَدَمَاهُ لَيْسَتَا كَأَقْدَامِنَا، إلى آخر هذا الكلام المتناقض. فهم ينفون التمثيل -أي التماثل التام-، لا التشبيه. علما بأن أي مخلوقين لا يتماثلان تمامًا، بل يتشابهان في بعض الصفات، فأَيُّ تَنْزِيهٍِ لِلْمَوْلَى حِينَئِذٍ بِنَفْيِ التَّمثِيلِ دُونَ التَّشْبِيهِ؟ وقس على ذلك كل النصوص الواردة في هذا الباب.

ثم زعموا أن مذهبهم هو مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم والإمام أحمد على الأخص، وسنكشف زيف ذلك إن شاء الله تعالى، وسوف نوضح أن التفويض والتأويل مذهبان مقبولان مَرَضِيَّانِ منقولان عن أكابر السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أكابر علماء أهل السنة.

وها هو النص الكامل لكلام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في نقض كلامهم وطريقتهم وتكذيب ادعائهم على مذهب السلف والإمام أحمد بن حنبل، وقد نقلنا أجزاء منه قبل ذلك بحسب المقام.

يقول الإمام ابن الجوزي، وهو الحافظ الضليع العارف بمذهب الإمام أحمد: «ورأيت من أصحابنا<sup>(١)</sup> من تكلم في الأصول بما لا يصلح. وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد، وصاحبه القاضي أبو يعلى، وابن الزاغوني. فصنفوا كتباً شأنوا بها المذهب. ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحس. فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات، وعينين وفماً ولهوات، وأضراساً وأضواءً لوجهه هي السبحات، ويدين وأصابع وكفاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفخاً وساقين ورجلين. وقالوا: يجوز أن يمسّ ويُمسّ، ويدي العبد من ذاته. وقال بعضهم ويتنفس!!

ثم إنهم يُرضون العوام بقولهم: لا كما يُعقل!!<sup>٢</sup>

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات، فسموها بالصفات تسميةً مبتدعةً لا ذرية لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر والمعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجب الظاهر من سمات الحدوث، ولم يفتنوا يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة ذات.

ثم لما أثبتوا أنها صفات ذات قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة مثل: «يد» على نعمة وقدرة و«مجيء» و«إتيان» على معنى بر ولطف و«ساق» على شدة. بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نُعوتِ الآدميين، والشئ إنما يُجعل على حقيقته إذا أمكن، فإن صرفاً صارفٌ حُمِلَ على المجاز.

ثم يتخرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون: نحن أهل السنة وكلامهم صريح في التشبيه! وقد تبعهم خلق من العوام.

وقد نصحت التابع والمتبوع، فقلت لهم: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وتبني-

(١) يعني الحنابلة.

نُصَلِّ الثَّانِي: تَعْرِيفُ بَعْضِ الْمِصْطَلِحَاتِ وَمِمَّا يَسْتَلْزِمُهُ مَعْنَى كَرِّ مَعْنَاهَا  
بِمَعْنَى الْأَكْبَرِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَقُولُ وَهُوَ تَحْتَ السِّيَاطِ: «كَيْفَ أَقُولُ مَا لَمْ يُقَلِّ»<sup>(١)</sup>. فَيَاكُمْ أَنْ  
تَسْتَعُوا فِي مَذْهَبِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ.

ثُمَّ قَلْتُمْ فِي الْأَحَادِيثِ: تُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهَا. وَظَاهِرُ الْقَدَمِ الْجَارِحَةُ، فَإِنَّهُ لَمَّا قِيلَ فِي  
عَيْسَى رُوحَ اللَّهِ، اعْتَقَدْتَ النَّصَارَى أَنَّ اللَّهَ صِفَةٌ هِيَ رُوحٌ وَجَلَّتْ فِي مَرْيَمَ. وَمَنْ قَالَ اسْتَوَى  
تَهُ الْمَقْدَسَةَ فَقَدْ أَجْرَاهُ مَجْرَى الْحَسِّيَّاتِ.

وَيَنْبَغِي أَلَّا يُهْمَلَ مَا يُثَبِّتُ بِهِ الْأَصْلَ وَهُوَ الْعَقْلُ. فَإِنَّهُ بِهِ عَرَفْنَا اللَّهَ تَعَالَى وَحَكَمْنَا لَهُ  
تَقْدِمًا.

فَلَوْ أَنْكُمْ قَلْتُمْ: «نَقَرْنَا الْأَحَادِيثَ وَنَسَكْتُمْ»، مَا أَنْكَرَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ. إِنَّمَا حَكَمَكُمْ إِيَّاهَا عَلَى  
ضَاهِرِ قَبِيحٍ، فَلَا تُدْخِلُوا فِي مَذْهَبِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ السَّلْفِيِّ مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَلَقَدْ كَسَيْتُمْ هَذَا  
مَذْهَبَ شَيْئًا قَبِيحًا، حَتَّى لَا يُقَالَ حَنْبَلِيًّا إِلَّا مُجَسِّمًا. وَقَدْ كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ يَقُولُ فِي بَعْضِ  
تَحْتِكُمْ: لَقَدْ شَانَ الْمَذْهَبَ شَيْئًا قَبِيحًا لَا يُغَسَّلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ!»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وَكَلَامُ الْإِمَامِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَعْلِيْقٍ، فَهُوَ يُؤَكِّدُ مَا قَلْنَا مِنْ أَنَّ  
تَرْتُمُ مَجْسَمَةً مُتَنَاقِضُونَ، وَأَنْهُمْ رَغِمَ ادْعَاؤُهُمْ بِاتِّبَاعِ السَّنَةِ وَالسَّلْفِ الصَّالِحِ وَمَذْهَبِ الْإِمَامِ  
حَمْدٍ، فَهَمْ بَعِيدُونَ كُلُّ الْبَعْدِ عَنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَعَنْ مَنَهْجِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ يَعْدُدُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ مِزَالَقَهُمُ الَّتِي تَسَبَّبَتْ فِي اتِّخَاذِهِمْ ذَلِكَ الْمُنْحَى الْمَخَالِفَ لِمَا عَلَيْهِ

(١) قَالَ الْكُوْثَرِيُّ مَعْلَقًا: وَلَمَّا سَأَلَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ عَنْ أَحَادِيثِ النَّزُولِ وَالرُّؤْيَا وَوَضْعِ الْقَدَمِ وَنَحْوِهَا، قَالَ: «نُؤْمِنُ  
بِهَا وَنُصَدِّقُ بِهَا، وَلَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى»، وَقَالَ أَيْضًا يَوْمَ سَأَلُوهُ عَنِ الْاسْتَوَاءِ: «اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ كَيْفَ شَاءَ  
وَكَمَا شَاءَ، بِلَا حُدٍّ وَلَا صِفَةٍ يَبْلُغُهَا وَاصِفٌ» عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْخَلَّالُ فِي السَّنَةِ بِسَنَدِهِ إِلَى حَنْبَلٍ فِي مَسَائِلِهِ عَنْ  
عَمِّهِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَهَذَا تَفْوِيضٌ وَتَنْزِيهِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلْفِ، وَرَبِّهَا أَوَّلٌ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، كَمَا حَكَى  
حَنْبَلٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: «اِحْتَجُّوا عَلَيَّ يَوْمَ الْمُنَازَعَةِ، فَقَالُوا: تَحْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ  
وَتَحْيَى سُورَةُ تَبَارَكَ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّمَا هُوَ الثَّوَابُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَجَاءَ رِبِكُ وَالْمَلِكُ صِفَا صَفَا﴾  
وَإِنَّمَا تَأْتِي قَدْرَتُهُ»، وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ الظَّاهِرِيُّ فِي فَصْلِهِ: وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: «  
«وَجَاءَ رِبِكُ» إِنَّمَا مَعْنَاهُ وَجَاءَ أَمْرُ رِبِكِ» اهـ وَهَذَا تَأْوِيلٌ وَتَنْزِيهِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْخَلْفِ، وَأَمَّا مَا يَنْقَلُ عَنْ  
الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِمَّا يَخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ فَهُوَ تَخَرُّصُ صَدِيقٍ جَاهِلٍ وَسُوءُ فَهْمٍ لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ.

(٢) دَفَعُ شَبْهَ التَّشْبِيهِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ بِتَحْقِيقِ الْكُوْثَرِيِّ: (٦-٩).

١٧٤ الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السنن.

جمهور علماء الأمة وسلفها الصالح. قال: «وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه:

- أولها: أنهم سمو الأخبار أخبار صفات، وإنما هي إضافات، وليس كل مضاف صفة، فإذ قال سبحانه وتعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وليس لله صفة تسمى روح. فقد ابتدع من سمي المضاف صفة<sup>(١)</sup>.

- والثاني: أنهم قالوا: إن هذه الأحاديث من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم قالوا نحملها على ظواهرها! فوا عجبا، ما لا يعلمه إلا الله تعالى، أي ظاهر له؟! وهل ظهر الاستواء إلا القعود؟ وظاهر النزول إلا الانتقال؟!!

- والثالث: أنهم أثبتوا لله تعالى صفات، وصفات الحق لا تثبت إلا بما يثبت به الذات من الأدلة القطعية<sup>(٢)</sup>.

- والرابع: أنهم لم يفرقوا في الإثبات بين خبر مشهور كقوله ﷺ: «يَنْزِلُ تَعَالَى إِلَى سَاءِ الدُّنْيَا»<sup>(٣)</sup>، وبين حديث لا يصح، كقوله: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»<sup>(٤)</sup>، بل أثبتوا بهذا صفة وبهذا صفة<sup>(٥)</sup>.

(١) وسيأتي في استعراض كلام المجسمة المعاصرين اعتمادهم على كون المضاف صفة واعتبارها قاعدة أصلية في العقيدة!.

(٢) يقصد أنهم لا يهتمون إن كان النص الذي اعتمدوا عليه في إثبات صفة لله تعالى قطعياً أو ظنياً من حيث الثبوت والدلالة، بل قد يشتونها بالآثار الضعيفة والموضوعة، سواء كانت مرفوعة إلى النبي ﷺ أو موقوفة على صحابي أو تابعي كما سيذكره بعد ذلك.

(٣) صحيح البخاري: (١١٥٤).

(٤) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٦/١٨٥): فيه عبد الرحمن بن عائش الحضرمي، ويقال السكسكي يختلف في صحبته وفي إسناده حديثه. قال البخاري له حديث واحد إلا أنهم يضطربون فيه، اهـ. قلت: هذا الحديث. ثم قال ابن حجر: قال ابن عدي الحديث له طرق، وقد صحح أحمد طريق يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده. قلت [ابن حجر]: وكذا قواه ابن خزيمة من رواية يحيى عن زيد عن جده عنه عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل، وهي طريق ابن عباس، وصحح صحبته ابن حبان تبعاً للبخاري. ووقع عند أبي القاسم البغوي في إسناده حديثه التصريح بسأعه من النبي ﷺ والله أعلم، ولكن قال ابن خزيمة قول الوليد بن مسلم في هذا الإسناد عن عبد الرحمن بن عائش سمعت النبي ﷺ وهم؛ لأن عبد الرحمن لم يسمع من النبي ﷺ، اهـ.

(٥) أي أنهم أثبتوا النزول الحقيقي صفة، وأثبتوا أن لله صورة وجعلوا الصورة صفة له، تعالى الله عن ذلك عنز كبيراً.

- والخامس: أنهم لم يفرقوا بين حديث مرفوع إلى النبي ﷺ، وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي، فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا<sup>(١)</sup>.
- والسادس: أنهم تأولوا بعض الألفاظ في موضع ولم يتأولوها في آخر، كقوله: «وَمَنْ آتَانِي يَمْشِي آيَتَهُ هَرَوَلَةً»<sup>(٢)</sup>، قالوا: ضرب مثلاً للإنعام<sup>(٣)</sup>.
- والسابع: أنهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحس، فقالوا: ينزل بذاته فينتقل ويتحول، ثم قالوا: لا كما نَعْقِل. فغَالَطُوا من يسمع، وكأبروا الحس والعقل، فحملوا الأحاديث على الحِسِّيَّات.

فرأيت الرد عليهم لازماً، لئلا يُنسب الإمام أحمد رحمه الله إلى ذلك، وإذا سكَّتُ جَبَّتْ إلى اعتقادي ذلك.

ولا يهولني أمر يعظم في النفوس، لأن العمل على الدليل - وخصوصاً في معرفة الحق تعالى - لا يجوز فيه التقليد. وقد سئل الإمام أحمد عن مسألة فأفتى فيها، فقيل له: هذا لا يقول ابن المبارك، فقال: ابن المبارك لم ينزل من السماء، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: استخرتُ من تعالَى في الرد على الإمام مالك رحمه الله<sup>(٤)</sup> اهـ.

### قاعدة جليلة للإمام ابن الجوزي:

والإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كلامه هذا، فضلاً عن كونه ذكر أسباب نحرافهم في فهم النصوص، قرر قاعدة ينبغي أن تكون أمام عيني كل باحث وصاحب رأي يتحرى الحق ويطلب اليقين.

(١) كحديث: الكرسي موضع القدمين، فقد ورد موقوفاً على ابن عباس بأسانيد متكلم فيها. وأثبتوا أن الله تعالى يجلس محمداً ﷺ بجواره على العرش يوم القيامة، من أثر مطعون فيه منسوب لمجاهد، وسيأتي كلام شيخهم الألباني عليه إن شاء الله تعالى.

(٢) متفق عليه.

(٣) وبعض المعاصرين أثبت لله صفة هي الهرولة!! انظر: «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة»، لعلوي السقاف (١/٣٦٢). وعزاه إلى فتاوى اللجنة الدائمة، بتوقيع عبد العزيز بن باز وعبد الرزاق عفيفي وعبد الله بن غديان وعبد الله بن قاعد، وابن عثيمين في «الجواب المختار لهداية المختار».

(٤) دفع شبه التشبيه لابن الجوزي: (٩-١١).

وهي العمل على الدليل القطعي -خصوصا- في العقائد، وعدم الركون إلى قول فلا.

وفلان من الناس، مهما كان قدره وعلمه وموضعه عند الخلق.

فلمجسمة يهوشون كل من يناقشهم بأسماء لها موقع في القلوب، بعد أن يلبسوا عن الناس وينسبون هذه الشخصيات إليهم ليخوفوا بذلك من خالفهم. وحتى لو ثبت أنهم عن منهجهم فمن الذي لا يخطئ من الناس، صغيرا كان أو كبيرا، عالما أو أميا.

والحق أن من كانت عنده أهلية للنظر والاستدلال فلا يجوز له أن يقلد -فلان- علانا- في العقائد بغير معرفة دليله، لأن العقائد ترسخ وتثبت في القلوب عند وجود الاقتناع بها والتسليم بصحتها، عن دليل قوي ثابت لا يتطرق إليه شك ولا احتمال. ومن أخذ عقيدته عن الدليل لا يستطيع دجال أو مبتدع أن يزحزجه عنها قيد أنملة، مهما سلك من وسائل التلبيس والخداع.

بخلاف العوام الذين لا يستطيعون التعامل مع الأدلة بأنفسهم لعدم تأهلهم لذلك. فينبغي على أهل العلم تزويدهم بالأدلة الإجمالية على العقائد، حتى لا يتلاعب بهم مبتدع ملحد.

فلو قيل لنا: إن الأئمة مالكا وأبا حنيفة والشافعي وأحمد والثوري وابن عيينة والبخاري ومسلما، كلهم على أن الله تعالى جسم وله صورة ويتحرك ويجلس ويقوم ويقعد. ما قبلنا منهم حرفا واحدا من ذلك. لأن الله تعالى يقول عن نفسه في كتابه العزيز: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فلسنا نصدقهم ونكذب الله تعالى، ومن أصدق من قِيلَ.

فلا نترك الدليل القطعي القرآني الذي ذكره رب العزة، وتتبع أولئك العلماء، وإن كانوا أعظم علماء الأمة، ولو أصرّوا عليه وقالوا أن ذلك هو الحق. وحاشاهم عن ذنب رحمهم الله تعالى، بل سننقل عنهم ما يخالف عقائد المجسمة خلافا واضحا لا لبس فيه.





## الفصل الثالث

### قول أهل السنة الأشاعرة والماتريدية

بعد القطع بأن الله تعالى مُتَزَّهٌ عن مشابهة خلقه ومماثلتهم بأي وجه من الوجوه. عملاً بمقتضى النص القرآني المُحْكَم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وعملاً بمقتضى الدليل العقلي القطعي: أنه تعالى مخالف للحوادث<sup>(١)</sup> في ذاته وصفاته وأفعاله.

وكلاً الدليلين ينفي أن يكون الله تعالى مشابهاً لشيء من خلقه في ذاته أو صفاته أو أفعاله بأي وجه من وجوه الشبه أو المماثلة. وكذلك لا يشبه أو هام من يتوهم فيه شيئاً، فكل ذلك مخلوق له، لا يمكن أن يكون شبيهاً أو مثيلاً له، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

بعد القطع بما ذُكر، يلتزم أهل السنة الأشاعرة والماتريدية رضي الله عنهم موقفاً من اثنين، حسب ما يقتضي المقام، مع مراعاة إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، ونفي ما نفاه عن نفسه كذلك.

### الموقف الأول (التفويض):

وهو تفويض العلم بالمعنى المراد من اللفظ المُوهَم إلى الله تعالى، وعدم انتزاع هذا لفظ من سياقه، مع نفي الكيفية من الأصل<sup>(٢)</sup>. عملاً بمقتضى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ءَكُلُّ

(١) الحوادث: جمع حادث وحادث، والحوادث كل ما سوى الله تعالى من المخلوقات. وسميت حوادث لأنها كانت معدومة ثم أحدثها الله تعالى، أي: أوجدها من العدم.

(٢) ينبغي التنبيه على أن نفي الكيفية هنا غير تفويض الكيفية الذي يقول به أدعياء السلفية، وسيأتي تفصيل ذلك في محله.

مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ [آل عمران: ٧]، فيقفون على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، ثم يبتدئون القراءة من قوله تعالى: ﴿وَالرَّسُوحُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

ومقتضى هذا التفويض عند قراءة لفظ قرآنيٍّ مُوهِمٍ للتشبيه: أن يقول المسلم: آمنتُ به على الوجه الذي أراده الله تعالى. فلا يقف عنده ليتزعه من سياقه، ثم يخوض فيه بعد ذلك ويفسره -منزوعاً- بمعنى من المعاني.

ومقتضاه عند قراءة لفظٍ نبويٍّ مُوهِمٍ للتشبيه: أن يقول المسلم: آمنتُ به على الوجه الذي أراده رسول الله ﷺ. فلا يقف عنده ليتزعه من سياقه، ثم يخوض فيه بعد ذلك ويفسره -منزوعاً- بمعنى من المعاني.

كل ذلك بعد القطع أن الظاهر المُوهِمَ للتشبيه أو التجسيم ليس مراداً.

وهذا ما كان عليه أغلب السلف رضوان الله عليهم مع أي لفظ من هذه الألفاظ. يُفَوِّضُونَ المعنى ولا يخوضون فيه، ولا يفسرون الألفاظ منزوعة من سياقها، وهم بعد ذلك يَنْفُونَ الكيف عن ذاته تعالى وصفاته مطلقاً.

وليس معنى هذا أن السلف كانوا يجهلون دلالات الألفاظ ومعانيها، كيف وهم أكثر الناس توفراً على فهم الكتاب والسنة، وأكثر الناس قرباً إلى فصاحة العرب وبلاغتهم؟ قصارى الأمر أن السلف -بعد فهمهم لدلالات الألفاظ كما هي في لسان البشر- ينفون وصفه تعالى بهذه المعاني البشرية أصلاً وابتداءً.

وموقف كهذا، ليس جهلاً بما تنطوي عليه الألفاظ من معاني، بل وليس نفيًا لما وراء هذه الظواهر من صفات تليق به سبحانه. ولكن السلف كانوا أحرص الناس على التنزيه. فلم يفسروا هذه التشابهات بما تحتمله اللغة البشرية، ثم يَنْفُونَ التكيف بعدئذ. لكنهم يعتقدون أن وراءها معاني استأثر الله تعالى بعلمها، فآمنوا بها، لا على مقتضى أفهامهم اللغوية أو العقلية لها، بل على مقتضى مراد الله تعالى منها، وفي هذا تمام التسليم وكمال الانقياد<sup>(١)</sup>.

(١) موقف السلف من التشابهات بين المثبتين والمؤولين، د. محمد عبد الفضيل القوصي: (١٥).

فصل الثالث: قول أهل السنة الأشعرية والمتريدية  
أقول مرة أخرى: إن عدم إقدام السلف على التفسير ليس جهلاً بدلالات الألفاظ، ولا هو نفي لما يليق به سبحانه من معان وراء تلك الألفاظ، بل هو إجلال لقدر الله تعالى من تدخل التفسير اللغوي البشري بما هو عليه من نقص وقصور، حتى ولو قلنا بعد ذلك: «بلا كيف» ألف ألف مرة!<sup>(١)</sup>

- ومع ذلك لم يعطلوا النصوص عن معانيها كما يزعم أدعياء السلفية، بل قالوا: إننا نهم كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على هيئته التي ورد بها كاملاً، ولا نتزعج من سياقاته شيئاً يغير معناها ويبدلها، فإن هذا تحريف لكلام الله ورسوله.

وهذا السياق الكامل الذي وردت فيه هذه الألفاظ له معنى واضح مفهوم لا ننكره ولا نجعله، بل نؤمن به ونعتقه إن كان يشير إلى عقيدة، ونعمل بما فيه إن كان يشير إلى عمل.

- غاية الأمر أننا لما كثرت كلام أهل البدعة في هذه النصوص، ونزعوا تلك الألفاظ من سياقاتها، ثم أعادوا جمعها بطريقة أخرى وترتيب آخر غير الذي نزلت به من عند الله سبحانه وتوردت به على لسانه رسوله ﷺ، قلنا لهم اسكتوا كما سكت من كانوا قبلكم من الصحابة والتابعين، وأرجعوا علم ما لا تعلموه إلى الله تعالى، وقولوا كما قالوا: آمنا بما قال الله على مراد منه وما قال رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ.

## لموقف الثاني (التأويل):

هو تأويل اللفظ الموهوم على وجه تحتمله اللغة، ويشير إليه سياق الكلام، ويقبله شرع، ولا يحيله البرهان العقلي القطعي. ولكن لا يُلجأ إليه إلا عند الضرورة، كإفحام معند، أو إفهام ضعيف في الفهم، مخافة أن يقع في مخالفة للاعتقاد الصحيح.

وهم عند تلاوة الآية السابقة في سورة آل عمران يقفون عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]، ثم يتدئون القراءة من قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ

(١) المرجع السابق.

١٨٠ الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية  
 THE PRINCE GHAZI TRUST  
 FOR QURANIC THOUGHT  
 ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ [آل عمران: ٧]، وهي قراءة مشهورة كالأولى.  
 وهذا الموقف محكي عن بعض الصحابة والتابعين من السلف أيضا، وعليه كذلك أكثر  
 الخلف (١).

## مثال تطبيقي:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعَانُوا مِمَّا قَالُوا لَئِن لَّا يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال أيضا: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» (٢).  
 وقال أيضا: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصْرَفُ حَيْثُ يَشَاءُ» (٣).

## فعلي الموقف الأول:

يقولون: نؤمن بما قال الله تعالى وبما قاله رسوله ﷺ، على الوجه الذي أراده سبحانه وأراده رسوله ﷺ، فنقوض العلم بمعاني هذه الألفاظ إليه، ولا نخوض في تفسيرها منتزعة من سياقها، ولا نحدد لها معنى بعينه وهي منتزعة كذلك، ولا نتوهم فيها شيئا. كما نترد: مولانا سبحانه وتعالى عن أن يكون لما وصف به نفسه أو أضافه إليه كَيْفِيَّةً من الكيفيات. مع القطع بأنه سبحانه لا يشبه أحدا من خلقه في ذات أو صفة أو فعل.

## وعلى الموقف الثاني:

يقولون: نقطع بأن الظواهر الموهمة للتشبيه غير مرادة من كلام الله تعالى، بمقتضى قونه سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، وبمقتضى الدليل العقلي القطعي الذي مشابته تعالى لخلقه أو مماثلته لهم في ذاته أو صفاته أو أفعاله.

(١) انظر تفسير القرطبي: (١٧/١-١٨).

(٢) صحيح البخاري: (١١٥٤).

(٣) صحيح مسلم: (٢٦٥٤).

- فنقول: لفظ «اليد» في الآية الأولى كناية عن الجود وسعة الإنفاق، لأن المقام وسياق نص يقتضيان نفي البخل عن الله تعالى، والرد على اليهود عليهم لعنات رب العالمين.

- ولأن المفسرين أجمعوا على أن قول اليهود «يد الله مغلولة» قصدوا به أنه بخيل - عنى الله عن ذلك علوا كبيرا-، ولم يقصدوا أنها مربوطة أو مغلقة مقبوضة الهيئة، فهذا لا عنى له إذا وضعناه أمام رد الله تعالى عليهم. فكان الرد عليهم من جنس قصدهم. فإن كانوا غبروا عن البخل بغلّ اليد وقبضها، فالله تعالى عبر عن الجود وسعة الإنفاق ببسط اليد<sup>(١)</sup>.

- وأما لفظ «الفوق» في الآية الثانية فليس المقصود به المكان والجهة، لأن المكان جهة مخلوقان من بعد العدم، والله تعالى لا تحويه الجهات، ولا يحيط به مكان كبقية مخلوقات، لأن الجهات والأماكن لا تحيط إلا بالأجسام التي لها أحجام صغرت أو كبرت. - نفوقية المقصودة هي فوقية القدرة التي لا تدانيها قدرة والقهر الذي لا مهرب منه وكمال تصرف فيما تحت يده سبحانه، لا الفوقية الحسية التي تستلزم أن يكون الله متحيزا في مكان، - حد ونهاية جسمانية، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا<sup>(٢)</sup>.

- والنزول أو التنزل الوارد في الحديث كناية عن إقباله سبحانه على عباده القائمين له في هذا الليل يذكرونه ويسبحونه ويعبدونه والناس نيام بالرحمة والمغفرة والاستجابة. أو عن سيرة ملائكته بتنزل رحمته تعالى ومغفرته لهم<sup>(٣)</sup>. فمن معاني النزول عند العرب قضاء الحوائج - تلبية الرغبات، كما تقول العرب نزل على رغبته وحاجته وطلبه وشرطه.

- والأصابع والتقليب في الحديث كناية عن الإرادة الربانية والقدرة الإلهية<sup>(٤)</sup>، فهو سبحانه يقلب القلوب كلها كيف يشاء ويصرفها إلى حيث يشاء. والمعنى حيث: أن الله تعالى تصرف قلوب عباده بقدرته على وفق مشيئته وإرادته، من غير أن يخرج عن هذه القدرة - شيئة قلب واحد.

نظر مثلا تفاسير: الطبري (٤٥١/١٠)، القرطبي (٢٣٨-٢٤٠/٦)، ابن كثير (١٤٥-١٤٦/٣).

نظر مثلا تفاسير: الطبري (٢٢٠/١٧)، الثعلبي (٢١/٦)، الألوسي (١٨٩/١٠).

نظر: شرح البخاري لابن بطلال (١٣٧-١٤٠/٣)، فتح الباري لابن حجر (٣٠-٣٢/٣)، (١٣-٤٨٤).

شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٤/١٦).

يقولون: وكل المعاني التي صرفنا إليها هذه الألفاظ تحتملها النصوص، ويشير إليها السياق، ويقبلها الشرع، ولا يرفضها الدليل العقلي القطعي. فكلها من معاني الكمال، ولا تنسب إلى ربنا عز وجل نقصاً أو تشبيها بأي وجه من الوجوه. وإذا كنا قد خضنا في التأويل. فنحن نذكر هذه المعاني على سبيل الاحتمال، حيث لا قَطْع في معاني النصوص ظنية الدلالة والألفاظ الموهمة، ولولا الضرورة ما لجأنا إلى التأويل.

وهذا هو مذهب جماهير علماء الخلف أهل السنة الأشاعرة والماتريدية، وبعض الصحابة والتابعين من السلف الصالح.

يقول الإمام اللقائي الأشعري في جوهره التوحيد مقرراً لمذهب أهل السنة:

«وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهًا  
أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرَمَّ تَنْزِيهًا»<sup>(١)</sup>

المعنى: أن كل لفظ قرآني أو نبوي يُوهَمُ مشابهة الله تعالى لخلقته، فإما أن تفوض عنه معناه إلى الله تعالى وتنفي عنه الكيف، وإما أن تؤوِّله بما يليق بالله عز وجل من المعاني التي يشير إليها السياق. وعلى هذا فقس كل النصوص الموهمة لتشبيه الله تعالى بخلقه.

قال الإمام البيجوري: «وليس المراد به -أي قوله «نص»- ما قَابَلَ الظاهر: وهو ما أفاد معنى لا يحتمل غيره، إذ لو كان هذا هو المراد لم يمكن تأويله.

وقوله: «أوهم التشبيها» أي وقع الوهم في صحة القول به بحسب ظاهره<sup>(٢)</sup>، والمراد

(١) شرح جوهره التوحيد للبيجوري: (٥٩).

(٢) قلت: قال البيجوري «وقع الوهم في صحة القول به بحسب ظاهره»: لأن الظاهر لا يدل على التجسيم ولا المشابهة عند صاحب العقل السوي والفترة النقية الذي يفهم لغة العرب، لكن قد يقع الوهم بذلك من اختلاف حاله. فقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يسمعون كلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ وذا يقع في قلوبهم التشبيه ولا التمثيل، لكونهم يعلمون أن القرآن كتاب عربي وأن محمداً ﷺ نبي عربي، وأن من أساليب العرب في الكلام استخدام المجاز. والمجاز: هو استعمال اللفظ في معنى غير معناه الأصلي. لوجود قرينة تمنع ذلك. كقول العرب زيد أسد، فلفظ الأسد في حقيقته اللغوية واستعماله الأصلي يدل على الحيوان المفترس، ومن المعلوم قطعاً أن زيدا ليس حيواناً مفترساً، فيفهم السامع أن زيدا فيه من صفات =

من التشبيه: المشابهة. وقوله: «أولّه» أي أحمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد. فالمراد: -ربلا تفصيليا، بأن يكون فيه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف، وهم من كانوا بعد خمسمائة، وقيل: من بعد القرون الثلاثة.

وقوله: «أو فوّض» أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فبعد هذا التأويل فوّض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف، وهم من كانوا قبل خمسمائة، وقيل: القرون الثلاثة، الصحابة والتابعون وأتباع التابعين.

ثم قال البيجوري: فظهر مما قرناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي، لأنهم يصفون النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى<sup>(١)</sup>. لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تعيين مراد من ذلك النص وعدم التعيين. والحاصل: أنه إذا ورد في القرآن أو السنة ما يُشعر بإثبات جهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا المجسمة والمشبّهة على تأويل ذلك، لوجوب تزيهه تعالى عما دلّ عليه ما دُكر بحسب ظاهره.

فمما يوهّم الجهة قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، فالسلف يقولون:

= البأس والقوة ما يجعله يشبه الأسد فيها، لا أنه تحوّل إلى حيوان مفترس. وهذا المجاز كثير في كلام العرب، ولا ينكره إلا صاحب هوى أو أحمق لا يعرف عن العربية شيئا.

تنبيه: الأصل أن الظاهر هو ما يتبادر إلى الذهن عند سماع اللفظ، سواء كان منصرفا إلى الحقيقة اللغوية أو إلى المعنى المجازي الذي يفيد السياق، وهو كما وضحنا ليس فيه تجسيم عند أصحاب الفطرة السوية. لكن لما وقعت البدعة واشتهر اصطلاح «المعنى الظاهر» أو «ظواهر النصوص»، تجد عددا من أهل العلم ينفون الظواهر بهذا المعنى. ولكن يُعرف قصد المتكلم من لفظ «الظاهر» إذا دقق الباحث في كلامه. فانتبه حفظك الله لتلك اللفتة حتى لا يختلط عليك الأمر. وسيأتي فصل خاص عن الظاهر ومعناه وما يراد به إن شاء الله تعالى.

(١) يبين رحمه الله تعالى أن مذهب التفويض الذي عليه السلف الصالح، يُعتبر أيضا تأويلا إجماليا، لأنهم يجزمون أن المعاني الموهمة التي تؤدي إلى التشبيه بسبب استعمال الألفاظ على حقيقتها اللغوية ليست مرادة ولا مقصودة، فيكونون بذلك قد صرفوا اللفظ عن معناه الأصلي. فانتبه لذلك رزقي الله وإياك الفهم عنه تعالى وعن رسوله ﷺ.

فوقية لا نعلمها<sup>(١)</sup>، والخلف يقولون: المراد بالفوقية التَّعَالِي فِي الْعِظْمَةِ. فالمعنى: يخافون - تزي الملائكة - ربهم من أجل تعاليه في العظمة، أي ارتفاعه فيها<sup>(٢)</sup> اهـ.

ويقول الإمام أبو المعين النَّسْفِيُّ الماتريدي: «وَتَعَلَّقُ الْخِصُومَ<sup>(٣)</sup> بِالذَّلَائِلِ السَّمْعِيَّةِ، بِرِ نحو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [النسر: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] تعلق باضر. لأنهم إن تمسكوا بظاهر كل آية منها لَلَزِمَ المحال، فإنه تعالى يكون على العرش حسب كونه الملك على السرير<sup>(٤)</sup>، ويكون في السماء حسب كون المظروف في الظرف<sup>(٥)</sup>، ويكون في الأرض أيضا مع كونه في السماء محال. والمحال منه مندفع، فالشرع لا يردُّ به.

فُعَلِمَ أن هذه الآيات معدولٌ بها عن ظواهرها، لثلا يتمكن التناقض والتدافع في كلام الحكيم الخبير، فيجب صرف كل آية منها إلى ما يليق بالربوبية، ولا تُناقض حجة الله تعالى العقل<sup>(٦)</sup>، ولا تُعارض قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، إذ في هذه الآية نفي المماثلة بينه وبين شيء ما. وهذه الآية محكمة لا تحتمل تأويلا، وبم تعلق به الخصوم من الآيات المتشابهة محتملة لوجوه كثيرة غير ممكنة الحمل على ظواهرها.

فإما أن نؤمن بتنزيلها ولا نستغل بتأويلها، على ما هو اختيار كثير من كبراء الأئمة وعلماء الملة. وإما أن نُصَرِّفَ إلى وجه من التأويل، يوافق التوحيد ولا يناقض تنزيه المحكِّمة<sup>(٧)</sup> اهـ.

(١) أي لا يجدون معنى مرادا بعينه للفظ، فيفوضون العلم بمعناها إلى الله تعالى. وهذا هو الموقف الأول - ذكرناه لأهل السنة.

(٢) شرح جوهرة التوحيد لليجوري: (٥٦-٥٧).

(٣) يقصد المخالفين لأهل السنة في هذه المسألة، وهم المنجسة والمشبهة.

(٤) أي مثل كون الملك على السرير، على حسب ما يفيد الظاهر اللغوي.

(٥) فيلزم منه أن السماء ظرف له، وهو كفر باطل. والظرف قد يوجد فيه المظروف وقد يخلو منه، وهذا كفر - باطل. انظر كلام المحقق ص: (٣٧-٣٨).

(٦) جملة: (ولا تناقض حجة الله تعالى العقل) معطوفة على قوله: (لثلا يتمكن التناقض.. إلخ).

(٧) التمهيد في أصول الدين لأبي المعين النَّسْفِيُّ الماتريدي: (٣٧-٣٨).



## نص من كلام شُراح الحديث على أن التفويض والتأويل هما مذهب أهل السنة في التعامل مع المتشابه:

وقد نص على ذلك جمهور شُراح كتب الأحاديث وغيرهم من علماء الأمة. وسننقل عِرض كلام بعض أكابر شراح الحديث ممن أجمعت الأمة كُلُّها على الاعتراف لهم بالإمامة. نتقدم والإتقان في صنعة الحديث روايةً ودرايةً، وجمعوا مع تَمَكُّنهم في الحديث إتقاناً وتمكُّناً في غيره من العلوم كالفقه والأصول واللغة، وإن غلبت عليهم صنعة الحديث.

سننقل نصوص هذه الفئة -على وجه الخصوص- بأن مذهب أهل السنة إما تفويض وتأويل.

- وذلك لأن عددا كبيرا ممن وقعوا تحت تأثير الآلة الدعائية للمجسمة أصبحوا لا يتنون في رأي أي طائفة من العلماء إلا أهل الحديث<sup>(١)</sup>.

- وكذلك لكي نقطع دابر الشك في قلب من يرتاب في مواقف هؤلاء العلماء تتائمهم إلى أهل السنة الأشاعرة والماتريدية<sup>(٢)</sup>.

- ولكي يظهر بالبرهان الواضح أن هؤلاء المحدثين نقلوا مذهب أهل السنة والسلف -لحين نقلا مطابقا لما قاله الأشاعرة والماتريدية، مما يدل دلالة واضحة على أن الأشاعرة -تريدية هم الامتداد الحقيقي لمنهج واعتقاد السلف الصالح وأهل السنة.

١- الإمام البيهقي، وهو من أئمة الحديث والفقه والأصول والفقه والكلام والتاريخ:

وقد سبق التوضيح أن أديعاء السلفية ينسبون أنفسهم وعقيدتهم لأهل الحديث، لما للحديث الشريف من قَدْرٍ ومحبة لدى جماهير المسلمين، ويلبسون على الناس بادعاء أن أهل الحديث لا يختلفون في الاعتقاد وأنهم على نفس اعتقاد الوهايبة.

- وذلك لأن بعض المجسمة المعاصرين في كتبهم تعمّدوا الكذب والادعاء بأن هؤلاء العلماء مجسمة وأنهم ينمّون الأشاعرة والماتريدية. وانتشرت هذه الدعوى وراجت على العوام وطلبة العلم من الشباب بسبب دعم مثل هذه الكتب بالمال وتيسير نشرها بالمجان في عدد من بلاد الإسلام.

قال تعليقا على حديث النزول: «وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله، على قسمين. منهم من قبله وآثر به ولم يؤوله ووكل علمه إلى الله، ونفى الكيفية والتشبيه عنه. ومنهم من قبله وآمن به وحمى على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب الأسماء والصفات في المسائل التي تكلموا فيها من هذا الباب»<sup>(١)</sup> اهـ.

والإمام البيهقي رحمه الله تعالى ينسب هذا الكلام بوضوح إلى أهل الحديث، ويريه بهم المتسبين لأهل السنة.

٢- الإمام النووي، وهو من أئمة الحديث والفقهاء والأصول واللغة والتاريخ:

قال تعليقا على حديث النزول أيضا: «هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان، ومختصرهما: أن أحدهما مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين: أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وظهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها، مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف، وهو محكي عن من والأوزاعي: أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواظنها»<sup>(٢)</sup> اهـ.

٣- الإمام ابن حجر العسقلاني، وهو من أئمة الحديث والفقهاء والتاريخ:

قال في مقدمة فتح الباري: «ووقع ذكر اليد في القرآن والحديث مضافاً إلى الله تعزى. واتفق أهل السنة والجماعة على أنه ليس المراد باليد الجارحة التي هي من صفات المحدثات وأثبتوا ما جاء من ذلك وآمنوا به؛ فمنهم من وقف ولم يتأول، ومنهم من حمل كل لفظ منبى على المعنى الذي ظهر له، وهكذا عملوا في جميع ما جاء من أمثال ذلك»<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) الاعتقاد والهداية، للبيهقي: (١١٧).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: (٣٦/٦).

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني: (٢٠٨/١).

٤- الحافظُ ابنُ الإمامِ الحافظِ وليُّ الدينِ أبو زرعة بنُ زينِ الدينِ العراقي، وهو محدثٌ وفقهه وأصولي:

قال في شرحه على جمع الجوامع: «بل نقول بكل ما ورد في الكتاب أو السنة نصيحة. ثم إن كان ظاهر المعنى لا إشكال فيه اعتقدناه كما ورد، وإن كان مشكل المعنى يَرَهُمْ ظاهِرُهُ الحدوثَ أو التغيرَ كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَيْكُ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا»<sup>(١)</sup>. فإننا ننزه الله تعالى عند سماعه عما لا يليق به.

ولأثمتنا فيه مذهبان مشهوران:

أحدهما: تفويضُ المراد منه إلى الله تعالى، والسكوتُ عن التأويل، مع الجزم بأن ظواهر المؤدية إلى الحدوث أو التشبيه غير مرادة. وهو مذهب السلف.

وسئل مالك رحمه الله عن قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»<sup>(٢)</sup>.

وقال الترمذي في الكلام على حديث الرؤية: «والمذهب في هذا عند أهل العلم من لأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك<sup>(٣)</sup> وابن عيينة ووكيع وغيرهم: أنهم زَوَّوا هذه الأشياء ثم قالوا: تُرَوَى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف. وهذا الذي ختاره أهل الحديث»<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري: (١١٥٤)، مسلم: (٧٥٨).

(٢) سيأتي الكلام على هذا الأثر مفصلاً في الحاشية إن شاء الله تعالى في الفصل الخاص بأقوال السلف.

(٣) قال الذهبي في التذكرة (٢٠١/١): عبد الله بن المبارك بن واضح، الحافظ العلامة شيخ الإسلام، فخر المجاهدين قدوة الزاهدين. ولد سنة ١١٨ هـ أو بعدها بعام، قال ابن مهدي: الأئمة أربعة: مالك والثوري وحماد بن زيد وابن المبارك. قال عبد الله بن سنان قدم ابن المبارك مكة وأنا بها فلما خرج شيعة سفيان بن عيينة والفضيل بن عياض وودّعا فقال أحدهما: هذا فقيه أهل المشرق، فقال الآخر: وفقهه أهل المغرب. ثم قال الذهبي: مناقب هذا السيد حجة في تاريخ دمشق وفي تاريخ نيسابور وفي الحلية وفي تاريخ الخطيب. مات ابن المبارك بهيبت في رمضان سنة ١٨١ هـ.

(٤) سنن الترمذي: (٤/٤٩٢).

ثانيها: أنا نؤولها على ما يليق بجلال الله تعالى، بشرط كون المتأول متسقا في مع  
العرب»<sup>(١)</sup>أهـ.

٥- الحافظ الكرمانى، وهو إمام فى الحديث والفقه:

قال: «حكم سائر المتشابهات إما التفويض وإما التأويل»<sup>(٢)</sup>أهـ.

٦- الإمام الأبي، وهو محدث وفقهه

قال فى شرحه على صحيح مسلم عند كلامه على حديث النزول: «ومذهب أهل حـ  
فى جميع ذلك أن يُصرَف اللفظ عن ظاهره المحال، ثم بعد الصرف هل الأولى التأويل  
عدمه، بأن يؤمن باللفظ على ما يليق، ويكَلِّ علم حقيقة ذلك إلى الله سبحانه وتعالى،... ت  
الأظهر من قول أهل الحق التأويل»<sup>(٣)</sup>أهـ.

٦- الإمام الحافظ بدر الدين العيني، وهو محدث وفقهه:

قال فى شرحه لحديث النزول فى صحيح البخارى: «وهذا من باب المتشابهات والتأويل  
فيها قد علم أنه إما التفويض وإما التأويل»<sup>(٤)</sup>أهـ.

وهذا الذى قرّره هؤلاء الأئمة ونسبه البيهقي إلى أهل الحديث المنتسبين لأهل السنـ  
قرّره بعينه -ويكاد يكون بألفاظه- عددٌ من حفاظ وعلماء الإسلام، وعلى رأسهم حفاظ كـ  
كأبي حاتم ابن حبان والخطيب البغدادي وابن عساكر ومغلطاي والقسطلاني والخضر  
والسيوطي والزرقاني والسخاوي والهيثمي والدهلوي والسندي وغيرهم، بما يكاد يكـ  
إطباقا على نقل هذا المعنى.

• ولزيد من التوضيح لمذهب أهل السنة الأشاعرة والماتريدية فى التأويل نقول:

(١) الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، لأبي زرعة العراقي، ص: (٧٤١-٧٤٢).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر: (٤٠١/١٣).

(٣) انظر: شرح الأبي على صحيح مسلم: (٣٨٥/٢).

(٤) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: (١٧٣/٣٦).

المعنى اللغوي للتأويل: هو التفسير، وقد جاء في الحديث الشريف أن النبي ﷺ دعا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»<sup>(١)</sup>، أي تفسير.

والمعنى الاصطلاحي المتفق عليه عند علماء اللغة والأصول هو: صرف معنى اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معنى آخر مرجوح، لوجود قرينة توجب ذلك. وقد اتفق العلماء على ذلك.

وقد وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية ألفاظ توهم مشابهة الله لخلقه، كقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وما شابه ذلك.

وفي السنة قوله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ»<sup>(٢)</sup>، قَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(٣)</sup>، وما شابه ذلك.

فقال جمهور علماء الإسلام من أهل السنة: إن الله تعالى ليس كخلقه، ويجب صرف هذه الألفاظ عن المعنى الظاهر إلى معنى آخر يحتمله اللفظ، ويدل عليه السياق، ويقبله شرع، ولا يرفضه العقل أيضا.

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٧٦): هو في الصحيح غير قوله: «وعلمه التأويل»، رواه أحمد والطبراني بأسانيد، وله عند البزار والطبراني: «اللهم علمه تأويل القرآن»، ولأحمد طريقان - أي هذه الزيادة - رجالهما رجال الصحيح، اهـ.. وقال القرطبي في المفهم (٢٠/١٣٢): وقوله ﷺ: «اللهم فقهه» هنا انتهى حديث مسلم، وقال البخاري: «اللهم فقهه في الدين». وفي رواية قال: ضمنى رسول الله ﷺ وقال: «اللهم علمه الكتاب»، قال أبو عمر [هو ابن عبد البر]: وفي بعض الروايات: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، وفي حديث آخر: «اللهم بارك فيه وانشر منه، واجعله من عبادك الصالحين»، وفي حديث آخر: «اللهم زده علماً وفقهاً»، وكلها حديث صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: (٨٥٧١) عن ابن مسعود، ويلفظ آخر (١٢٥١) قال: عن ابن عباس رفعه، قال: «وما مدَّ عبد يده بصدقة إلا ألقيت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١١٤): فيه عبد الله بن قتادة المحاربي، ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله ثقات.

(٣) مسلم: (٢٦٥٤).



تفصل الثالث: قول أهل السنة الأشعرية والماتريدية هل هو فعلا يمين الله على الحقيقة؟ أم أن هناك معنى آخر قصده النبي ﷺ وسلك طريقة المجاز العربي في التعبير عنه!؟

فإن قلت: هو يمين الله حقيقة، فقد نسبت إلى الله ما هو أفضع وأشنع مما نسب إليه لنصارى! فأن يكون له ولد أهون من أن تكون يمينه حجرا.

ثم ماذا تقول أيضا في الحديث القدسي الذي يقول الله تعالى فيه: «يا ابن آدم، سَتَطَعَّمْتُكَ فلم تطعمني. مرضتُ فلم تُعِدَّنِي، ... الحديث»<sup>(١)</sup>؟ هل الله سبحانه يجوع ويمرض؟

وماذا تقول في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]؟ هل الله سبحانه وتعالى ينسى؟

لو قلت هذا تكون قد كفرت صراحة. ولو قلت ليس المعنى كذلك، تكون قد سلكت مسلك التأويل الذي ترفضه وتُصرُّ على أنه تحريف!

## شبهة إثبات أهل السنة بعض الصفات وتأويلهم البعض الآخر:

من المعلوم أن هناك صفات اتفق جمهور المسلمين على إثباتها لله جل شأنه، كالعلم والقدرة والإرادة، وهي عبارة عن معانٍ قائمة بذاته تعالى. والمجسمة يدعون أنه لا فرق بين هذه الصفات وبين ما يعتبرونه هم من الصفات كالعين والوجه واليد والساق والظل،

= ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا. ورواه ابن أبي الفوارس في تاسع مخلصاته، والقضاعي موقوفا عليه، لكنه صحيح بلفظ: «الركن يمين الله عز وجل يصافح بها خلقه، والذي نفس ابن عباس بيده ما من مسلم يسأل الله عنده شيئا إلا أعطاه إياه». وله شواهد فالحديث حسن. ومن شواهد ما رواه الديلمي عن أنس، ومنها ما رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن جابر، اهـ. وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٤٢): رواه أحمد، والطبراني في الأوسط وزاد: «يشهد لمن استلمه بالحق، وهو يمين الله عز وجل، يصافح بها خلقه». وفيه عبد الله بن مؤمل وثقه ابن حبان وقال يخطئ وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح. قلت: لرجل ما عزاه الهيثمي إلى ابن حبان عنه.

(١) صحيح مسلم: (٢٥٦٩). وانظر التعليق المضحك لبعض المجسمة على الحديث فيما سنقله إن شاء الله تعالى في المبحث الخاص بقول المجسمة.

ويسمونه صفات عينية! وكاهرولة والمَلَلِ والنزول، ويسمونه صفات فعلية! ويعييون على أهل السنة أنهم لا يثبتونها كما أثبتوا الأولى، ويدعون اعتمادا على ذلك أن مذهب أهل السنة الأشاعرة والماتريدية متناقض في هذا الباب.

ويقولون لأهل السنة: إذا كنتم تثبتون الصفات الأولى فيلزمكم إثبات الصفات الثانية؛ لأنه لا فرق. ويعتمدون على قاعدة عندهم نصها كالآتي: «القول في بعض الصفات كالقول في بعض».

### ثم يحاولون التليس على أهل السنة بإدارة حوار على النسق الآتي (١):

يقولون لأهل السنة: لا فرق بين ما نفيتموه وما أثبتتموه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر.

فإن قلتُم مثلا: إن إرادته تعالى مثل إرادة المخلوقين، قلنا: كذلك وجهه وساقه وخصيه ومَلَلُهُ وهرولته، وهذا هو التمثيل.

وإن قلتُم: له إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به، قلنا: وكذلك له وجه وساق وظل وملل وهرولة تليق به كما أن للمخلوق وجهها وساقا وظلا ومللا وهرولة تليق به!

فإن قلتُم مثلا: الهرولة في اللغة هي الإسراع بين المشي والجري فلا يليق إثباته تعالى، قلنا: كذلك الإرادة هي ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة فلا يليق إثباته تعالى!

فنتج عن ذلك أن هذه الصفات مثل تلك، فيلزمكم إما إثباتها جميعا عملا بظجر النصوص، أو نفيها جميعا عملا بالتأويل.

### والرد على هذا الحوار كالتالي:

نقول: إن الفرق بالغ الوضوح بين الصفات الأولى نحو العلم والقدرة والإرادة وبين ما يريدون إثباته ويقيسونه عليها. فرقٌ من عدة وجوه:

(١) هذا النسق للحوار تجده في كثير من كتبهم، أبرزها التدمرية لابن تيمية: (٣١-٣٢)، وكذلك شرح المعاصرين على التدمرية والواسطية.



منها: أننا - أهل السنة الأشاعرة والماتريدية - لم نثبت لله سبحانه وتعالى العلم والحياة والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات التي أثبتناها، إلا لأن الأدلة القطعية وردت بإثباتها. وهذه الأدلة التي أثبتنا هذه الصفات استنادا إليها، قطعيةٌ من جهة ثبوتها ومن جهة دلالتها.

- وذلك لأن الأحكام الشرعية - سواء كانت اعتقادية أو فقهية - لا بد من ثبوت نسبة الأدلة التي دلت عليها، إلى الله سبحانه أو إلى رسوله ﷺ أو إلى إجماع المجتهدين في عصر من العصور ثبوتا مؤكدا. وهذا هو ما نقصده بقطعية الثبوت.

- كما أنه لا بد أيضا لهذه الأدلة التي ثبتت نسبتها ثبوتا قطعيا إلى الله ورسوله أن تدل على الأحكام التي استنبطها العلماء منها دلالة مؤكدة. وهذا هو ما نقصده بقطعية الدلالة.

- ودرجة صحة الثبوت وصحة الدلالة يُقَبَل فيها أن تختلف وتتفاوت في الفروع الفقهية، حيث دل على ذلك عمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المجتهدين والفقهاء على مر العصور واختلاف الأجيال إلى يومنا هذا. فيمكن أن تجد الأئمة يختلفون في صحة ثبوت نص من النصوص ويختلفون أيضا في فهمه، فتختلف أحكامهم المستنبطة منها بحسب اختلافهم في درجة ثبوتها وفي فهمهم لدلالاتها.

- أما الأحكام الاعتقادية - خصوصا ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته - فلا بد فيها من اليقين، لأن العقيدة الصحيحة واحدة من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا. واستنباط أحكام عقديّة من النصوص التي لم تثبت نسبتها إلى الله ورسوله بشكل قاطع، أو من نصوص لا تدل دلالة قطعية على المراد منها ويتطرق إليها الاحتمال لا يجوز؛ لأن الاحتمال لا يعتد به في العقيدة. إذ لا يصح أن تُثبت لله تعالى صفة على سبيل الاحتمال والشك؛ لأن شك في العقيدة يبطل الإيمان أصلا.

ولو جاز في إثبات عقيدة متعلقة بذات الله سبحانه وصفاته أن نستدل بالنصوص التي برتبت نسبتها على سبيل القطع، أو النصوص التي تحتمل عدة وجوه ولا تثبت دلالتها على سبيل القطع، فيمكن في هذه الحال أن نقول أن الله يمكن أن يكون متصفا بصفة العلم مثلا فيمكن ألا يكون متصفا بها، أو أن علمه تعالى شامل محيط بكل شيء ويمكن ألا يحيط بكل

شيء. وسوف تتعدد أقوال المجتهدين وتتعدد احتمالاتهم بتعدد ما فهموه من هذه النصوص فتختلف أقوالهم في العقيدة كما اختلفت في الفقه.

لذلك نحن لم نثبت صفة لله تعالى من النصوص إلا بعد ثبوت نسبتها على سبيل القطع إلى الله تعالى أو إلى رسوله ﷺ، وبعد التأكد من قطعية دلالة هذه النصوص على المعنى الذي أثبتناه.

- فأما من جهة ثبوتها: فإن النصوص التي ورد فيها ذكر العلم والقدرة والإرادة والحياة، لا يشك مسلم واحد في ثبوتها، حيث وصف الله تعالى نفسه بها في القرآن الكريم الذي أجمع المسلمون على أنه من عند الله، ولم يتطرق إليه تحريف بزيادة أو نقص أو تغيير وكذلك ورد ذكرها ووصف الله تعالى بها في أحاديث متواترة تلقاها جيل عن جيل، مع اختلاف الأماكن والأزمنة والمذاهب، بحيث يستحيل الكذب أو السهو أو الخطأ في نقلها.

أضف إلى ذلك أن العقل أيضا يشارك النقل في إثباتها على ذلك الوجه القاطع. إذ أنه يدل دلالة قاطعة على أن هذا العالم بما فيه لا يمكن أن ينشأ من العدم هكذا بدون خالق حي. له من القدرة والإرادة والعلم ما يمكنه من تدبير مخلوقاته وحفظها.

وأما من جهة دلالتها: فإن ألفاظ القدرة والإرادة والعلم والحياة كل منها له معنى واحد لا يتطرق الاحتمال إلى غيره، سواء ورد ذكره في القرآن أو في السنة. ومهما اختلف السياق الذي وردت فيه، فإنها لا تدل إلا على المعاني المعروفة منها من كونها صفات لله سبحانه وتعالى.

أما ألفاظ العين واليد والوجه والساق والهرولة والقعود والهبوط والظل والملل وسائر تلك الأمور التي يسمونها صفات. فلا يدل عليها دليل يجتمع فيه قطعية الثبوت وقطعية الدلالة.

- فمن جهة الثبوت: فقد ورد بعضها في القرآن كاليد والساق والوجه والعين والمجيء والمعية والاستواء. وهذه النصوص قطعية الثبوت بالتأكيد.

وبعضها ورد في السنة. وهذه الأحاديث ليست كلها متواترة قطعية في ثبوتها، بل بعضها القليل جدا متواتر.

وبعضها أحاديثٍ آحادٍ يجوز على راوي كل منها أن يخطئ في فهم الكلام الذي سمعه، وبالتالي فهو يبلغه كما فهمه، إن كان يرويه بالمعنى. ويجوز كذلك أن ينسى شيئا من ألفاظ السياق أو أن يبدل كلمة مكان كلمة على سبيل السهو والخطأ. وبالتالي لا يمكن أن ننسب إلى الله سبحانه صفات عن طريق مثل هذه النصوص، التي يتطرق الشك إلى صحة نسبتها إلى الرسول ﷺ.

وبعضها - وهذا البعض كثير جدا - ورد في أحاديث ضعيفة أو موضوعة، وهذه لا يجوز الاعتماد عليها في إثبات صفاتٍ لله سبحانه، لأنها ليست ثابتة النسبة إلى النبي ﷺ. وذلك كالأحاديث التي فيها رؤية النبي ﷺ لربه في صورة شاب أمرد، وأنه يرتدي نعلين ذهبيتين، وأنه تعالى يتبقى منه مقدار أربعة أصابع من مساحة جلوسه على العرش، وأن له شعرا في صدره وذراعيه وأن له أضراسا وفما وهوات وحقوقاً وغيرها من الخزعبلات التي هي في الأصل من وضع الزنادقة، ثم وصلت إلى بعض المجسمة من المحدثين الذين اعتقدوا أنّصاف الله تعالى بها، ثم رَوَوْهَا عن أولئك الزنادقة دون انتقاد أو تمحيص لهذه الرويات.

وبعضها ورد في أخبار موقوفة على بعض التابعين المتأثرين بما ينقله أهل الكتاب من كتبهم. ولا يخفى أن هذه الكتب نالها شيء كثير من التبديل والتحريف، وأن مصدر العقيدة عندنا معشر المسلمين هو القرآن والخبر القطعي الوارد عن الرسول ﷺ. وليس أحدٌ من الصحابة أو التابعين يمكن اعتباره مصدرا مستقلا للعقيدة بحيث يمكن الاعتماد على خبره منفردا، طالما لم يصحّ رفع خبره إلى النبي ﷺ بطريق التواتر. وذلك كالخبر الوارد عن مجاهد أن الله تعالى جالس على العرش كما يجلس أحدنا على الكرسي. وأنه تعالى يُسند قدميه على الكرسي، وغير ذلك من الأخبار الواضحة الكذب.

هذا بالنسبة لثبوت نسبة هذه الألفاظ للقرآن وللرسول ﷺ في أحاديثه. وكما سبق، فإن قطعية ثبوت أي نص لا يمكن الاستناد إليها في إثبات صفة لله سبحانه ما لا يمكن قطعيا أيضا في دلالته.

١٩٦ - ومن جهة الدلالة: فإننا لن ننظر في الألفاظ التي وردت في خبر آحاد؛ لأنها تحتمل

وقوع الخطأ من الأفراد الذين رووها في أي طبقة من طبقات الإسناد. وكذلك لن ننظر في الأحاديث الضعيفة والموضوعة لسقوط الاحتجاج بها أصلاً. ولا في الأخبار الموقوفة على صحابي أو تابعي ولم يصح رفعها إلى النبي ﷺ، لأن قول الصحابي أو التابعي منفرداً في العقيدة ليس بحجة، خاصة إذا خالف قوله الأدلة القطيعة في الكتاب والسنة.

فلم يبق عندنا إلا نصوص القرآن الكريم والأحاديث المتواترة التي ثبتت نسبتها إلى النبي ﷺ، حيث لا يتطرق أي احتمال أو خطأ في ثبوتها.

ولا بد أن نعيد الكلام عن الصفات التي أثبتتها أهل السنة من حيث دلالة الألفاظ مع المقارنة بما يريد المجسمة إثباتها من عدة وجوه:

منها: أن العلم والقدرة والإرادة هي في حقيقتها اللغوية معانٍ تقوم بمن اتصف به. ولا يعرفُ أحدٌ طبيعتها على وجه اليقين، بل لا نعرف عنها إلا بعض آثارها وخصائصها، أم طبيعتها فلا. والتعريف الذي سيق في هذا الحوار للإرادة خاطئ تماماً، لأن ميل النفس إلى شيء هو محبته وطلب تحصيله وليس إرادته، والفرق واضح.

لكنّ الوجه والعين والساق قد أجمع أهل اللغة على أنها أجزاء وأبعاض تتركب منها المخلوقات، وهذه هي طبيعتها وحقيقتها على وجه اليقين. وكذلك الهرولة والنزول أجمعوا على أنها أفعال وليست صفات، وأنها تدل على تحرك الجسم وانتقاله من مكان إلى آخر، هذه حقيقتها وطبيعتها.

وأما الملل والظل، فلا أدري كيف يجروا مسلم على وصف الله تعالى بهما، ويريد حصر اللفظ على حقيقته اللغوية رافضاً تأويله والاعتراف بأن إطلاقها من قبيل المجاز!!

ومنها: أن اللغة لم تعترف بكون هذه الأبعاض تسمى صفاتٍ لمن ترَكَّبَ منها، بل هي أجزاء له، فكيف ساغ للمجسمة أن يسموها صفات بغير دليل من اللغة أو الشرع أو العقل.

يقول ابن الجوزي: «سمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة

ووجها زائدا على الذات، وعينين وفماً وهوات، وأضراسا وأضواء لوجهه هي السبحات، ويدين وأصابع وكفا وخنصرا وإبهاما وصدرا وفخذا وساقين ورجلين،....، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل،....، سمو الأخبار أخبار صفات، وإنما هي إضافات، وليس كل مضاف صفة، فإنه قال سبحانه وتعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وليس لله صفة تسمى روحا، فقد ابتدع من سمي المضاف صفة،.....، وهل ظاهر الاستواء إلا القعود؟ وظاهر النزول إلا الانتقال؟! (١) اهـ.

ويلخص الإمام تقي الدين السبكي كل ما سبق بكلمات رائقة تفصل في الأمر وتكشف مدى ما يتعمدونه من التلبس في هذا الحوار.

يقول الإمام تقي الدين السبكي: «وهذه الأشياء التي ذكرناها من الوجه واليد والساق والقدم والجنب والعين هي عند أهل اللغة أجزاء لا أوصاف، فهي صريحة في التركيب للأجسام، فذكر لفظ الأوصاف تلبس. وكل أهل اللغة لا يفهمون من الوجه والعين والقدم إلا الأجزاء، ولا يفهم من الاستواء بمعنى القعود إلا أنه هيئة المتمكن، ولا من المجيء والإتيان والنزول إلا الحركة الخاصة بالجسم.

وأما المشيئة والعلم والقدرة ونحوها فهي صفات ذات. وهي فينا ذات أمرين: أحدهما: عَرَضٌ قائم بالجسم، والله تعالى منزه عنه. والثاني: المعاني المتعلقة بالمراد والمعلوم والمقدور، وهي الموصوف بها الرب سبحانه وتعالى، وليست مختصة بالأجسام. فظهر الفرق» (٢) اهـ.

- ومن ناحية أخرى بعيدا عن قطعية الدلالة والثبوت وظنيتها: فإننا لو نظرنا إلى تلك الإضافات التي يريدون إثباتها قياسا على صفات القدرة والإرادة. ولناخذ مثلا واحدا عليها وهو الهرولة مثلا. فلو نظرنا في حقيقة الهرولة لرأينا أنها لا يمكن إثباتها إلا كصفة حادثة،

(١) دفع شبه التشبيه لابن الجوزي: (٩-١١).

(٢) السيف الصقيل، لتقي الدين السبكي: (١٦٧).

وُجِدَتْ نَتِيجَةً لِسَبَبٍ خَارِجِيٍّ غَيْرِ ذَاتِ الْمُهْرُولِ، بِخِلَافِ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ. فَلَا يُقَالُ عَرِّ الوَاحِدَ مِثْلًا إِنَّهُ مُهْرُولٌ دَائِمًا، بَلْ يُقَالُ هَرَّوَلٌ لِسَبَبٍ مُعَيَّنٍ، وَهَذَا السَّبَبُ لَيْسَ رَاجِعًا بِحَقِيقَتِهِ لِلزَّمَانِ لَهُ.

وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الَّذِي يَسْتَدْلُونَ بِهِ يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ. فَفِيهِ أَنَّهُ سَبِحَانَهُ وَتَعَبَّرَ يَقُولُ: «وَإِنْ أَتَانِي يَمَشِي أَتَيْتَهُ هَرُولَةً»<sup>(١)</sup>، فَجَعَلَ الْهَرُولَةَ الْمَذْكُورَةَ مَرهُونَةً بِمَجِيءِ الْعَبْدِ أَوْ لَا. فَإِنْ أَتَى الْعَبْدَ مَا شَاءَ أَتَاهُ الرَّبُّ تَعَالَى مَهْرُولًا وَإِنْ لَمْ يَأْتِ الْعَبْدَ مَا شَاءَ لَمْ يَأْتِهِ اللَّهُ تَعَالَى مَهْرُولًا. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْهَرُولَةَ لَيْسَتْ صِفَةً ذَاتًا، بَلْ هِيَ فِعْلٌ مِنَ الْأَفْعَالِ لِأَنَّهَا تَثْبُتُ وَتَتَرَدَّدُ وَتَتَوَقَّفُ عَلَى إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيُصْرَفُ مَعْنَاهَا إِلَى إِرَادَةِ إِعْطَاءِ الْعَبْدِ أَجْزَلَ الثَّوَابِ وَأَسْرَعَهُ.

وَلَكِنَّ الْقُدْرَةَ وَالْإِرَادَةَ لَا يُقَالُ فِيهَا ذَلِكَ، فَلَا يُقَالُ إِنَّهُ قَادِرٌ وَمُرِيدٌ لِسَبَبٍ مُعَيَّنٍ غَيْرِ ذَاتِهِ، بَلْ هُوَ مُوصُوفٌ بِهَا دَائِمًا؛ لِأَنَّ اتِّصَافَهُ تَعَالَى بِالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى شَيْءٍ خَارِجِيٍّ؛ لِأَنَّهَا إِنْ تَوَقَّفَتْ عَلَى شَيْءٍ خَارِجِيٍّ فَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ قُدْرَتَهُ وَإِرَادَتَهُ تَعَالَى حَادِثَانِ، وَتَعَالَى لَمْ يَكُنْ مُوصُوفًا بِهَا حَتَّى طَرَأَ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْخَارِجِيُّ فَأَوْجَبَ اللَّهُ -تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ- أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا<sup>(٢)</sup>.

## أَسْسُ التَّأْوِيلِ وَضَوَابِطُهُ:

وَالتَّأْوِيلُ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ لَا يُخْضَعُ لِلْهَوَى أَوْ تَمْلِيهِ نَظْرَةً مَزَاجِيَّةً عَلَى الْمُؤَوَّلِ كَمَا يَزَعُ الْمَجْسَمَةُ فِي كِتَابِهِمْ وَرِسَائِلِهِمْ، بَلِ التَّأْوِيلُ بَابٌ لَا يَقْتَحِمُهُ إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، بَعْدَ تَحَقُّقِ شُرُوطِهِ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعِهِ، حَتَّى لَا يَكُونَ سَاحَةً لِكُلِّ سَقِيمٍ فِي الْفَهْمِ أَوْ مَخْرَبٍ فِي الدِّينِ!

أَوَّلًا: لَا يَجُوزُ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَّا عِنْدَ قِيَامِ الدَّلِيلِ الْقَاطِعِ عَلَى أَنَّ ظَاهِرَهُ مَحْرُومٌ مَمْتَنَعٌ<sup>(٣)</sup>. مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «قَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) نقض التدمرية، لسعيد فودة: (٢٤)، بتصرف.

(٣) أساس التقديس، الرازي: (١٨٢). والإرشاد، الجويني: (١٦٠). وشرح الجوهرة للبيجوري: (١٥٣).

(٤) مسلم: (٢٦٥٤).

الفصل الثالث: قول أهل السنة الأشعرية والمتريديّة  
 قال حجة الإسلام الغزالي: «حمله على الظاهر غير ممكن. إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع، فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع. وكُنِّيَ بالأصابع عن القدرة؛ لأن ذلك أعظم وقعاً في تفهّم تمام الاقتدار»<sup>(١)</sup> اهـ.

أما إذا كان إجراؤه على الظاهر غير محال فلا يجوز تأويله، ولذلك أنكر الغزالي على المعتزلة أنهم أولوا ما ورد من الأخبار في أحوال الآخرة، كالميزان والصراط وغيرهما.

قال رحمه الله تعالى: «هو بدعة، إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية، وإجراؤه على الظاهر غير محال، فيجب إجراؤه على الظاهر»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ووجه جواز التأويل في النصوص التي يعارض ظاهرها الدليل القاطع: أن دلالة النص ظنية، فيجب القطع بصرف اللفظ عن الاحتمال المعارض للدليل القاطع، ثم يبيّن الوجه الذي يصح حمل اللفظ عليه، لأنه يحتمله ولا مانع من حمله عليه<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: من العقائد الثابتة بالدليل القاطع أن الله عزّ وجل ليس في جهة أو حيّز، ولا يجوز عليه التركيب من أجزاء ولا التجسيم ولا التشبيه، ولا تقوم به الحوادث<sup>(٤)</sup>. فإذا وردت الظواهر الظنية معارضة لهذه العقائد وجب الأخذ بالنص الشرعي ما أمكن، فتؤول الظواهر إما إجمالاً ونفوض تفصيلها إلى الله، وإما تفصيلاً بتعيين المراد<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً: يشترط لصحة التأويل أن يكون موافقاً لأساليب اللغة وعرف الاستعمال، جارياً على ما يقتضيه لسان العرب وما يفهمونه في خطاباتنا<sup>(٦)</sup>.

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: (١/١٠٢).


(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة. وانظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي: (١٨). وشرح الجوهرة، اللقاني: (١٣١). ودراسات في الفرق والعقائد، د. عرفان عبد الحميد: (٢٠٨).

(٣) الإرشاد للجويني: (١٦٠)، والمواقف للإيجي: (٢٧٢-٢٧٣)، وشرح المقاصد للفتازاني: (٤/٥٠).

(٤) بسط ذلك في العقيدة النظامية لإمام الحرمين: (٢١)، التمهيد للنسفي: (٦-١٨)، الاقتصاد للغزالي: (٢٨-٣٥)، والبداية من الكفاية لنور الدين الصابوني (٥٠٨هـ): (٤٤)، الأساس في التقييس: (١٥-٤٥).

(٥) المواقف للإيجي: (٢٧)، شرح المقاصد للفتازاني: (٤/٥٠).

(٦) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ضمن مجموعة الجواهر الغوالي من رسائل الغزالي: (١٩٩)، شرح =

٢٠٠  الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية  
 رابعاً: التأويل بيان المعنى الذي يظن المؤول أنه المراد، لأن اللفظ قد يحتمل أكثر من  
 معنى يصح صرفه إليه<sup>(١)</sup>.

مثال ذلك قول إمام الحرمين: «لا يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك  
 شائع في اللغة. ولا يبعد حمل الاستواء على قصد الإله إلى أمر في العرش، وهذا تأويل سفيد  
 الثوري رحمه الله. فاستشهد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، معناه:  
 قصد إليها»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وهذا معنى قولهم: «التأويل ظني». ويترتب على هذا: أن إبطال وجه من وجوه تأويل  
 اللفظ لا يدل على إبطال التأويل بالكلية، لأنه قد يصح تأويله على وجه آخر<sup>(٣)</sup>.

خامساً: يشترط لصحة التأويل أن لا يخالف أصلاً ثابتاً<sup>(٤)</sup>. ومن هذا التأويل  
 المخالف، تأويل ابن قتيبة رحمه الله الاستواء بالاستقرار<sup>(٥)</sup>. قال: «وقالوا في قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ  
 عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أنه استولى، وليس يعرف في اللغة استويت على الدار، في  
 استوليت عليها. وإنما استوى في هذا المكان: استقر»<sup>(٦)</sup>.

ولا يخفى أن في الاستقرار تشبيهاً بالمخلوق، ومفارقةً لتنزیه الباري عز وجل، حتى  
 لم يستطع أن يتنصل من إثبات المكانية للاستواء بمعنى الاستقرار. ومثل هذا التأويل غير  
 مقبول لأنه يخالف أصلاً ثابتاً<sup>(٧)</sup>.

= الفقه الأكبر للقراري: (٣٤)، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، حسين حامد الصالح: (٦١) ر. -  
 دكتوراه - جامعة بغداد ١٩٩٥.

(١) شرح الجوهرة للبيجوري: (١٤٩). وشرح الجوهرة للقاني: (١٢٨).

(٢) انظر الإرشاد: (٤١).

(٣) تعليق الكوثري على الاختلاف في اللفظ: (٢٦). قلت: فطلان تأويل الاستواء بالاستيلاء عند بعضهم.  
 حجة فيه على إبطال تأويله بمعنى آخر ككمال الهيمنة مثلاً.

(٤) انظر البرهان للجويني: (١/٥٣٦)، فيصل التفرقة للغزالي: (١٩٨-١٩١)، والتأويل اللغوي ح.  
 الصالح: (٦٣).

(٥) وقال به عدد من المعاصرين منهم، خصوصاً في شروح ما يسمي بالعقيدة الواسطية لابن تيمية.

(٦) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة: (٣٣٧).

(٧) انظر تعليق الكوثري عليه: (٣٧).



## الفصل الرابع

### قول المجسمة أدعياء السلفية ومناقشتهم فيه

كما سبق وأشرنا في التمهيد: فمذاهب المجسمة لها وجود قديم، كان ضعيفا في الماضي ثم يكن لها ضوابط تجمعها، حتى رتب أصولها وهذب شواردها الشيخ ابن تيمية وتلميذه شيخ ابن القيم رحمهما الله تعالى. والمجسمة في عصرنا هذا تبع لما صنفاه وسترناه ورتبناه، وعلى كتبها مدار الدراسة عند أدعياء السلفية، ولا يخرجون عن اعتقادها قيد أنملة، باعتبار أنها يعبران عن عقيدة أهل السنة تعبيراً صحيحاً مطابقاً لاعتقاد السلف.

بل إننا لا نبالغ لو قلنا إن المعاصرين منهم لا يستطيعون عرض حججهم إلا بطريقتهم، ولا يمكن لأحدهم تحرير القول في مسألة من المسائل بدون اللجوء إلى وسائلها، ولا يكادون يعبرون حتى مجرد التعبير عن اعتقادهم بألفاظ غير ألفاظها!

وحاصل مذهبهم في هذه المسألة: أنهم يقولون ثبت لله تعالى ما ذكره عن نفسه، وما ذكره عنه رسوله ﷺ، على حقيقته، إثباتاً حقيقياً إلى ذاته تعالى، وثبت له كيفية، ولكن نفوضها إلى الله تعالى، فلا نحدد كيفية بعينها<sup>(١)</sup>. فنثبت ظواهر النصوص، مع نفي مماثلة الله تعالى لخلقه!!

فثبت له يدين حقيقتين، وعينين حقيقتين، ووجهاً حقيقياً، وساقاً حقيقتية وأصابع حقيقتية، واستواءً حقيقياً على العرش فوق السماوات بذاته تعالى، وهو مستوٍ على العرش استواءً استقراراً، وواضع قدميه على الكرسي، والكرسي غير العرش، وأن الله تعالى متصف بالتواجد في جهة حقيقتية هي جهة فوق دون غيرها من الجهات والنواحي، وأنه ينزل بذاته نزولاً حقيقياً من مكانه فوق العرش الذي فوق السماوات جميعاً إلى السماء الدنيا، ويحيي

(١) لاحظ أنهم هنا يفوضون الكيفية، ولا ينفون الكيفية من الأصل، كما هو عند أهل السنة.

الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدياء السنـ  
 بذاته مجيئا حقيقيا، وَيَعْجَب وَيُضْحِك على الحقيقة، ولا نقول أن الله تعالى جِسْمٌ ولا ننفي  
 ذلك!!

وبعارة أخرى مختصرة، يقولون: ثبت معاني هذه الألفاظ على ظاهرها وحققتها  
اللغوية المعروفة، وثبت لها كيفية، لكننا نفوض كيفيةها إلى الله تعالى ولا نحدد كيفية بعينها.

يقول الشيخ ابن باز: «وهكذا القول في باقي الصفات من السمع والبصر والرضي  
 والغضب واليد والقدم والأصابع والكلام والإرادة وغير ذلك، كلها نقول إنها معلومة -  
حيث اللغة العربية»<sup>(١)</sup> اهـ.

ويقول الدكتور محمد خليل هراس: «ابن تيمية ينكر أن يكون في القرآن والسنة نكت  
 نزول ليس فيه معنى النزول المعروف، لأنه جاء بلغة العرب، ولا تعرف العربُ نزولا -  
 بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها، واستعمالا للفظِ المعروف -  
 معنى في معنى آخر، وهذا لا يجوز»<sup>(٢)</sup> اهـ.

كما أنهم يرفضون تفويض معاني النصوص، ويعتبرون التفويض تجهيلا وابتداء  
 ويرفضون كذلك التصرف في اللفظ بالتأويل، ويعتبرونه تعطيلا<sup>(٣)</sup> وإلحادا وتحريفا لكلام  
 سبحانه وكلام رسوله ﷺ.

أي أنهم يثبتون المعنى اللغوي القاموسي للألفاظ، دون الالتفات إلى السياق بكمـ  
ويحملونه على أنه صفة من صفات الباري. ويثبتون لهذه الصفة التي أثبتوها من اللفظ كيفية:

(١) الردود البازية في بعض المسائل العقديّة، ص: (١٦٥).

(٢) ابن تيمية السلفي، لمحمد خليل هراس، ص: (١٤٥).

(٣) التعطيل: هو القول بأن الله سبحانه لا يتصف بشيء من صفاته، كقول المعتزلة ومن وافقهم: عالم وسيب  
 وبصير بغير صفات العلم والسمع والبصر، وكذلك جميع الصفات عندهم. فيكونون بذلك قد عطّلوا -  
 عن صفاته. وزاد بعضهم بأنه لا يوصف بكونه عالما ولا سميعا ولا بصيرا. هذا هو المقصود بالتعطيل -  
 اصطلاح أهل السنة وغيرهم. أما المجسمة: فإنهم يعتبرون تنزيهه تعالى من الجوارح ومشابهة المخلوقات  
 تعطيلا.

نخص الرابع: قول المجسمة ادعياء السلفية ومناقشتهم فيه ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. من الكيفيات، ولا يحددونها، بل يقولون نثبتها على وجه يليق به تعالى، لأنها في مذهبهم لا يعلمها إلا الله وحده.

وبعد ذلك فهم ينسبون رأيهم هذا إلى السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وتابعيهم من علماء أهل السنة.

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «والواجب في نصوص الأسماء والصفات: إجراؤها على ظاهرها، وإثبات حقيقتها لله، على الوجه اللائق به، وذلك لوجهين:

١- أن صرفها عن ظاهرها مخالف لطريقة النبي ﷺ وأصحابه.

٢- أن صرفها إلى المجاز قول على الله بلا علم، وهو حرام»<sup>(١)</sup> اهـ.

ويقول الدكتور صالح الفوزان: «منهج أهل السنة والجماعة من السلف الصالح وأتباعهم: إثبات أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة. وينبني منهجهم على قواعد التالية:

١- أنهم يثبتون أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة على ظاهرها، وما تدل عليه ألفاظها من المعاني، ولا يؤولونها عن ظاهرها، ولا يجرفون ألفاظها ودلالاتها عن مواضعها.

٢- ينفون عنها مشابهة صفات المخلوقين، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣- لا يتجاوزون ما ورد في الكتاب والسنة في إثبات أسماء الله وصفاته. فما أثبتته الله ورسوله من ذلك أثبتوه، وما نفاه الله ورسوله نفوه، وما سكت عنه الله ورسوله سكتوا عنه.

٤- يعتقدون أن نصوص الأسماء والصفات من المحكم الذي يفهم معناه ويفسر، وليست من المشابهة. فلا يفوضون معناها كما ينسب إليهم ذلك من كذب عليهم أو لم يعرف منهجهم، من بعض المؤلفين والكتاب المعاصرين.

(١) مذكرة على الواسطية للعثيمين: (٦).

٥- يفوضون كيفية الصفات إلى الله تعالى، ولا يبحثون عنها <sup>(١)</sup>أهـ.

فالشيخ يلخص مجمل اعتقادهم، ويصفه بأنه اعتقاد السلف وأهل السنة.

وسنرى من خلال عرض كلام الشيخ نفسه وكلام أهل مذهبه، هل هم يتبرأون بالسكوت حقا عما سكت عنه الله ورسوله؟ أم أنهم يزيدون ألفاظا من عندهم، كالاتي على العرش والنزول بذاته وبنفسه، والجهة وغيرها؟ وهل يفنون عما أثبتوه لله تعالى عن المخلوقين حقا، أم أنهم غارقون في التشبيه، ويتسترون بقولهم «كما يليق»؟ وهل نصرت المتشابهات اعتبرها السلف الصالحون من المحكم الذي يمكن تفسيره وتحديد معناه ورفضوا تفويض المعنى؟ وهل كذب من ينسب تفويض المعنى إلى السلف؟ وهل هي تدل بظواهرها وحقيقتها اللغوية على صفات عند السلف رحمهم الله تعالى ورضي عبدهم وهل يُثبت السلف كيفية الصفات المستفادة -بزعمهم- من هذه الظواهر، كما يفوضونها؟

يقول الشيخ العثيمين عند شرح حديث النزول: «قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى الدنيا»:

نزوله تعالى حقيقي؛ لأنه كما مر علينا من قبل: أن كل شيء كان الضمير يعود فيه إلى الله فهو يُنسب إليه حقيقة.

ثم قال: فعلينا أن نؤمن به ونصدق ونقول: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، وهي تبارك وتعالى.

السموات إلى الأرض، والسموات سبع، وإنما ينزل عز وجل في هذا الوقت من الليل لتندى من عباده جلّ وعلا.

ثم قال: بهذا يتبين أن المراد بالنزول هنا نزول الله نفسه، ولا نحتاج أن نقول بذاته.

دام الفعل أضيف إليه فهو له. لكن بعض العلماء قالوا: ينزل بذاته، لأنهم لجئوا إلى ذلك واضطروا إليه، لأن هناك من حرّفوا الحديث وقالوا بل الذي ينزل رحمة الله <sup>(٢)</sup>أهـ.

(١) عقيدة التوحيد وما يضادها لصالح الفوزان: (٦٤).

(٢) شرح الواسطية للعثيمين: (٢/١٣-١٥).

نفس الرابع: قول المجسمة أدعياء السلفية ومناقشتهم فيه ﴿نَزَّلْنَا نَزْلًا مِّن سَمَاءٍ مَّجِيدٍ﴾ [الحجر: ٢٠٥]

فالشيخ ينسب إلى الله تعالى النزول الحقيقي. وذَكَرَ السماوات وعددهن في كلامه، لأن تَنَزَّلُ عنده عبارة عن التحرك بقطع المسافة من أعلى إلى أسفل. ويرهن على ذلك بأن السماء دنيا أقرب إلى الأرض من بقية السماوات. ثم أكد على المعنى الحقيقي بقوله: «أن المراد تنزول هنا نزول الله نفسه»!

ولا يخفى أن قوله: «ينزل بنفسه» لا يختلف عن قولهم: «ينزل بذاته». وغاية الأمر أنه أراد أن يصرف اللوم عن بدعتهم بزيادة لفظ الذات، فابتدع هو من عنده لفظاً آخر. فاستبدل بدعة بمثلها أو أشد.

كما أنه خالف ما نقلناه من كلام الفوزان في بيان قواعد منهجهم، أنهم «لا يتجاوزون ما ورد في الكتاب والسنة في إثبات أسماء الله وصفاته. فما أثبتته الله ورسوله من ذلك أثبتوه، وما نفاه الله ورسوله نفوه، وما سكت عنه الله ورسوله سكتوا عنه»، فقد تجاوز الشيخ وزاد من عنده لفظة «بنفسه».

وشيء آخر: فالقاعدة التي ذكرها الشيخ بقوله: «أن كل شيء كان الضمير يعود فيه إلى الله فهو يُنسب إليه حقيقة»، ليست قاعدة صحيحة مقررة عند أهل العلم، بل اخترعها شيخ من تلقاء نفسه.

فلو أعملناها في نص مثل قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٢٩]، فلا بد فيه من إثبات صفة لله تعالى تسمى صفة الروح، لأن الضمير عائد على الله سبحانه وتعالى. وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالِيَوْمَ نُنَسِّهُهُمْ﴾ [الأعراف: ٥١]، كان لزاماً علينا أن نثبت صفة نسيان، لأن ضمير المتكلم عائد عليه كذلك. وقس عليها ما ورد بإضافة الاستطعام والمرض. والشيخ ابن عثيمين نفسه لا ينسب إلى الله تعالى صفة تسمى الروح، ولا يصح وصفه بالنسيان وما تلاه مما ذكرنا. فبطلت قاعدته إذن.

وقد نوّه ابن الجوزي رحمه الله إلى الخطأ في اعتبار كل ما يضاف إلى الله تعالى صفة من الصفات، فلم يُقَمِّ وزناً لمثل هذه القاعدة المتهاففة عند التأمل.

وفي ذلك يقول: «سَمَّوْا الْأَخْبَارَ أَخْبَارَ صِفَاتٍ، وَإِنَّمَا هِيَ إِضَافَاتٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَفْرُوعَةٍ صِفَةً، فَإِنَّهُ قَالَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وليس لله صفة تسمى روحاً، فقد ابتدع من سمى المضاف صفة»<sup>(١)</sup> اهـ.

ولا يخفى ما في القاعدة من الاضطراب، لأن من شأن القاعدة العلمية أن تكون مطردة، واطراد القاعدة هنا ينسب لله تعالى نقائص كثيرة.

وغاية الأمر في تفسير هذا التصرف باختراع القواعد، أن الشيخ يريد تأصيل بدعة بجعلها معتمدة على قاعدة!

ثم يقول ابن عثيمين محاولاً الجمع بين نصوص الاستواء على العرش وبين نصوت النزول إلى السماء الدنيا: «نحن نقول: ينزل حقيقةً، مع علوه حقيقةً، وليس كذلك شيء!»<sup>(٢)</sup> اهـ.

قلت: ولا شك أن إثبات حقيقة النزول: الذي هو انتقال وقطع مسافة من أعلى إلى أسفل، مع إثبات حقيقة العلو: الذي هو تحيز الجسم في جهة فوق دون بقية الجهات. التمسك بنفي الماثلة الوارد في الآية لا يجتمعان، فضلاً عن اجتماع حقيقة العلو وحتب النزول إلى أسفل في الوقت نفسه، بغض النظر عن الماثلة.

ثم ينقل عن ابن تيمية مؤكداً على مذهبه في إثبات المعنى الحقيقي وتفويض الكيفية وشيخ الإسلام رحمه الله في الرسالة العرشية يقول: هو مستو على عرشه، نازل إلى الدنيا، والله أعلم بكيفية ذلك<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup> اهـ.

وقال أيضاً عند محاولته الجمع بين حقيقة الاستواء على العرش، في قوله تعالى ﴿

(١) دفع شبه التشبيه لابن الجوزي: (١١/٩).

(٢) شرح الواسطية للعثيمين: (١٦/٢).

(٣) لاحظ أنه لا ينفي التكيف، لكنه فقط يفوض تحديد الكيفية كما هو واضح من اللفظ، وهذا كثير كلامهم، وقد أشرنا إليه سابقاً، وسيأتي تصريحاً.

(٤) شرح الواسطية للعثيمين: (١٧/٢).

الفصل الرابع: قول المجسمة أدعياء السلفية ومدششهم فيه ﴿الاعراف: ٥٤﴾، وبين حقيقة المعية، في قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] كلاما يؤكد اعتقادهم التشبيه: «قد يجتمع العلو والمعية في المخلوقات، كما سيذكر المؤلف -يعني ابن تيمية- في قول الناس: ما زلنا نسير والقمر معنا»<sup>(١)</sup> اهـ.

فالشيخ يضرب المثل هنا: على أن الله تعالى يجوز أن يوصف بالمعنى الحقيقي الحسي للعلو، وبالمعنى الحقيقي الحسي للمعية لخلقه في اللحظة نفسها، من غير تعارض بين الوصفين، وشبه ذلك بقول الناس ما زلنا نمشي والقمر معنا!

### ولا شك أن استدلال الشيخ بهذا المثال باطل، لعدة وجوه:

أولاً: النص القرآني المحكم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، يمنع التشابه بين الخالق والمخلوق بأي وجه من الوجوه. فمعية القمر وعلوه لا يشبهان معية الله تعالى وعلوه بأي وجه من الوجوه، والأحكام المترتبة على علو القمر ليست هي الأحكام المترتبة على علو المولى تبارك وتعالى، ولا تشبهها بأي وجه من الوجوه كذلك.

ثانياً: القمر لا يمشي مع الناس في أماكنهم، بل هو يتحرك بدقة بين منازلها ويقطع مساره الكوني الذي حدده له رب العالمين سبحانه، لكي يعرف الناس حساب الزمن، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]، وقال: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢].

فعلى ذلك: لا ينطبق المثال المضروب على الصورة المطلوبة من هذا الوجه أيضاً.

ثالثاً: المشي في الحقائق اللغوية والعرفية والشرعية: هو التحرك على القدمين بقطع مسافة على الأرض من مكان إلى مكان. والمعلوم قطعاً أن القمر ليست له أقدام، ولا يمشي هكذا على الأرض مع الناس أبداً. فيجب حمل الألفاظ على معنى مجازي غير المعنى الذي تُقرره الحقيقة اللغوية الحسية، لأن المعنى الحقيقي الحسي مستحيل. ومفاد المعنى المجازي: أن القمر ما غاب عن عيونهم، لكونه مرتفعاً إلى مدى يجعل كل من تحته يرويه كأنه معهم.

(١) السابق: (٢/ ٨٠).

ويقول العثيمين أيضا وهو يحاول الجمع بين نصوص الفوقية وبين الحديث الذي في أن الله يكون أمام وجه المصلي: «يمكن أن يكون الشيء عاليا وهو قِبَل وجهك. فهاهو الرجل يستقبل الشمس أول النهار فتكون أمامه وهي في السماء، ويستقبلها آخر النهار فتكون أمامه وهي في السماء. فإذا كان هذا ممكنا في المخلوق، ففي الخالق من باب أولى بلا شك!»<sup>(١)</sup> اهـ.

ولا أظن القارئ اللبيب يجد صعوبة في كشف أن الشيخ يقيس الخالق على المخلوق في حكم يختص به المخلوق. وهل قياس الخالق على المخلوق إلا التشبيه المحض؟! حكم يختص به المخلوق. وهل قياس الخالق على المخلوق إلا التشبيه المحض؟!

### مناقشة قولهم: «الخالق أولى بكلمات المخلوق»:

- فالشيخ وأهل مذهبه يشبِّون الله تعالى بعض الصفات التي تُعْتَبَر كمالا بالنسبة إلى المخلوق، مستندين إلى قاعدة عندهم وهي: أن كل كمال في المخلوق فهو يَبْتُت للخالق بطريق الأولى!

وهو قياس باطل، لأن معناه اشتراك الخالق والمخلوق وتشابهما في صفة بعينها تُرَدُّ عدد بعينه من الصفات، تكون ناقصة في المخلوق وكاملة في الخالق!.

فربما تكون الصفة كمالا للمخلوق لكنها ناقصة في حق الخالق سبحانه، كاتصف بعض الخلق بالأبوة، وهو تعالى مُنَزَّه عن اتخاذ الصاحبة والولد. فَإِنَّ أَعْمَلَنَا الْقَاعِدَةَ وَقَلَدْنَا الخالق سبحانه أولى بهذا الكمال من المخلوق، وجب علينا وصفه تعالى بالأبوة! وهو ما نذم سبحانه نفيًا قاطعا، وبالتالي فالقاعدة باطلة.

فالكمال المنسوب للمخلوق هنا كمال إضافي، أي أنه كمال بالنسبة له، وليس بالضرورة أن يكون الكمال في حق شيء ما كمالا في حق غيره، لأن حقيقة هذا الشيء قد تختلف عن حقيقة غيره، فالكمال عندما يضاف إلى المخلوق يختلف اختلافا تاما وكليا عن إضافته للخالق تعالى.

يقول شيخنا العلامة سعيد فودة: «بعض الكمالات التي يتصف بها المخلوق ليست

(١) شرح الواسطية للعثيمين: (٢/٤٦).



الفصل الرابع: قول المجسمة أديء السلفية وناقشتهم فيه ﴿فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ كَمَا كَانُوا﴾ (١) اهـ. كمالات محضة، بل هي بالإضافة إلى المخلوق كمال، وذلك بحسب وجوده وحقيقته، ولكن حقيقة الله تعالى تختلف عن حقيقة المخلوق، فقد يوجد بعض الصفات في المخلوق ولكنها نقص في حق الله تعالى، لأنها ليست في نفسها كمالاً محضاً<sup>(١)</sup> اهـ.

وأقول مضيفاً: بل إن ما يصح أن يكون كمالاً في حق مخلوق، قد لا يكون كمالاً في حق مخلوق آخر، مع أنها مشتركين في كونها مخلوقين، وذلك لأن نوع كل منهما يختلف عن نوع الآخر.

فعلى سبيل المثال: التيس الأقرن أكمل من التيس الذي لا قرون له، لأن القرون وسلامتها وصف كمال في التيوس، فيصح أن يقال: هذا التيس أكمل من ذلك. ولو حدث أن طفلاً وُلد بقرنين، فإن الأطباء والناس جميعاً يعتبرون هذا تشوهاً في خلقته، والمشوه أنقص من معتدل الخلقة، لأن القرون في الإنسان نقص، على عكس القرون في التيس، فهي كمال له.

وبهذا تبين أن الكمال في حق التيس ليس بالضرورة كمالاً في حق الإنسان، بل على العكس تماماً في هذا المثال. فالقرون كمال للتيس ونقص معيب للإنسان، والمخلو من القرون كمال للإنسان ونقص للتيس، مع أن كليهما مخلوق. والسبب في ذلك اختلاف نوعيهما.

ويترتب عليه: أن اتصاف التيس ببعض الصفات التي هي كمال في حقه، لا يوجب اتصاف الإنسان بنفس هذه الصفات. فلا يصح أن يُستدل بصفة الكمال في التيس على اتصاف الإنسان بها، أو أنه أحق وأولى بها من التيس.

وأن رُقي الإنسان عن التيس في سلم المخلوقات لا يعني أن الإنسان أولى من التيس بصفات الكمال التي اتصف بها التيس. وأن كمال الإنسان لا يتوقف على اتصافه ببعض كمالات التيوس، مع أن جنس الإنسان في عمومته أكمل وأكرم من جنس التيوس! وقس على ذلك كل مخلوقين مختلفين في النوع.

فإذا كان اتصاف المخلوق الأدنى رتبةً ببعض كمالاته لا يعني بالضرورة اتصاف

(١) نقض التدمرية لسعيد فودة: (٥١-٥٢).

المخلوق الأرقى رتبة بنفس هذه الكمالات، أو أن المخلوق الأرقى أولى بهذه الكمالات من المخلوق الأدنى. فهل يصح أن يعني اتصافُ المخلوقات ببعض الكمالات أن الله تعالى متصف بها أو أنه أولى بها منها؟

وبعبارة أخرى: هل يصح الاستدلال باتصاف بعض المخلوقات بكمالات خاصة - على كونه تعالى متصفا بنفس الكمالات؟ وإذا كان كمال المخلوق لا يتوقف على اتصافه بشيء من كمالات مخلوق آخر، مهما كان المخلوق الأول أرقى وأكرم من المخلوق الثاني، فهل يصح أن يتوقف وصف الخالق بالكمال على اتصاف المخلوق بنفس الكمال؟

يقول العلامة سعيد فودة في ذلك: «إن الله تعالى له حقيقة هو بها إله، وهذه الحقيقة تتصف بصفات ويمتنع اتصافها بصفات أخرى. وامتناع اتصافها ببعض الصفات هو حقيقة كونه إلهاً. فالإله مثلا من حيث كونه إلهاً، يستحيل قبوله صفة من صفات الإنسان غير الإنسان من المخلوقات.

وحتى لو كانت هذه الصفة المفترضة كمالاً للإنسان، فلا يوجب ذلك اتصافه تعالى بها، لأنه ليس كل كمال للمخلوق فالله يتصف به»<sup>(١)</sup> اهـ.

وبعضهم أراد أن يتحلق على هذا الرد، فأضاف قيلاً للسياق ليتخلص به من التشبيه. فقال: «كل كمال لا نقص فيه اتصف به المخلوق، فالخالق أولى به»<sup>(٢)</sup>!

نقول: هل للمخلوق كمال لا نقص فيه؟ بل كل كمالات المخلوق يعتريها النقص فالإنجاب مثلا كمالاً للمخلوق، والمخلوق الذي ينجب أكمل من الذي لا ينجب، لكن عند التأمل يتبين لنا أن المخلوق يحتاج إلى الإنجاب لاستمرار نوعه على الأرض، فاتصف بالإنجاب يعدُّ كمالاً، لأنه يحقق له مصلحة لا تتحقق بمن لا ينجب، أما الخالق سبحانه فلا يحتاج إلى ذلك، بل هو غني عن الوالد والصاحبة والولد.

(١) نقض التلمرية لسعيد فودة: (١٤٦-١٤٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لسفر الحوالي: (٣١٩/١).

وكذلك المخلوق الذي يتحرك وله يد ورجل أكمل من الذي لا يتحرك ولا يد أو رجل له. وعند التأمل نجد أنه يستخدم يديه ورجليه وحركاته في تدبير شئونه من جلب الخير ودفع الشر، أما الخالق سبحانه فكل شيء بأمره ورهن مشيئته، ولا يحتاج أن يتحرك فيحمل سيفاً لدفع عدوه أو ليتحصّل على نوع من الخير مثلاً!<sup>(١)</sup>

ولا اعتراض على أن له المثل الأعلى سبحانه وتعالى، لأن معنى ذلك: أنه الذي يعلو على كل شيء، ولا يلحقه شيء بوجه من وجوه المشابهة في الذات أو في الصفات أو في الأفعال. فعندما يضاف إليه تعالى ما يضاف إلى المخلوق من الألفاظ، كالسمع والبصر والحياة والقدرة والإرادة وهذه المعاني، فهذا معناه أنه سبحانه وتعالى منزّه عن هذا الإدراك الأسفل الذي يوصف به المخلوق، لأن معنى الأعلى: هو المتعالى المنزّه عن النقائص، وصفات المخلوقات كلها نقائص. وبذلك يندفع الوهم بوقوع المشابهة في عقل القارئ، لأنه علم أن أوصافه سبحانه وتعالى من جنس آخر يختلف تماماً عن جنس أوصاف المخلوق.

أما التعبير بلفظ القاعدة، أن: «كل كمال اتصف به المخلوق فالخالق أولى به» فيلزم منه أن الخالق سبحانه موصوف بكل كمال في المخلوقات، ويُوهم أن كمال الخالق مرهون باتصاف المخلوق بنفس نوع الكمال، وأن كمال المخلوق وكمال الخالق من نفس الجنس، لكنه يزيد في الخالق عن المخلوق، وهذا المعنى لا يصح. إذ هذا كمال من جنسٍ وذاك كمال من جنسٍ آخر، ولا وجه للمشابهة أو الاشتراك بينهما.

والحق: أن الله تعالى متصف بالكمال لأنه أهل الكمال، بغض النظر عن اتصاف المخلوق بنوع من أنواع الكمال المشوب بالنقص عند من تأمله.

إذن فالقاعدة باطلة أشد البطلان، ولا يجوز التعويل عليها بوجه من الوجوه.

ثم يقول العثيمين عن المثال الذي ضربه شيخه للقمر: «فإذا كان هذا المخلوق - أي

(١) وكل ما ذكرناه في حق المخلوق هو نقص في الحقيقة وليس كمالاً، لأنه يدل على احتياج المخلوق لهذه الأوصاف والهيئات، ولولاها لا يمكنه العيش والاستمرار في الحياة سواء بنفسه أو بنوعه، والاحتياج أكبر دليل على العجز والنقص.

القمر- وهو من أصغر المخلوقات نقول إنه معنا وهو في السماء، ولا يُعَدُّ ذلك تناقضاً - .  
يقتضي اختلاطاً. فلماذا لا يصح أن تُجري آيات المعية على ظاهرها ونقول: هو معنا حقيقةً.  
وإن كان في السماء فوق كل شيء!«<sup>(١)</sup> اهـ

قلت: ولا تحفى دلائل التشبيه والتجسيم على العاقل في هذا الكلام. فالشيخ يستنكـ  
على من يعترف بجواز الجمع بين علو القمر في السماء وبين معيته لمن يمشي على الأرض -  
وهو لا يصح على الحقيقة كما وضحنا-، يستنكر عليه أنه لا يعترف بنفس المعنى الله عز وجل.  
وأنه في السماء ومعنا في الوقت نفسه، بناءً على قاعدتهم التي فَنَدَّنَاهَا، في كون كمالات  
المخلوق ثابتة للمخلوق من باب أوَّلِي!

### إثبات الكيف والقول ببدعية التفويض والتأويل:

ثم يقول العثيمين بعد ذلك: «وهذا الذي حققه شيخ الإسلام في كتبه، وقال: إنه -  
حاجة إلى أن نُؤَوِّل الآية، بل الآية على ظاهرها....، فهو معنا حقاً، وهو على عرشه حقاً: -  
نقول إنه ينزل إلى السماء الدنيا حقاً، وهو في العلو»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وإثبات الحقيقة اللغوية وظاهر الألفاظ الموهمة للتشبيه والمعنى الحسي واضح في كلام  
الشيخ ولا يحتاج إلى بيان، وزاد عليه الشيخ اعتراضه على التأويل.  
- ولم ينفرد وحده بالاعتراض على التأويل والتشيع على المؤولين، بل أهل مذهب  
جميعهم على ذلك.

يقول الدكتور صالح الفوزان: «فأهل السنة<sup>(٣)</sup> يؤمنون بأسماء الله وصفاته التي سمي  
الله تعالى بها نفسه أو سماها رسولها ﷺ، من غير تحريف<sup>(٤)</sup> ولا تعطيل، ومن غير تكيف

(١) شرح الواسطية للعثيمين: (٨٢ / ٢) .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) يقصد طائفته من الوهابية المجسمة، فقد سبق وذكرنا قول الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في أسلافهم ومؤسسي  
مذهبهم: أنهم ينسبون أنفسهم إلى السنة وإلى الإمام أحمد بن حنبل وهو منهم بريء.

(٤) يقصد التأويل بقوله: «من غير تحريف ولا تعطيل»، وسيأتي وصفهم للتأويل بما هو أشد.

الفصل الرابع: قول المجسمة أدعياء السلفية ومنقشتهم فيه ﴿لَا تَمَثِيلَ لَهُمْ شَيْءٌ مِمَّا يُشْبَهُهُمَا وَإِن يَدْعُوا إِلَىٰ سَبْحَانَةِ اللَّهِ فَإِنَّمَا يَدْعُونَ مُجَسِّمَاتٍ أَتَتْهُنَّ الْغَيَّةُ كَذَّبَتْ لَهُنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَاتَّخَذَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ سَبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ (٢) اهـ.

واعترضه على التأويل يجعل تفسير كلامه متجها إلى أنه يؤمن بالنصوص على حقيقتها اللغوية الحسية، وينسب هذا الرأي إلى أهل السنة، ولا مجال لأن نكون واهمين في فهمنا هذا عنه.

ويقول الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣): «قوله -يعني الإمام الطحاوي-: «بلا كَيْفِيَّةٍ» يعني بلا كيفية معقولة، وإلا فإنَّ كلام الله لاشك أن له كيف، ولكن كيف غير معقول» (٤) اهـ.

فهم يثبتون معاني هذه الألفاظ وما تدل عليه حقيقةً، على ما يقتضيه الحس كما سبق وأشرنا، ويفوضون الكيفية. خلافًا لطريقة السلف الذين ينفون الكيفية من الأصل، لأن الكيفية هيئة وصورة.

ويقول الدكتور محمد خليل الهراس: «وليس المراد من قوله: «من غير تكييف» أنهم ينفون الكيف مطلقاً؛ فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف؛ إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه» (٥) اهـ.

(١) يقصد بقوله من غير تكييف أنه لا يحدد الكيفية. ولا يقصد أنه ينفي الكيفية كما مر في كلام ابن تيمية السابق، ويتضح ذلك من قوله في آخر كلامه «ولكن كيفيتها لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى»، فهو يثبت أن لها كيفية، لكنه يفوض معرفتها إلى الله. ولا يعلم أن السلف ينفون الكيفية من الأصل، لأن الكيفية هي الهيئة والصورة، وذلك محال على الله تعالى، وسيأتي من كلام السلف ما يثبت ذلك إن شاء الله تعالى.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفرزاني (١٤٢/٢).

(٣) لقب آل الشيخ يطلق على أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي وذريته، ويلقبونه بشيخ الإسلام والشيخ المجدد، وهو مجدد بدعة الحشو والتجسيم في أرض نجد والحرمين والجزيرة العربية، وعنه تفرعت بدعة التجسيم والتكفير والتفسيق إلى بقية بلاد المسلمين، وله فوق ذلك طامات وبلايا في الفقه والاعتقاد. وقد رد عليه العلماء بما لا يدع مجالاً لمتشكك في أمره، ومن رد عليه أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، وقد سبقت الإشارة إليه في التمهيد من هذا الكتاب.

(٤) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (٤/٨).

(٥) شرح الواسطية للهراس: (٣٨/١)، معتقد أهل السنة والجماعة لمحمد بن خليفة التميمي: (٦٤/١).

قلت: وإثبات كيفية ما لشيء من الأشياء، تجسيم لا يقبل النزاع، لأنه تصوير له، وهيئة لا تخلو من حجم وحيز، وقد سبق توضيح ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب.

- ثم إنهم يسمون التأويل تعطيلًا وتحريفًا وإلحادًا وابتداعًا، لكي ينفروا الناس عن الاستماع لأهل السنة من علماء السلف الصالح وعلماء الخلف من الأشاعرة والمترجمين خوفاً من انكشاف تلييسهم على الناس.

يقول صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: «ومن الإلحاد - يريد في أسماء الله - أيضاً و... بها عن الحق الثابت الذي يجب لله جل وعلا: أن تُؤوَّلَ وتُصَرَّفَ عن ظاهرها لمعانٍ لا يخبر أن تُصَرَّفَ إليها، فيكون ذلك من التأويل، ... فنؤمن بها ولا نصرّفها عن حقائقها بتأويل بمجاز، ... كل هذا نوع من أنواع الإلحاد»<sup>(١)</sup> اهـ.

أي أن الشيخ يسمي التأويل والمجاز المستخدم في لسان العرب هنا إلحاداً! ولنتظر ماذا قال العلماء من السلف، ولا سيما من الصحابة الكرام، ولا سيما حبرنا وترجمان القرآن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنها وأرضاها.

قال الإمام القرطبي: «قال تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] قال ابن عباس رضي الله عنه: الوجه عبارة عنه. وقال القرطبي أيضاً: أي ويبقى الله، فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه. وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا، ابن فورك وأبو المعري وغيرهما»<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (٥٠٨).  
(٢) إمام الحرمين. قال الذهبي في السير (١٨/٤٦٨): الإمام الكبير شيخ الشافعية، عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني، صاحب التصانيف. ولد ٤١٩ هـ. قال أبو سعد السمعاني: كان أبو المعري من الأئمة على الإطلاق مجعاً على إمامته شرقاً وغرباً لمرتر العيون مثله. تفقه على والده، وأحكم الأصول عن أبي القاسم الإسفراييني الإسكافي. صحب الوزير أبا نصر الكندري مدة يطوف معه ويلتقي في حضرة كبار العلماء وينظرهم، فتحنك بهم وتهذب وشاع ذكره، ثم حج وجاور أربع سنين يدرس ويفتي ويخبر طرق المذهب إلى أن رجع إلى بلده، فدرّس بنظامية نيسابور واستقام الأمر، وبقي على ذلك ثلاثين سنة من مزاحم ولا مدافع، مسلماً له المحراب والمنبر والخطبة والتدريس، ومجلس الوعظ يوم الجمعة، وضمير تصانيفه، وحضر درسه الأكابر والجمع العظيم من الطلبة، وتفقه به أئمة. توفي سنة ٤٧٨ هـ. وانظر ترجمه في بقية كتب التراجم والطبقات.

(٣) تفسير القرطبي: (١٧/١٦٥).

فهذا تأويل صريح من حبر الأمة وترجمان القرآن وابن عم رسول الله ﷺ وصاحبه، يرافقه عليه ويذكره على سبيل الاستشهاد به واحد من أكابر علماء التفسير.

- ولا يختلف موقفهم من التأويل والتشيع عليه ورفضه رفضاً شديداً عن موقفهم من التفويض، بل يسمون التفويض تجهيلاً في كثير من مصنفاتهم.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز: «ليس الأسلم تفويض الأمر في الصفات إلى علام غيوب؛ لأنه سبحانه بيّن لها لعباده، وأَوْضَحَهَا في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ، يربّيها كيفيتها. فالواجب تفويض علم الكيفية لا علم المعاني. وليس التفويض مذهب سلف، بل هو مذهب مبتدع مخالف لما كان عليه السلف الصالح»<sup>(١)</sup> اهـ.

فالشّخ يدعي أن التفويض مذهبٌ بدعيٌّ، وأنه ليس مذهب السلف، وأن الواجب تفويض الكيفية لا تفويض المعنى. فهل يقول السلف فعلاً بما قاله الشيخ ابن باز؟ أم أنه تسرع في حكمه وأخطأ في رأيه؟

قال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: «والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عينة ووكيعة وغيرهم: أنهم رَوَوْا هذه لأشياء ثم قالوا: تُرَوَى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف. وهذا الذي اختاره أهل حديث: أن تُرَوَى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تُفسَّر ولا تُتَوَهَّم ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقوله: «يؤمن بها» إثباتٌ للإيمان بما ورد في النصوص الصحيحة في القرآن والسنة، به يفارقون أصحاب التعطيل. وقوله: «ولا تفسر ولا تتوهّم» تفويضٌ لله تعالى في معانيها، لأن التفسير في لغة العرب هو ذكر المعنى، والتوهّم هو تخيل معنى من المعاني التي لا تليق به تعالى. وقوله: «ولا يقال كيف» نفي للكيفية من الأساس، لأن الله تعالى لا يُسأل عنه بكيف،

(١) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن باز: (٣/ ٥٥).

(٢) سنن الترمذي: (٤/ ٤٩٢).

والكيف هو الصورة، والصورة لا تكون إلا على جسم، وبنفي الكيفية يفارقون أصحاب التشبيه<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن عثيمين في شرح حديث النزول: «المراد بالنزول هنا نزول الله نفسه، ونحتاج أن نقول بذاته. ما دام الفعل أضيف إليه فهو له. لكن بعض العلماء قالوا: ينزل بذاته. لأنهم لجئوا إلى ذلك واضطروا إليه، لأن هناك من حرّفوا الحديث وقالوا بل الذي ينزل رحمة الله، وقال آخرون: بل الذي ينزل ملك من ملائكة الله، وهذا باطل»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ويقول أيضا في الكلام على نفس الحديث: «ومعنى النزول عند أهل السنة: أنه ينزل بنفسه سبحانه نزولا يليق بجلاله، ولا يعلم كيفيته إلا هو. ومعناه عند أهل التأويل: نزول أمره، ونرد عليهم بما يأتي:

١- أنه خلاف ظاهر النص وإجماع السلف،..... إلخ كلامه»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وقد يتوهم القارئ من وصف الشيخ للنزول بأنه «نزول يليق بجلاله» أنه لا يلزم التشبيه والتجسيم. لكن المتأمل مجده قال: «ينزل بنفسه نزولا يليق بجلاله».

فقوله: «بنفسه» لا يخرج من دائرة التشبيه؛ لأن الذي ينزل بنفسه أو بذاته نزولا حقيقيا هو الجسم الذي له حجم وحيز، يكون في علو ثم يهبط منه. مما يجعل جملة «ينزل بجلاله» بعد ما قاله عن نزول النفس مجرد كلام ينافي واقع الحال ولا يتناسب مع المقدم. وبالتالي يصبح لا قيمة له. هذا التنبيه أردت به دفع ما قد يخاطر به القارئ لكلامه من أنه ينسب إلى الله تعالى ما ينسبه على وجه يليق به.

وحتى نزيد الأمر اتضاحا وثبت أن القوم مجسمة وإن تستروا بقولهم «يليق بجلاله». فالشيخ هنا يشرح الواسطية التي ألفها الشيخ ابن تيمية على المذهب الذي يدعون أنه مذهب السلف وأهل السنة.

(١) أهل السنة الأشاعرة، حمد السنان وفوزي العنجري: (١٤٨).

(٢) شرح الواسطية للعثيمين، (٢/١٣-١٥).

(٣) مذكرة على الواسطية للعثيمين: (٤٣).



واحتفاؤهم بهذا الكتاب وكل ما كتبه ابن تيمية في العقيدة، وتبنيهم لآرائه واعتبارها في آراء السلف مشهور لا يحتاج إلى دليل.

وقد قال هذا القول في النزول ليوهم القارئ أن النزول في عقيدته ليس هو النزول معروف الذي يشبه نزول الأجسام. لكن الشيخ محمد خليل الهراس - وهو من أئمة أتباع ابن تيمية في عصرنا الحديث - يصرح بمعنى النزول عند ابن تيمية والذي أخذه عنه أتباعه بعده وزعموا أنه النزول الذي قال به السلف.

يقول الدكتور محمد خليل هراس: «ابن تيمية ينكر أن يكون في القرآن والسنة لفظ - ليس فيه معنى النزول المعروف، لأنه جاء بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولا إلا هذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها، واستعمالا للفظ المعروف له معنى في معنى آخر، وهذا لا يجوز»<sup>(١)</sup> اهـ.

ومما ينبغي معرفته أن الهراس شهد بهذا الكلام في كتاب له سماه «ابن تيمية السلفي»، في أنه يقول بأن كلام ابن تيمية هنا هو كلام السلف.

إذن، فهذا معناه أن الهراس يشهد على ابن تيمية أنه يقصد من هذه الألفاظ معناها معروف، وليس فقط النزول، كما يفيد آخر كلامه في هذه الفقرة: «ولو أريد غير هذا المعنى كان خطابا بغير لغتها، واستعمالا للفظ المعروف له معنى في معنى آخر، وهذا لا يجوز». ثم يسب كلام ابن تيمية هذا وفهمه للنصوص إلى السلف الصالحين من الصحابة والتابعين.

ويتضح من هذا أن من يقول ما قاله ابن تيمية، ثم يقول بعده كلمات من باب [على وجه اللائق، أو ليس كمثلته شيء]، فهو لا يريد بذلك إلا الهروب من اللوم والتخلص في علانية وعند العامة من التجسيم الذي يضمه في نفسه. ورغم ذلك لا ينفعه قول هذه كلمات بعد أن تبين أنه يريد بها الحقيقة التي عرفها كما قال الهراس، لا الوجه اللائق به في لا نعرفه.

- وأما عن مخالفة تفسير نزوله تعالى بأنه ينزل أمره أو ملك من ملائكته للظاهر حد الذي يدل عليه اللفظ: فَنَعَمْ، ولا تُقَرُّ أبداً أن الله تعالى يشبه الأجسام، فينحدر من أعلى أسفل، ويحل في مكان ليخلو منه مكان آخر. لأن هذا هو المعنى الحقيقي الحسي النزول، ولا حقيقة غيره للنزول عند العرب.

وأما ادعاء الشيخ على التأويل وتفسير لفظ «ينزل ربنا» بنزول الأمر أو نزول - بأنه مخالف لإجماع السلف الصالحين. فهذا هو قول الإمام أحمد نفسه يخالف كلام العيب. ويؤول النزول بأنه ملك ينزل بأمر الله تعالى، فيجمع في كلامه المعنيين اللذين اعترض عيب الشيخ، وادعى أنها خلاف كلام السلف الصالح.

قال الإمام أحمد: «وهذا النزول المراد به والله أعلم: فَعَلَّ سَمَاءَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ نَزُولًا، بلا انتقال ولا زوال. أو أراد به نزول ملك من ملائكته بأمره»<sup>(١)</sup> اهـ.

فَمَنْ الْأَوَّلَى بالتصديق عندما يتكلم عن السلف؟ هل نصدق الإمام أحمد ويزي الترمذي وأمثالهما رحمهما الله وهما من السلف، وقد نقلنا عنهما ما يخالف عقائد المجـ وأقوالهم؟ أم نصدق الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين وغيرهما ممن يعيشون معنا، وبين السلف خمسة عشر قرناً من الزمان!!

## تشويه صورة أهل السنة الأشاعرة والماتريدية والطنع فيهم بالباطل:

- ولم يقف الأمر عند التهويش بوصف الأشاعرة بأنهم ملحدون ومجـ ومعطلون. بل تجاوز ذلك إلى الشتم بألفاظ لا تصدر عن إنسان سويٍّ من عامة اند. فضلاً عن أن يكون عالماً وقدوة يحتذي العوام أفعاله.

قال الشيخ ابن تيمية: «كما يقال الأشعرية مخانيث المعتزلة، والمعتزلة مخيـ الفلاسفة!! ... ثم قال بعد ذلك في كلام لاحق: وإنما اعتقادهم أن القرآن غيرٌ موجـ لفظته الجهمية الذكور بمرة، والأشعرية الإناث بعشر مرات!!»<sup>(٢)</sup> اهـ.

(١) شعب الإيمان للبيهقي: (٣/٣٨٠).

(٢) بيان تلبس الجهمية لابن تيمية، (١/٢٧٢) و(٢/٤٠١)، وانظر كذلك مجموع الفتاوى: (٦/٦٠٠) و(١٦/٣٠٩)، وانظر الفتاوى الكبرى: (٦/٦٤٨)، وإقامة الدليل على إبطال التحليل: (٥/٣١١).

فهل التلُّفُظُ بمثل هذا مما يليق بعالم من علماء المسلمين؟ فضلا عن التهمة الكاذبة تدعرة أنهم ينكرون وجود القرآن. وقد سبق أن أفصنا في الكلام عن تشنيعهم وتجريحهم من السنة الأشاعرة والماتريدية بالباطل، في مبحث التجسيم في الفكر الإسلامي.

- وليس أدل على التلبيس المتعمد من أنهم يكذبون عمدا ويدعون زورا وبهتانا على - السنة من الأشاعرة والماتريدية، ليصرفوا الناس عنهم، فينسبون إليهم أقوال ومذاهب البدع. ويتج عن ذلك أن القارئ الذي لم يطلع على كتب أهل السنة الأشاعرة - تريدية يُصدِّق ذلك، لثقتة في أدعياء السلفية وإحسان ظنه بهم.

يقول عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «إِذَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ جَحَدُوا اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِمْ، وَهُوَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى كِبَالِهِ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، فَجَحَدُوا مَعْنَى هَذَا الْأِسْمِ حِزْبَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ يَكُونُ كَذَلِكَ. فَإِنْ جَهِمَ بِنِ صَفْوَانَ وَمَنْ تَبِعَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَا تَدُلُّ عَلَى سُنَّةٍ قَائِمَةٍ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَتَبِعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ طَوَائِفٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ وَغَيْرِهِمْ. فَلِذَلِكَ - يَهُمُ كَثِيرُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

ولقد تقلد كُفْرَهُمْ خمسون في عشرٍ من العلماء في البلدان

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه رسولُه من صفات كِبَالِهِ ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصلوه من أنفسهم. فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام، فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسماً، هذا منشأ ضلال عقولهم»<sup>(١)</sup> اهـ.

فالرجل لم يتورع عن أن يضع الأشاعرة الذين يُثبتون لله صفات قائمة به تعالى، مع حنمية والمعتزلة الذين ينكرون اتصافه تعالى بصفات أصلاً. مع أن الفرق بين مذهب حنمية والمعتزلة نفاة الصفات وبين مذهب الأشاعرة مثبتة الصفات يعرفه أصغر طالب سم في الأزهر أو الزيتونة أو مدارس الشام أو حتى في كتاتيب موريتانيا!

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: (٤٠٢).



فأما أن تكون على مذهب الشيخ فتثبت لله تعالى ما تتصف به الأجسام، ثم تُدَقِّصُ  
 سبك وتقول لا كالأجسام، وإما أن تكون في نظر الشيخ وطائفته ملحدا محرفا للقرآن!

ثم يقول: «والواجب في نصوص الأسماء والصفات: إجراؤها على ظاهرها، وإثبات  
 حقيقتها لله على الوجه اللائق به، وذلك لوجهين:

- أن صرفها عن ظاهرها مخالف لطريقة النبي ﷺ وأصحابه.

- أن صرفها إلى المجاز قول على الله بلا علم وهو حرام»<sup>(١)</sup> اهـ.

فلكي يصرف الشيخ انتباه القارئ، قال أن هذه طريقة النبي ﷺ وأصحابه. ثم ادعى  
 - استعمال المجاز في هذه النصوص قولاً على الله بغير علم، وهذا ادعاء سنثبت خطأه بعد  
 سير، ثم في مبحث تأويل السلف:

كما أن قوله: «على الوجه اللائق به» جملة لا معنى لها بعد إجراء النصوص على  
 - حرها، فظاهرها هو ما يفيد اللفظ حساً.

- وبعد كلام الشيخ عن التحريف وتعريفه وجعله التأويل نوعاً من التحريف.  
 سيندجأ القارئ عندما يرى الشيخ نفسه يقوم بها هو أشد من التحريف الذي يشنع عليه.  
 - يزي أعناق النصوص لإثبات المشابهة بين الخالق والمخلوق!

يقول ابن عثيمين: «ونؤمن بأن الله تعالى عينين اثنتين حقيقتين، لقوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ  
 لَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقال النبي ﷺ: «حِجَابُ النُّورِ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ  
 سِحَاتٌ وَجْهَهُ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup> اهـ.

قلت: الآية هنا صريحة في ذكر العين بصيغة الجمع لا بصيغة التثنية، والادعاء بأن  
 معنى الأعين هنا عينان اثنتان يستلزم دليلاً صريحاً، وإلا فإن التصرف في الألفاظ بغير دليل

١- لمرجع السابق: (٨).

٢- مسلم: (٤٦٣)، وغيره.

٣- عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين: (٨).

٢٢٢ وليس للشيخ دليل على هذا التحريف المقصود.  
 هو عين التحريف الواضح الصريح الذي يرفض الشيخ ما هو أقل منه ويزري على من  
 رماهم به، وليس للشيخ دليل على هذا التحريف المقصود.

وأما الحديث فذكر فيه بصره تعالى، ولا ذكر فيه للعين بثنية ولا جمع ولا أفراد، فكيف  
 استدل الشيخ من الحديث أن له تعالى عينين اثنتين حقيقيتين؟!!

هذا الاستدلال البعيد الغريب لا يتُّج إلا من تشبيهه الله تعالى بخلقه، وهذا واضح  
 تماما في كلام الشيخ، لأنه رَكِبَ مِنَ النَّصِيِّنَ صِفَةً وَاحِدَةً سَاهَا الْعَيْنِينَ الْاِثْنَتَيْنِ، فهو قد جعل  
بَصَرَ اللَّهِ تَعَالَى مَرْتَبَطًا بِوُجُودِ آلَةِ الْإِبْصَارِ وَهِيَ الْعَيْنِينَ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْإِنْسَانِ، مع أن  
 تعالى متصف بالبصر الذي لا يشبه بصر الخلق. ومن صفات البصر في المخلوقات الاحتمالية  
 إلى آلة تبصر بها، هي العينين.

يقول الشيخ وهبي غاوجي الألباني: «لَر تَرْدُ صِيغَةً تَشْبِيهُ الْعَيْنِ صِفَةً لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْقَرِيبِ  
 الْكَرِيمِ وَلَا فِي السَّنَةِ الشَّرِيفَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّهُ لَا يُثَبَّتُ لِلَّهِ تَعَالَى صِفَةٌ إِلَّا مِنْ خِلَالِ آيَةِ صَرِيحَةٍ  
 أَوْ جَدِيثٍ صَحِيحٍ أَوْ إِجْمَاعٍ، وَأَتَى ذَلِكَ، ... ثُمَّ قَالَ: وَقَوْلُ الشَّيْخِ صَالِحٍ - يَعْنِي -  
 عَثِيمِينَ-: «عَيْنِينَ حَقِيقَتَيْنِ» قَوْلٌ مَا جَاءَ بِهِ كِتَابٌ وَلَا سَنَةٌ، وَفِيهِ إِيْهَامٌ بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ  
 تَعَالَى اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ عَنِ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup> اهـ

قلت: ولو فتش الباحث بالمنقاش في صحيح السنة عن ورود العين المضافة إليه تع  
 بلفظ التثنية فلن يجد ذلك.

ثم يكمل الشيخ ابن عثيمين كلامه ويستمر في التحريف، محاولا أن يلوي عنق  
 البعيد تماما عن إثبات العين أو الأعين لله تعالى.

يقول: «وَأَجْمَعَ أَهْلُ السَّنَةِ عَلَى أَنَّ الْعَيْنِينَ اثْنَتَانِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي نَهْجِهِ -  
 «إِنَّهُ أَعُورٌ وَإِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعُورٍ»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) حاشية إيضاح الدليل في قطع شبه أهل التعطيل لبدر الدين ابن جماعة، بتحقيق وهبي غوجي - - .  
 (٧٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين: (٨).

قلت: تعمد الشيخ التحريف من وجهين:

أولهما: ادّعاء إجماع أهل السنة على أن العينين اثنتان! فمن أين له هذا الإجماع؟ وكيف توصل هو إليه ولم يتوصل إليه واحد ممن نقلوا لنا كل شيء عن السلف من أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم، ولو وجدوا سبيلاً إلى نقل نواياهم ومعرفة خبايا صدورهم ما تأخروا عن ذلك حظة!

ثانيهما: أن الحديث الذي ساقه ليستدل به لا يصلح دليلاً على ما يدعيه، فالحديث يصف الدجال للناس حتى لا ينطلي كلامه على من يدرك زمانه، فيعلم السامع أن الأعور نذري يدعي الألوهية هو الدجال وليس رب العالمين. كما أن الحديث فيه تنزيه للمولى سبحانه من النقص الذي يلحق الخلاق، فأين إثبات العينين الاثنتين في هذا الحديث؟!

يقول القاضي أبو بكر بن العربي<sup>(١)</sup>: «هذه الإشارة في النفي لا في الإثبات، وفي تقديس لا في التشبيه»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ومعنى كلام القاضي: أن قوله ﷺ: «ليس بأعور» مقصودٌ به نفي العور الذي هو نقصٌ عنه سبحانه وتعالى، لا إثبات أن له عينين. ويُفهم منه تنزيه الله جل وعز عن هذه النقيسة، ولا يقصد منه أبداً تشبيه المولى بخلقه السالمين من العور!

لكن الشيخ رحمه الله لكونه يعتقد التشابه بين الله تعالى وبين آدميين في بعض الأمور، قس الخالق على الآدمي. ولأن الآدمي طالما كان بريئاً من العور فلا بد أن يكون له عينان، كذلك الله سبحانه وتعالى عند الشيخ لا بد أن يكون ذا عينين طالما أنه ليس موصوفاً بالعور!

قال الشيخ وهبي غاوجي الألباني: «وقال ابن بطلال: اِحْتَجَّتْ المجسمة بهذا الحديث،

(١) قال ابن بشكوال في الصلة (١/١٢٩): الإمام العالم الحافظ المستبحر. من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، متقدماً في المعارف كلها، متكليماً في أنواعها، نافذاً في جميعها، حريصاً على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، اهـ. وقال الذهبي في السير (٢٠٣/٢٠): كان القاضي أبو بكر ممن يقال: إنه بلغ رتبة الاجتهاد، اهـ. توفي سنة ٥٤٣هـ.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: (٤/١٦٩).

وقالوا: في قوله «وأشار بيده إلى عينه» دلالة على أن عينه كسائر الأعين، وتُعقَّبَ باستحـ. الجسمية عليه، لأن الجسم حادث وهو قديم، فدلَّ على أن المراد نفي النقص عنه<sup>(١)</sup> اهـ.

والعجب كل العجب عندما يصدر من الشيخ ابن تيمية - وهو الذي ينتسبون - ويريدون حمل جميع المسلمين على مذهبه وكلامه -، العجب عندما يصدر منه ما يُكذَّب ادء ابن عثيمين أن الله تعالى عينين يبصر بهما، وتكذيبُ أنه مذهب السلف!

يقول ابن تيمية في جواب النصارى: «ولا يُعرف عالم مشهور من علماء المسلمين - طائفة مشهورة من طوائفهم يطلقون العبارة التي حكوها عن المسلمين. حيث قالوا عنهم إنهم يقولون إن الله عينين يبصر بهما، ويدين يبسطهما، وساقاً، ووجهاً يوليه إلى كل مكان - وجنباً!! ولكن هؤلاء ركَّبوا من ألفاظ القرآن بسوء تصرفهم وفهمهم تركيباً زعموا - المسلمين يطلقونه، وليس في القرآن ما يدل ظاهره على ما ذكروه!!»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ولعل ابن تيمية رحمه الله سطر هذا الكلام قبل أن يندفع في نصرة مذهب الحشوية ويكتب مصنفاته المعروفة بنصرة المذهب الذي رد عليه في الفقرة السابقة، والله تعالى أعلم.

## دعوى إجماع السلف على مذهبهم:

- ويُلاحظ أنهم يُكثرون من قولهم: «هذا ما أجمع عليه السلف» كما فعل ابن عثيمين في الكلام الذي نقلناه منذ قليل. وعندما تبحث في أقوال السلف تجد الكثيرين من عندهم السلف يخالفون الكلام الذي يذكره هؤلاء، ويُؤوَّل بعضهم النصوص الموهمة للتشبيه بفوض معانيها، وقد نقلنا مثالين على ذلك. فلا ندري كيف يسوغ للقوم هذا الادعاء، ثم تبديع الناس من خلال ادعائهم!

ونعيد ما ذكره الإمام القرطبي: «قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، قال ابن عباس رضي الله عنه: الوجه عبارة عنه. وقال القرطبي أيضاً: أي ويبقى الله.

(١) حاشية إيضاح الدليل في قطع شبه أهل التعطيل لبدر الدين ابن جماعة، بتحقيق وهبي غاوجي الألباني (٧٧).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية: (٤/٤١٢).



نصف الرابع: قول المجسمة أديء السلفية ومدقشتهم فيه فإن أبو المعالي وغيرهم <sup>(١)</sup> اهـ. فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه. وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا، ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم <sup>(١)</sup> اهـ.

فإن لم يكن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من السلف الذين يدعي الشيخ إجماعهم على ما يقول، فَمَنْ هؤُلاءِ السلف الذين يحكي عنهم الشيخ وفرقته؟! والذي ذهب إليه الأشاعرة والماتريدية في هذه النصوص هو عين ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وله تأويلات أخرى سننقلها في مبحث تأويل السلف إن شاء الله تعالى، حتى يتبين الحق لمن أراد.

فإن جاز اتهام الأشاعرة والماتريدية بالتعطيل والابتداع والتحريف والإلحاد، جاز ذلك على ابن عباس، وحاشاه أن يقول في الله تعالى ما ليس له به علم، وهو الذي دعا له سيد الخلق ﷺ بالفقه في الدين وعلم التأويل.

وكذلك يدعي الشيخ ابن باز إجماع السلف على رفض التفويض وتبديع من يفوض، فيقول: «وقد أنكر الإمام أحمد رحمه الله وغيره من أئمة السلف على أهل التفويض ويَدْعُوهُمْ» <sup>(٢)</sup> اهـ.

وكلام الشيخ صريح لا يحتمل التأويل في الكلام على لسان الإمام أحمد وأئمة السلف، ليوهم القارئ أن تبديع من يفوض معنى النصوص إلى الله هو مذهب أحمد والسلف، مع أن الحق غير ذلك.

وقد نقلنا ما ذكره الإمام الترمذي في السنن عن قول السلف، وأنهم يفوضون معنى هذه النصوص الموهمة للتشبيه إلى الله جل وعلا <sup>(٣)</sup>. ولا بأس أن نضيف نصاً آخر للإمام أحمد يثبت خطأ الشيخ ابن باز وتسرعه في العزو إلى السلف وإلى الإمام أحمد.

قال الإمام أحمد: «واعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر، والرؤية حق لأهل الجنة من

(١) تفسير القرطبي: (١٧/١٦٥).

(٢) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن باز: (٣/٥٥).

(٣) راجع علامة رقم (٤٣١) من هذا الكتاب.

الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أديباء السنة غير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وتفسيره على ما أراد الله تعالى وَعَلِمَهُ، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فهو كما قال، ومعناه على ما أراد الله<sup>(١)</sup> اهـ.

فهاهو الإمام أحمد رحمه الله تعالى يفوض علم معاني تلك النصوص إلى الله تعالى في قوله: «وتفسيره على ما أراد الله تعالى وَعَلِمَهُ»... «ومعناه على ما أراد الله».

بل وينفي عنها الكيف من الأصل، في قوله: «من غير إحاطة ولا كيفية». فلم يُثبِت الكيفية ثم يفوضها، كما يزعم من يدعون أنهم يتبعون الإمام أحمد بن حنبل ومن ورثه السلف.

لأنه لو كان يقول مثلهم بأن لذات الله تعالى وصفاته كفيات لا نعلمها، للزم أن هذه الكيفيات ستظهر عند الرؤية. لكن الإمام رحمه الله تعالى أنكر وجود كيفية أصلاً، فضلاً عن تكون مجهولة.

ثم يعود الشيخ ابن باز ليناقض نفسه، فيقول في نفس الكتاب: «وقال الحافظ بن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه «فضل علم السلف على علم الخلف»: والصواب ما عيب السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت، من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل، ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك البتة، خصوصاً الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> اهـ.

أوليس قول ابن رجب: «من غير تفسير لها» هو تفويض للمعنى؟ وأليس التفسير هو ذكر المعنى؟ فلماذا لم يفسره إلا لأنهم يفوضون علمه إلى الله تعالى؟ ولماذا لم يُنقل عنهم إثبات المعنى الحقيقي الظاهر من اللفظ وتفويض الكيفية؟!

## تسمية التأويل بغير اسمه فرارا من الإقرار بجواز العمل به:

- والعجب أنك تجدهم عندما يضطر أحدهم للتأويل - أو غير التأويل مما يحرمونه

(١) الورع للإمام أحمد بن حنبل: (١٩٩).

(٢) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن باز: (٧١/٣).

الفصل الرابع: قول المجسنة أديب السلفية ومنقستهم فيه **﴿وَيَدْعُونَ فُحْشَهُ وَخَطَأَهُ﴾**، تجدهم ينقلبون انقلابا كاملا، ويسمون به بأي اسم آخر!

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جوابا على تفسير السلف لقوله تعالى: **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾** [الحديد: ٤] أنه «معهم بعلمه»: «ولهذا؛ شيخ الإسلام في عقيدته الأخرى المباركة المختصرة؛ يبيّن أن قوله تعالى: **﴿مَعَكُمْ﴾** حَقٌّ على حقيقته. فمن فسرها من السلف بالمتَّضَى، فلحاجة دعت إلى ذلك، وهو الرد على أهل الحلول الجهمية الذين ينكرون العلو كما تقدم. والقرآن يفسّر بالمطابقة وبالمفهوم وبلاستلزام والمقتضى وغير ذلك من الدلالات، وهؤلاء العلماء الذين رُوِيَ عنهم التفسير بالمقتضى لا ينكرون المَعِيَّةَ، بل عندهم كالشمس»<sup>(١)</sup> اهـ.

قلت: المقتضى هنا هو تفسير السلف للمعية بأنها معية علم وإحاطة، وليست معية ذات ومصاحبة واختلاط، اقتضت هذا التفسير ضرورة تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه في المعية الجسمانية. وهذا التأويل لضرورة التنزيه، الذي يسميه الشيخ هنا -حاجة دعت إلى ذلك-، هو أحد قَوْلِي الأشاعرة في المسألة. فلماذا الصراخ والتشغيب إذن؟!

وكذلك فعل الشيخ ابن باز، عندما نقل الشيخ محمد علي الصابوني ما ثبت أن السلف يؤولون النصوص الموهمة للتشبيه عند الضرورة .

قال ابن باز تحت عنوان «لا يجوز أن يُنسب تأويل الصفات إلى السلف بحال من الأحوال»: «ولا يجوز أن يُنسب التأويل إلى أهل السنة مطلقا، بل هو خلاف مذهبهم، وإنما يُنسب التأويل للأشاعرة وسائر أهل البدع الذين تأولوا النصوص على غير تأويلها. أما الأمثلة التي مثل بها الأخ الصابوني للتأويل عند أهل السنة، فلا حجة له فيها. ليس كلامهم فيها من باب التأويل، بل هو من باب إيضاح المعنى، وإزالة اللبس عن الناس في معناها! وهناك الجواب عنها:

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تقريرا على الحموية لابن تيمية: (١/٢١٢-٢١٣). وانظر شرح الواسطية لصالِح بن عبد العزيز آل الشيخ: (١/٤٧٧).



فصل الرابع: قول المجسمة أديء السلفية ومدقشتهم فيه ﴿...﴾  
 وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى عن تناقض موقفهم من التأويل وتغيره بشكل يثير العجب، وما ذلك إلا لكون قواعدهم التي بنوا عليها مذهبهم متهافة غير مطردة.

ومن خلال ما سبق عرفنا أن التأويل إن كان لضرورة - كنسبة النقص إليه تعالى - فلا بأس فيه، بل هو واجب في هذه الحالة. وعلى ذلك فحول علماء الأمة من السلف والخلف، على عكس ادعاء المجسمة.

### التأويل عند أهل السنة الأشاعرة والماتريدية للضرورة فقط:

قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام: «وليس الكلام في هذا -يعني التأويل- بدعة قبيحة، وإنما الكلام فيه بدعة حسنة واجبة لما ظهرت الشبهة. وإنما سكت السلف عن الكلام فيه إذ لم يكن في عصرهم من يحمل كلام الله وكلام رسوله على ما لا يجوز حمله عليه، ولو ظهرت في عصرهم شبهة لكذبهم وأنكروا عليهم غاية الإنكار، فقد رد الصحابة والسلف على القدرية لما أظهروا بدعتهم، ولم يكونوا قبل ظهورهم يتكلمون في ذلك»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الإمام النووي: «فإن دعت الحاجة إلى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حينئذ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في هذا»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وقد نقلنا عن البيجوري قوله: «والحاصل: أنه إذا ورد في القرآن أو السنة ما يُشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا المجسمة والمشبهة على تأويل ذلك، لوجوب تنزيهه تعالى عما دلَّ عليه ما ذُكر، بحسب ظاهره»<sup>(٣)</sup> اهـ.

فوجود ما يُشعر بإثبات الجسمية والجهة والنسيان والجوارح وغيرها من صفات الحدوث، هو الضرورة التي تدعو أهل السنة للتأويل، والذي سماه محمد بن إبراهيم آل الشيخ تفسيراً بالمتضمن وأباحه إن دعت له الحاجة للرد على المبتدعة، والذي سماه ابن باز

(١) فتاوى العز بن عبد السلام: (٢٢)، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لبدر الدين بن جماعة: (٢٤).

(٢) المجموع شرح المذهب للنووي (١/٢٥).

(٣) تحفة المريد على جوهره التوحيد للبيجوري: (٥٦-٥٧).

إيضاح المعنى وإزالة اللبس، هروباً منها من تسميته باسمه المصطلح عليه بين أهل العم وهو (التأويل) الذي يشنعون عليه. وإذا لم يكن تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه ضرورة، فأي ضرورة بعدها تلجئ أهل الحق إلى التأويل؟

وأعجب من تناقضهم في رفض التأويل تارة والعمل به تارة أخرى، هو دفع للأخبار الواردة عن السلف في التأويل أو التفويض، بدون حجة علمية مقبولة.

**دفع أدعياء السلفية للأثار المروية عن السلف بدون وجه معتبر إذا خالفت مذهبهم:**

أخرج الحافظ البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل: «أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أنه: جاء ثوابه. ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه»<sup>(١)</sup> اهـ.

يقول الدكتور صالح الفوزان تعليقاً على ذلك: «ما نسبه البيهقي إلى الإمام أحمد، ثبت عنه، ولم يوثقه من كتبه أو كتب أصحابه، وذكر البيهقي لذلك لا يعتمد؛ لأن البيهقي رحمه الله عنده شيء من تأويل الصفات، فلا يوثق بنقله في هذا الباب، لأنه ربما يتساهل في النقل»<sup>(٢)</sup>!

تأمل أن الحافظ البيهقي نقله بسند صحيح لا غبار عليه، فلا يحتاج مع هذا الإسناد إلى توثيقه من كتبه أو كتب أصحابه. ولم نسمع يوماً أن هذا التوثيق الكتابي الخطي شرط من شرائط صحة النقل المعتمدة عند المحدثين. خاصة وقد صحح السند المنقول به.

فهل كل ما ينطق به إمام من الأئمة - وخاصة المحدثين - ينبغي أن يكون مدون في كتاب من كتبه أو من كتب أصحابه؟ فمن المحتمل أن يكون قد سئل عن تفسير الآية في الحديث ولم يدون هذا التفسير في كتبه، ولا يمنع من ذلك شيء. بل هو مستفيض الشهرة في أحوال علماء السلف، وواقع مشاهد في حياة الشيوخ المعاصرين وإجاباتهم عن الأسئلة التي

(١) البداية والنهاية لابن كثير: (١٠ / ٣٦١)، ودفع شبه التشبيه لابن الجوزي بتحقيق حسن السقاف: (١٣).

(٢) تعقيبات على كتاب السلفية للبوطي: (٣٣).



وهذا الذي وقع فيه الفوزان لا يقع به طالب علم مبتدئ، أن يضرب بكلام الثقات عرض الحائط ويُعرض عن كل رأي لهم لمجرد مخالفتهم لمذهبه!

بل وهناك شيء آخر: وهو أن طريقته لا تصلح حجة علمية معتبرة لنقض من مخالفيه، لأنه يستطيع قلب الحجة عليه ويقول له: أنت لا يُعتد برأيك في المسألة، كـ عندني مجسما وتعتقد تشبيه الله تعالى بخلفه. وعليه، فلا يمكن الوثوق بكلامك، لأنك عندهم متابع الهوى في الحكم على الآثار المروية عن السلف.

ثُمَّ هَبَّ أَنَا قَبْلَنَا الطعن بالخطابي وابن حجر، لكن ما قوله بتأويل الإمام البخاري الضحك بالرحمة؟<sup>(١)</sup>.

وما قوله في ما نقله البخاري في «خلق أفعال العباد» عن سفيان الثوري أنه قال في عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] قال: علمه<sup>(٢)</sup>. وما قوله في اختيار البخاري صحيحه تأويل الوجه بالملك في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]: ملكه، ويقال: إلا ما أريد به وجه الله<sup>(٣)</sup>!!

## الاستشهاد بكلام أهل الكتاب في العقيدة إذا وافق مذهبهم!

وفي مقابل الرفض الغريب من الفوزان لنقل أمثال البيهقي والخطابي وابن حجر لتفويض السلف وتأويلهم، وغمز هذا النقل بأنه لا يصح لكونهم ممن يؤولون الصفات. تخ موقفاً آخر أشد منه غرابة للشيخ حمود التويجري يفتار ذؤو الألباب في فهمه، إذا أرادوا حم على إحسان النوايا وعدم الإصرار على الباطل.

فالفوزان يرفض نقل أولئك العلماء الفحول المشهود لهم بالعلم والديانة والصدق والفقه والفهم في الدين، أما التويجري فيقبل كلام أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

(١) نقله الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات: (٣٧٨).

(٢) ضمن مجموعة عقائد السلف: (١٢٢).

(٣) انظر فتح الباري: (٨/٥٠٥).



نخصل الرابع: قول المجسمة أديعاء أنسلفية ومناقشتهم فيه ﴿١﴾  
 :يصدقهم في حفظهم للنصوص التي تثبت صفات الباري سبحانه على وجه يصرح  
 بالتجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه، حيث خلق آدم على صورته وشبهه!

يقول حمود التويجري: «فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء  
 كتوراة، فإن في السفر الأول منها: «سنخلق بشرًا على صورتنا يشبهها»»<sup>(١)</sup>!

ثم يقول مبررا نقله عنهم: «فمن المعلوم أن هذه النسخ الموجودة اليوم بالتوراة  
 ونحوها قد كانت موجودة على عهد النبي ﷺ، فلو كان ما فيها من الصفات كذبًا وافتراء  
 ووصفًا لله بما يجب تنزيهه عنه كالشركاء والأولاد، لكان إنكار ذلك عليهم موجودًا في كلام  
 نبي أو الصحابة أو التابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك، وقد عابهم الله في القرآن بما هو  
 دون ذلك. فلو كان هذا عيبًا، لكان عيب الله لهم به أعظم ودمهم عليه أشد!»<sup>(٢)</sup> اهـ.

فالرجل يعلنها بكل صراحة: أن آدم عليه الصلاة والسلام يشبه رب العزة سبحانه  
 وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، وأن الله تبارك وتقدس خلق آدم على صورته التي تشبهه. ولم  
 يجد غضاضة في الاستعانة بنصوص أهل الكتاب ليثبت صحة عقيدته.

هذا مع أن الله ورسوله والصحابة والتابعين وتابعيهم من السلف وعلما المسلمين من  
 أهل السنة في التفسير والحديث والأصول والفقه واللغة، والعلماء من جميع الطوائف وكل  
 نفرق التي تنسب إلى الإسلام، السني منهم والمبتدع. مع أن جميع هؤلاء يطعنون في صحة  
 ما بيد اليهود والنصارى مما يزعمون أنه منزل من عند الله، إلا أن التويجري يراه صحيحا  
 يمكن التعويل عليه والاستشهاد به والركون إليه، في نقل ما يثبت أن آدم عليه الصلاة  
 والسلام يشبه رب العزة وأنه على صورته. فقط لأنه على نفس العقيدة!!

أما احتجاجه بقوله: «فلو كان ما فيها من الصفات كذبًا وافتراء ووصفًا لله بما يجب  
 تنزيهه عنه كالشركاء والأولاد، لكان إنكار ذلك عليهم موجودًا في كلام النبي أو الصحابة أو  
 تابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك. فلو كان هذا عيبًا، لكان عيب الله لهم به أعظم  
 ودمهم عليه أشد». فلا نجدعنا هذا القول.

(١) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، لحمود التويجري، ص: (٧٦).

(٢) نفس المصدر السابق.

الاتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعيه -  
لأنه ليس من الضروري أن يعقد القرآن الكريم أو السنة النبوية فصلا خاصا يستند -  
كل النصوص التي بأيدي اليهود والنصارى نصا نصا وكلمة كلمة. فالقرآن ليس كتيب -  
مؤلفه لغرض خاص هو الرد على ضلالات النصوص المحرفة سطرا سطرا وفترة -  
وتعقب كل لفظ فيها، بل يكفيه فقط الإشارة إلى أن التحريف قد وقع فيها بدون تمسك  
وتطويل في ذلك، وكذلك السنة النبوية الشريفة.

ولو كان كلام الشيخ التويجري صحيحا، فلماذا لم يذكر الله نصا خاصا يرُدّ فيه -  
على قول العهد القديم أن الله واثنين من ملائكته مرُّوا بإبراهيم عليه السلام ضيوف فضين  
وأطعمهم وهو يعلم أن الله سبحانه وتعالى بينهم؟<sup>(١)</sup>. وعلى قول العهد القديم كنت -  
يعقوب عليه السلام تعارك مع الله وضربه وأنه -تعالى عما يقولون علوا كبيرا- كان يتبر -  
إلى يعقوب أن يُقَلِّتَهُ من يده، فلم يتركه إلا بعد أن أخذ البركة منه غصبا وإجبارا؟<sup>(٢)</sup>.

وقس على هذا نصوصا بالغة الكثرة يظهر عليها التحريف وَوَصَّفُ الله تعالى وتب -  
بها لا يليق.

ولعل التويجري كان صادقا مع نفسه عندما صرح بمشابهة آدم للرحمن سبحانه -  
وتعالى، وكان أشجع من غيره في الإعلان عن معتقده، بينما غيره من شيوخ المجسدين  
المعاصرين -على رغم ما يظهرونه من التجسيم- إلا أنهم يخافون من الإفصاح عن دقائق  
وتفاصيل عقيدتهم والاعتراف بها يلزم عنها بذلك الوضوح.

ولكن المتأمل بإمعان في أحوالهم يجدهم إذا ظهر من هو أَلْحَنُ منهم بالحجة على خدي -  
مذهبهم، يسارعون في الحفاوة بما يقول ويسبغون عليه وعلى كلامه وحقته من الأوصاف -  
يظهر به هذا المكنون في صدورهم. وليس أدل على ذلك من مسارعة الشيخ ابن باز إلى تقييد  
هذا الكتاب، والشهادة له بالصحة والتعبير عن الاعتقاد السليم الصحيح الذي يمثل عقيدة  
السلف، مع أن ابن باز طيلة عمره لم يكتب في أحد مؤلفاته في العقيدة ولم يصرِّح بالرأي الذي  
شكر عليه التويجري وقرظ كتابه من أجله!

(١) سفر التكوين: إصحاح ١٨ - عدد (١-٨).

(٢) سفر التكوين: إصحاح ٣٢ - عدد (٢٣-٢٩).

قال ابن باز في كلام نأخذ منه مقتطفات: «اطلعتُ على الكتاب، فوجدته كتاباً قيماً عظيماً الفائدة، قد ذكر فيه الأحاديث الصحيحة الواردة في خلق آدم على صورة الرحمن، وفيما يتعلق بمجيء الرحمن يوم القيامة على صورته. وقد أجاد وأفاد وأوضح ما هو الحق في هذه المسألة، وهو أن الضمير في الحديث الصحيح في خلق آدم على صورته يعود إلى الله عز وجل، وهو موافق لما جاء في حديث ابن عمر: أن الله خلق آدم على صورة الرحمن. وقد صحَّحه<sup>(١)</sup> لإمام أحمد وإسحاق بن راهويه والآجري وشيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون من الأئمة رحمة الله عليهم جميعاً. وقد بين كثير من الأئمة خطأ الإمام ابن خزيمة رحمه الله في إنكار عود ضمير إلى الله سبحانه وتعالى»<sup>(٢)</sup> اهـ.

قلت: هل بعد هذا البيان شيء يشهد أن القوم مُسَبَّهَةٌ مَجَسَّمَةٌ بعيدون كل البعد عن عقيدة السلف الصالح ومنهجهم، وأنهم أقرب الناس فهماً واعتقاداً إلى الكرامة المجسمة! فابن باز يذكر أن الحق والصواب في الضمير الوارد في الحديث أنه يعود إلى الله سبحانه لا إلى آدم عليه السلام. ويحتج بتصحيح بعض العلماء للحديث. رغم أن الحكم على سند الصحة لا يعني أنهم صححوا فهمه لمثل النص! ولا أدري كيف بنى هذا على ذلك! كما لا ندري من أولئك الأئمة الكثيرون الذين وافقوه على هذا الرأي الذميمة، إلا أن يكونوا من أئمة التجسيم والفهم السقيم!

حتى أن ابن خزيمة رحمه الله تعالى - وهو يوافقهم في كثير من الأقوال - عارضهم وذكر أن الضمير يعود إلى آدم عليه السلام، وليس إلى رب العزة سبحانه، لما في ذلك القول من قبح التصريح بالتشبيه.

كما أن إرجاعهم الضمير إلى الله سبحانه ينقض قولهم بتفويض الكيفية وقولهم: «على وجه يليق به»، أو صورة ليست كصورنا، مثلما يقولون يد ليست كأيدنا ووجه ليس كوجهنا، وغير ذلك من العبارات التي يريدون بها الهروب من الإلزامات التي تلحق

(١) يعني صحح سند الحديث، لا فهم التوجيهي.

(٢) تقرظ ابن باز لكتاب «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن»، لحمود التوجيهي، ص: (د).





فأي علم وأي إيمان وأي سنة وأي قرآن يتكلم عنهم الشيخ غفر الله لنا وله!

## عجائب وغرائب!!

ولا شك أن الباحث المنصف بعد ذلك لن يثق في نقلهم ولا تركيتهم، ولا أخذ كتبهم وعلومهم أيضاً، بعد الذي نقلناه عنهم ونسخناه من كلامهم وكتبهم.

بل ولن يستغرب بعدها إذا قرأ في كتبهم عن عقيدة السلف وأهل السنة والصحابة والتابعين ما يَنسِبُ إلى رب العزة تعالى كل النقائص.

مثل قول ابن عثيمين وهو يجيب على سؤال، هل يجوز وصف الله بالملل كما

الحديث: «إن الله لا يمل حتى تملوا»؟: «من المعلوم أن القاعدة عند أهل السنة واجبة

نصف الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه، من غير تمثيل ولا تكييف. فإذا كان هذا

يدل على أن الله مللا، فإن ملل الله ليس كمثل مللنا نحن. بل هو ملل ليس فيه شيء

النقص»<sup>(١)</sup> أهـ.

فالشخص سماحه الله تعالى هنا يصف الله بنقص ليس فيه نقص، فهل هناك ملل

نقص؟ بل الملل نقص في الأصل. والموصوف بالملل هو الذي ينتظر على حالة يكره

يستطيع الخروج منها إلا بحدوث سبب خارج عن قدرته وإرادته يغير حالته إلى

أفضل، لأنه لو كان يستطيع الخروج منها بدون انتظار لسبب خارج عن إرادته وقدرته

قبل أن يتسرب إليه الملل. فهل رب العزة تعالى مقهور على حالة من الحالات ولا

فك نفسه منها؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

وعلى قاعدة الشيخ وفهمه يمكن لأي إنسان أن يثبت لله تعالى نسيانا ليس فيه نقص

وجوعا ليس فيه نقص، ومرضا ليس فيه نقص! لأن هذا كله جاء في النصوص.

ويقول العثيمين أيضا: «قوله: «يؤذيني ابن آدم»<sup>(٢)</sup>، أي: يُلحق بي الأذى!! فلاذية

(١) المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين - العقيدة: (٤٢).

(٢) البخاري (٤٥٤٩)، مسلم (٢٢٤٦).

الفصل الرابع: قول المجسمة أديء السلفية ومناقشتهم فيه ﴿٢٣٩﴾  
 ثابتة ويجب علينا إثباتها!؛ لأن الله أثبتها لنفسه، فلنسا أعلم من الله بالله، ولكنها ليست كأذية  
 المخلوق»<sup>(١)</sup> اهـ.

ولا يغير استخدامه الأسلوب الخطابي شيئاً في كون كلامه ثبت أن الله تعالى يمكن أن  
 يؤدّى، فينسب لله نقصاً واضحاً، فالأذى في اللغة هو الضرر. ولا يغني عنه تهويشه بأن هذا  
 هو قول الله عن نفسه في الحديث القدسي وأنا لا نعلم عن الله كما يعلم عن نفسه.

وعلى نفس المنوال يسير الشيخ ابن باز سماحه الله تعالى في بعض فتاويه، ويصف الله  
 تعالى بما تقشعر منه الأبدان.

يقول مجيباً عن سؤال: هل يوصف الله بأن له ظلاً؟ «نعم، كما جاء في الحديث، وفي  
 بعض الروايات: «في ظل عرشه»<sup>(٢)</sup>. لكن الصحيح «في ظله»، فهو له ظل يليق به سبحانه،  
 لا نعلم كيفيته، مثل سائر الصفات، الباب واحد عند أهل السنة والجماعة»<sup>(٣)</sup> اهـ.

فالشيخ يقولها صراحة أن الله تعالى ظلاً، وبدلاً من أن يحمل اللفظ الموهوم للتشبيه: «في  
 ظله» على اللفظ المحكم الذي يوضح المعنى ويجليه: «في ظل عرشه»، قام بفعل العكس.

وما دام المخرج المتمثل في قولهم «يليق به» موجوداً، فلا بأس عندهم في نسبة أي شيء  
 لله تعالى، حتى ولو كان بادي النقص ولا يحتاج في رؤية نقصه إلى دليل!

ومن العجب كلام ابن عثيمين هنا، حيث قال: «والمراد بالظل هنا: ظل يخلقه الله عز  
 وجل يوم القيامة يظلل فيه من شاء من عباده، وليس المراد ظل نفسه جل وعلا؛ لأن الله نور

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين: (٢/ ٢٤٤).

(٢) خرّج السيوطي هذه اللفظة في الجامع الكبير للسيوطي (ص: ١٩٩٢٣)، وقال: أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٨،  
 رقم: ٢٢٨٣٤)، وابن حبان (٢/ ٣٣٨، رقم: ٥٧٧)، والحاكم (٤/ ١٨٧، رقم: ٧٣١٦) وقال: صحيح  
 على شرط الشيخين. وابن عساكر (٥٨/ ٤٢٦)، وأخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط (٧/ ٦٤، رقم:  
 ٨٦٠). قلت: وسكت عنه الذهبي في التلخيص ولم يعلق على كلام الحاكم.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز: (٢٨/ ٢٠٤). وانظر موقع ابن باز على شبكة الإنترنت:

الاتصاف لأهل السنة وكشف مذهب أديب -  
 السماوات والأرض، ولا يمكن أن يكون الله ظلاً من الشمس، فتكون الشمس فرقاً  
 بينها وبين الخلق!، وَمَنْ فَهَمَ هذا الفهم فهو بليدٌ أبلدٌ من الحمار! ثم يقول مؤكِّداً: ....  
 يكون المراد بالظلِّ ظلُّ الربِّ عز وجل؟ لكن كما قلتُ: بعض الناس أجهل من اح  
 يدري ما يترتب على قوله الذي يقوله في تفسير كلام الله وكلام رسوله ﷺ<sup>(١)</sup> اهـ.

- لا يخفى أنه هنا قد خالف قاعدته السابقة التي اعتمد عليها في إثبات الملر ص  
 عز وجل. ورفض ما أقرّه ابن باز على أنه عقيدة السلف، رغم أن ابن باز مستند بـ  
 القاعدة المعتمّدة عندهم. فما الفرق بين هذا النص وبين غيره في كونه يمكن الاستد  
 على صفة أو لا؟

فلا معنى لاستعمال القاعدة في حالة من الحالات التي يُحكّم عليها بها وعدم استع  
 في حالة أخرى مماثلة لها إلا التّشهيّي وأتباع الهوى، فيستعملها الشخص وقتما يريد ويتجن  
 وقتما يريد.

- كما أنّ رَفْضَهُ لإثبات الظل لم يكن تنزيهاً للمولى تبارك وتعالى عن الجسميّة. بل  
 بسبب اعتقاده جِسْمِيَّةِ المولى تعالى وتَقَدَّسَ! وذلك أن الشيخ وأهل مذهبه يعتقدون أن

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: (٣/٣٤٧). وهنا وقفة تثبت أن القوم لا يتورعون عن  
 والخذاع في المطبوعات والمنشورات بما يخدم مذهبهم ولا يقدر فيه. فقد حصلت على نص  
 عثيمين وتعليقه على الحديث من موقع خيرية ابن عثيمين على الإنترنت

[http://www.ibnothaimen.com/all/books/printer\\_18200.shtml](http://www.ibnothaimen.com/all/books/printer_18200.shtml)

ثم بحثت عن هذا النص في الكتاب من خلال برنامج المكتبة الشاملة للتأكد من صحة نسبة الكلام  
 ولكنني لم أجد أي إشارة له من قريب أو بعيد. ثم بحثت على الشبكة عن نسخة مصورة pdf  
 فوجدت نسخة على «ملتقى أهل الحديث» وهو موقع وهايي معروف، ولم أجد كذلك أي إشارة بـ  
 ثم بحثت مرة أخرى حتى وجدت النسخة التي أحلتُ إليها في ثبوت المراجع وفيها نصُّ كلامه. فعبر  
 القوم أدركوا مخالفة ابن عثيمين وقَدَحَهُ في فهم ابن باز فقاموا بحذف كلامه دون أي إشارة بـ  
 القارئ والمطلع على الكتاب في الشاملة أو هذه النسخة المصورة أن هذا فقط هو المكتوب. وقيمته  
 من الكلام دون الإشارة أو التلميح تكرر منهم أكثر من مرة في عدة كتب. والقوم مشهورون منذ  
 باستحلال الحذف والتغيير والتبديل والكذب في سبيل نصره مذهبهم.



تعالى جالسٌ على العرش، والعرش فوق الشمس وفوق كل شيء، فوَقِيَّةٌ حَسِيَّةٌ بالمعنى المعروف في اللغة. ولأن الظل لا يتكوَّن إلا إذا كان الجسمُ تحت مصدر الضوء الذي هو الشمس هنا. وقد تقرر عندهم أن الله تعالى هو الذي فوق الشمس وليست الشمس هي التي فوقه، وبالتالي فليس الظل ظلًّا له تعالى!

أي أنه رَبَطَ كون الظل لله بعلو الشمس على الله تعالى بحيث تصير فوقه!، معتمداً في ذلك على الحقيقة العلمية الخاصة بالأجسام، وهي أن الظل ينشأ إذا اعترض الجسم مسار الضوء، فينعكس هذا الاعتراض الذي هو في الحقيقة انقطاع للأشعة الضوئية على صورة ظل.

### نصوص صريحة في التشبيه والتجسيم:

- وليس أصرح من مثل كلام العثيمين - ومثله كثير عندهم - في أنهم لا يعتقدون اتصاف الله تعالى إلا بالحقائق التي تفيدها اللغة لهذه الألفاظ، التي تفيد في ظاهرها المشابهة بين الله تعالى وخالقه، خصوصاً البشر.

يقول العثيمين: «فإذا قلت: ما هي الصورة التي تكون لله عز وجل يكون آدم عليها؟ قلنا: إن الله عز وجل له وجه وله عين وله يد وله رجل عز وجل، لكنه لا يلزم من أن هذه الأشياء مماثلة للإنسان، فهناك شيء من الشبه، لكن ليس على سبيل المماثلة!»<sup>(١)</sup> اهـ.

فابن عثيمين يثبت شيئاً من التشابه بين المولى سبحانه وتعالى وبين الإنسان خصوصاً. ولا ينفعه نفي المماثلة التامة فقط دون نفي التشبيه في بعض الأشياء؛ لأن المماثلة التامة ليست حاصلة أصلاً بين أي مخلوقين من نوع واحد، فلا يعتبر التنزه عن المماثلة التامة ميزة للمخلوق.

فحاصل كلامه: أن الله تعالى وجهها كما لنا وجوه وله عينا كما لنا عيون وله يدا كما لنا أيدي وله رجلا كما لنا أرجل، غاية الأمر عنده أن هذه الأشياء لا تشبه ما عندنا مشابهة تامة، بل بوجه من الشبه! بما يعني أن الله تعالى مركَّبٌ من هذه الأعضاء ولكن صورتها تختلف بعض الاختلاف عن صورة هذه الأشياء عندنا!

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين: (١/ ١١٠).

- ويقول الهراس: «وكيف يتأتى حمل اليد على القدرة أو النعمة، مع ما ورد من الكف والأصابع واليمين والشمال والقبض والبسط وغير ذلك مما لا يكون إلا للحقيقة!»<sup>(١)</sup> اهـ.

فالهراس هنا يستدل بالتركيب المشاهد في الإنسان على إثبات هذا التركيب لله سبحانه وتعالى، والكلام واضح غاية الوضوح أن يده سبحانه وتعالى يدٌ حقيقية كالتّي نعرّب وليست شيئاً آخر، بل ولا يصلح أن يقال ليست كأيدنا أو على وجه يليق به؛ إذ روح الاستدلال الذي صرح به هو اجتماع الأصابع والكف والاتصاف باليمين والشمال والقبض والبسط، كما هو الحال في الإنسان.

- والهراس قد قالها صريحة وهو يتحدث عن -إمامه- ابن تيمية، قال: «ابن تيمية ينكر أن يكون في القرآن والسنة لفظٌ نزول ليس فيه معنى النزول المعروف، لأنه جاء بعبارة العرب، ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطاباً بغير لغتها، واستعمالاً للفظ المعروف له معنى في معنى آخر، وهذا لا يجوز»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وهذا معناه أن الهراس -وهو من أئمة أتباع ابن تيمية في عصرنا الحديث- يشهد عن ابن تيمية أنه يقصد من هذه الألفاظ معناها المعروف، وليس فقط النزول، كما يفيد آخر كلامه في هذه الفقرة: «ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطاباً بغير لغتها، واستعمالاً للفظ المعروف له معنى في معنى آخر، وهذا لا يجوز».

- وقال ابن تيمية<sup>(٣)</sup> وهو يرد على من فسّر القيوم بأنه الذي لا يزول من مكانه ولا يتحرك<sup>(٤)</sup>: «وأما دعواك أن تفسير القيوم الذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك، فلا يُقبر

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس، ص: (١١٧).

(٢) ابن تيمية السلفي، محمد خليل هراس، ص: (١٤٥).

(٣) نقل هذا الكلام عن عثمان بن سعيد السجزي المجسم، من كتابه «الرد على بشر المريسي»، وقد سأقه هن مستشهداً به ومؤيداً لكل ما فيه، ولولا ذلك ما نقلناه بأعباءه رأياً له.

(٤) كما ينبغي أن أذكر أن من قال في تفسير القيوم هو الذي لا يزول من مكانه خطأ. لأن الله سبحانه لا يحتويه مكان، والانعصار في مكان هو من خواص الأجسام. ولو اقتصر القائل على أن معنى القيوم هو الذي لا

ألفصل الرابع: قول المجسمة أدعياء السلفية ومنقشتهم فيه، أو عن بعض أصحابه أو التابعين، لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء، ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويرتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط، ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن ذلك أمانة ما بين الحي والميت لأن كل متحرك لا محالة حي وكل ميت غير متحرك لا محالة»<sup>(١)</sup> اهـ.

تأمل في كلامه هذه الأوصاف التي أطلقها على رب العالمين: [يقوم ويجلس ويتحرك ويصعد ويهبط].

هل يمكن أن يقال إن هذه الألفاظ لا تدل دلالة واضحة على أنه مجسم ومشبه. وربما يأتي قائل مغرور بكلامه فيقول: «كل ذلك على الحقيقة وليس كمثلته شيء»!

فنقول: قولك إن هذه الألفاظ على حقيقتها اللغوية معناه التجسيم، فلا حقيقة لغوية غيرها. خاصة وابن تيمية هنا لا يشرح حديثاً أو يعلق على آية، بل يذكر أموراً متعددة من عند نفسه، فهُمْهَا هو بعقله وخياله، وسأها الحركة، ونَسَبَهَا لرب العزة سبحانه. فإن قلت بعد ذلك: ليس كمثلته شيء؟ قلنا لك: إما أنك كذاب أو جاهل.

لأن حمل هذه الألفاظ على الحقيقة معناه أنها مما نعرفه في لغة العرب بمعناه المتداول بيننا. وقولك ليس كمثلته شيء معناه أن هذه الألفاظ ليست على حقيقتها؛ لأنها لو كانت على حقيقتها صار كمثلته شيء سبحانه في النزول والهبوط والحركة!

إذن، من يقول ما قاله ابن تيمية، ثم يقول بعده كلمات من باب [على الوجه اللائق، أو ليس كمثلته شيء]، فهو لا يريد بذلك إلا الهروب من اللوم والتخلص - في العلانية وعند العامة - من التجسيم الذي يضمرة في نفسه. ورغم ذلك لا ينفعه قول هذه الكلمات بعد أن تبين أنه يريد بها الحقيقة التي نعرفها كما قال الهراس، لا الوجه اللائق به تعالى الذي لا تدركه عقولنا ولهم يكلفنا الله تعالى بإدراكه والبحث عنه.

= يزول لكان ذلك حقاً وصدقاً وموافقاً لكلام الله ورسوله، فعدم الزوال معناه استمرار الوجود إلى ما لا نهاية مصداقاً لقوله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾.

(١) شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ص: ٦١، مكتبة الرشد بالرياض، سنة ١٤١٥ هـ.

فلو جاء أحد المتعصبين لابن تيمية وقال: إن ما اتَّهَمْتُمُوهُ به مجرد لوازم وليس مما يُنبئ من منطوق كلامه، ولازِمُ المذهب ليس بمذهب، فسوف تهاشئ معه على سبيل التَّبَسُّطِ في الحوار لا على سبيل الاعتراف ونقول: لازم المذهب ليس بمذهب في حالة كون اللزوم ليس بَيِّنًا، لكن في حالة اللزوم البين، يكون لازم المذهب مذهبًا، سواء أَقَرَّبه متبع هذا المذهب أو يَقرِّ، وليس آيِّنَ مما نقلناه بيانٌ.

- ويعلن ابن باز ما سبق أن أعلنه الهراس من أنهم -على مذهب ابن تيمية الذي ينسبونه للسلف- يثبتون لله تعالى المعاني اللغوية القاموسية لهذه الألفاظ ولا يعنون غيرها إذ وصفوه بها سبحانه.

قال: «وهكذا القول في باقي الصفات من السمع والبصر والرضى والغضب واليه والقدم والأصابع والكلام والإرادة وغير ذلك، كلها يقول إنها معلومة من حيث النغمة العربية!»<sup>(١)</sup> اهـ.

ويقول صالح الفوزان ناهجا نفس السبيل: «المجيء هو مجيء حقيقي على معناه في اللغة العربية، وكذا الإتيان، لما جاء في الآيات الأخرى، ولا يلزم منه مشابهة مجيء المخلوق وإتيانه»<sup>(٢)</sup> اهـ.

- ونجد الهراس يزيد وضوحا وصراحة في الاعتراف بالتجسيم، إن تصرّحا أو التزما خلال النقول التالية:

قال في أحد تعليقاته على كتاب التوحيد لابن خزيمة: «القبضُ إنما يكون باليد حقيقة لا بالنعمة. فإن قالوا: إن الباء هنا للسببية، أي بسبب إرادته الإنعام، قلنا لهم: وبماذا قبض؟ فإن القبض محتاج إلى آلة، فلا مناص لهم لو أنصفوا أنفسهم»<sup>(٣)</sup> اهـ. فصرح بالاحتياج إلى الآلة، والآلة هنا بحسب كلامه هي اليد!

(١) الردود البازية في بعض المسائل العقديّة، ص: (١٦٥).

(٢) تعقيبات على كتاب البوطي «السلفية»، ص: (٤٠).

(٣) التوحيد لابن خزيمة، تحقيق وتعليق محمد خليل الهراس، ص: (٨٩).





## الفصل الخامس

### النصوص المروية عن السلف في تفويض المعنى مع نفي الكيفية أو العمل بالتأويل

إذا كان المجسمة يدعون أنهم على مذهب السلف، فهذه نصوص من كلام أكابر علماء السلف تثبت كذب أدعياء السلفية وتفضح تفوُّههم وتزويرهم. وحتى لا يتشتت ذهن القارئ الكريم، سأذكر قول أهل السنة وقول أدعياء السلفية مرة أخرى بصورة مختصرة في هذا الباب.

#### قال أهل السنة الأشاعرة والما تريدية:

كل ما جاء من النصوص التي توهم مشابهة الله تعالى لخلقه، فلنا معها موقفان، بعد أن نقطع أن الله تعالى مُتَزَّهٌ عن مشابهة خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله.

الموقف الأول: نؤمن بها ونصدق بها، بلا كيفية، على الوجه الذي أَرَادَهُ رَبُّنَا سبحانه في كتابه، وأَرَادَهُ نَبِيُّنَا ﷺ في سنته، ولا نتعرض لتفسيرها ولا لذكر معناها، ولا نترع الألفاظ من سياقها، بل نفوض معناها إلى الله تعالى.

ولا نقول مثل أهل البدع أننا ثبتت المعنى ونفوض الكيفية، لأنهم بذلك يثبتون الكيفية ثم يفوضون علمها إلى الله. والكيفية هيئة وصورة، والهيئة والصورة من لوازم الأجسام التي تُدْرِكُ بالحواس، والله تعالى مُتَزَّهٌ عن ذلك.

الموقف الثاني: أننا نؤوله، بِصَرَفِهِ عن الحقيقة اللغوية، إلى معنى مجازي يدل عليه السياق وتحتمله اللغة ويقبله الشرع، بحيث لا يُسَبَّبُ إليه تعالى أي نقص. ولا نفعل ذلك إلا عند وجود قرينة لفظية أو معنوية توجب هذا التأويل. ونشهد أن هذين الموقفين والمذهبين منقولان عن السلف الصالح رضوان الله عليهم.

## وقال أدعياء السلفية:

ثبت ما أثبتته الله لنفسه على الحقيقة، فنثبت معناه الحقيقي اللغوي، ونفوض معرفة الكيفية إلى الله تعالى.

فثبت له يدا حقيقية ليست كأيدينا، وساقا وقدماء وعينا ووجهها، وأنه مسترٍ عن العرش بذاته استواءً حقيقياً على وجه الاستقرار والارتفاع فوق العرش، والكرسي موحى قدميه، وأنه فوق السماء وفوق الخلق جميعاً، وأنه في جهة فوق دون بقية الجهات. وكرسه ليس مثل ما للمخلوقات في كفيته، بل كفيته على وجه آخر لا يعلمه إلا الله تعالى. ونعت من يفوض المعنى ضالاً مبتدعاً مخالفاً للسلف وإجماع الصحابة والتابعين، لأن التفرقة جهل ونفي لهذه الصفات، ونعتبر من يؤولها ملحداً في أسماء الله وصفاته، محرفاً معطلاً الخ كلامهم.

وهاكم أقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم، تفصلاً في القضية، وتبين حريته وتدحض الباطل وتفضح أهله، وتعيد الأمر إلى نصابه.



## المطلب الأول

### نصوص السلف في تفويض المعنى ونفي الكيفية أصلاً

● قول مالك (ت ١٧٩هـ)، وابن المبارك (ت ١٨١هـ)، وابن عيينة (ت ١٩٨هـ)،

وسائر أهل السنة:

قال الإمام الترمذي في حديث النزول: «وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث: ما يشبه هذا من الروايات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا. قالوا: قد تَبَّتْ الروايات في هذا، وَيُؤْمَنُ بِهَا، وَلَا تُتَوَهَّمُ، وَلَا يُقَالُ كَيْفَ. هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمرؤها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة»<sup>(١)</sup> اهـ.

والإمام الترمذي هنا يصرف اللفظ عن معناه الموهوم وينفي الكيف أصلاً، وينسب هذا لأهل السنة قاطبة، فتأمل.

وقال البيهقي في الاعتقاد: «سفيان بن عيينة يقول: كل ما وصف الله من نفسه في كتابه تفسيره تلاوته والسكوت عليه. قال البيهقي: وإنما أراد به والله أعلم: فيما تفسيره يؤدي إلى تكيف، وتكيفه يقتضي تشبيهه بخلقه في أوصاف الحدوث» اهـ.

وهذا يعني: أن من الصفات ما يمكن إثبات معانيه اللغوية دون أن يؤدي إلى تشبيه ولا تمثيل ولا تجسيم، كإثبات معاني القدرة والإرادة والعلم والحياة، بخلاف إثبات معاني نحو اليد والوجه والاستواء، فإن معاني هذه الصفات في لغة العرب تؤدي إلى التجسيم، وهو ما عبر عنه الشيخ بالتكيف. وَمِنْ ثَمَّ، فالواجب حينئذ التوقف عن تفسيرها، مفوضين ذلك لله تعالى، منزهين لله تعالى عن التكيف والتشبيه والتمثيل<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع الترمذي: (٣/٥٠) عقب حديث رقم: (٦٦٢).

(٢) قول السلف في الصفات الخبرية، د. رشوان أبو زيد الأزهرى: (١٩).

قول سفيان الثوري (ت ١٦١)، ووكيع بن الجراح (ت ١٩٧)، وغيرهما:

قال الترمذي في سننه: «قد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة، مثل هذا ما يُذكر فيه - الرؤية أن الناس يرون ربهم، وذكّر القَدَم وما أشبه هذه الأشياء. والمذهب في هذا عند العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم: أنهم رَووا هذه الأشياء ثم قالوا: تُروى هذه الأحاديث، ونؤمن بها، ولا ينز كيف. وهذا الذي اختاره أهل الحديث: أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها. ولا يُنفسر، ولا تُتوهم، ولا يقال كيف. وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه. ومعبر قوله في الحديث: «فيعرفهم نفسه» يعني يتجلى لهم»<sup>(١)</sup> اهـ.

فالإمام الترمذي ينقل هذا عن أهل السنة وأهل الحديث وسائر أهل العلم. ثم يقولون: «تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها، ولا تفسر»، يعني لا يذكر معناها، وهو تفويض للمعنى. «ولا تتوهم»، يعني يصرف ظاهرها الموهم أو أن العقل لا يستطيع توهيب لنقص إمكاناته عن إدراك كنهها وماهيتها. ثم إن الإمام الترمذي قد أوّل قوله ﷺ «فيعرفهم نفسه» بأنه التجلي.

وقال أبو عمر بن عبد البر: «ذكر يا بن عدي سأل وكيع بن الجراح فقال: يا أبا سفيان - هذه الأحاديث - يعني مثل الكرسي موضع القدمين ونحو هذا - فقال: أدركتُ إسماعيل بن أبي خالد، وسفيان، ومسعرًا، يحدّثون بهذه الأحاديث، ولا يفسرون شيئًا»<sup>(٢)</sup> اهـ. يعني لا يحدّدون لها معنى، فهو تفويض للمعنى.

قول الأوزاعي (ت ١٥٧هـ) ، وغيره:

قال اللالكائي: «الوليد بن مسلم يقول: سألت الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية فقالوا: أمروها كما جاءت، بلا كيف»<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) جامع الترمذي (٤/ ٦٩١)، حديث (٢٥٥٧).

(٢) التمهيد لابن عبد البر: (٧/ ١٤٩).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، لِلْإِسْلَامِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٣/ ٥٢٧)، حديث رقم (٩٣٠).

قلت: وهذا كلام صريح غاية الصراحة في نفي الكيفية أصلاً، وقولهم: «بلا كيف» قاطع في ذلك. فأين هذا من كلام من يدعي أن السلف يشتون كيفية ما ثم يفوضونها.

### قول أبي عبيد القاسم بن سلام (١) (ت ٢٢٤هـ):

وقد ذُكر عنده رجل من أهل السنة يجد في قلبه شيئاً من الأحاديث الموهمة للتشبيه فكان رده بالتفويض في منتهى الوضوح. قال: «هذه الأحاديث حق لا شك فيها، رواها ثقات بعضهم عن بعض، إلا أننا إذا سُئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسرها ولم نذكر أحداً يفسرها» (٢) اهـ.

قلت: وقوله رحمه الله تعالى: «لم نفسرها ولم نذكر أحداً يفسرها» واضح في أنه يفوضُ معنى ويكل علمه تفصيله إلى الله تعالى، إذ عدم التفسير لا يدل إلا على ذلك.

### وقفه مع قول السلف في نصوص المتشابهات: «أمرؤها كما جاءت»:

وبعض المجسمة يدعي أن السلف يقصدون منها إثبات الحقيقة اللغوية، فيلبسون على نقارئ بإحالتهم على كلمة «كما جاءت» وحدها، ويصرفون انتباهه عن كلمة «أمرؤها»، لأن جملة كاملة تفيد معنى آخر. فيقولون أن قول السلف كما جاءت: معناه كما هي حقيقتها لغوية.

فنقول لهم: لا تجتزئوا الكلام وتقطعوا أوصاله، وإذا شرحتم فاشرحوا الجملة كاملة في سياقها الذي وردت فيه، ولا تكونوا كمن قال إن الله تعالى نهى عباده عن الصلاة، ثم استدل على دعواه بقول الله تعالى: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾، ولم يكمل الآية ﴿لَا تَقْرُبُوا صَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣].!

(١) العالم البحر الفقيه المحدث اللغوي المتفنن. قال إسحاق بن راهويه في حقه: أبو عبيد أعلم مني وأفقه. وقال الإمام أحمد: أبو عبيد أستاذ. وسئل يحيى بن معين عنه فقال: أبو عبيد يُسأل عن الناس. وقال أبو داود: ثقة مأمون. قال الذهبي: من نظر في كتب أبي عبيد علم مكانته من الحفظ والعلم، وكان حافظاً للحديث وعلله ومعرفة متوسطة، عارفاً بالفقه والاختلاف، رأساً في اللغة، إماماً في القراءات، له، اهـ. انظر: تذكرة الحفاظ وذيوله: (٦/٢)، وغيره.

(٢) التمهيد لابن عبد البر: (٧/١٥٠).



الفصل الخامس: النصوص المروية عن السلف في تفويض المعنى ٢٥٣  
تعالى بالكيف، ولا بالمعاني المعهودة من اللغة، وإنما يوصف الله تعالى بصفاته التي أخبر عنها في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ على المعاني التي أرادها الله تعالى. ومنه تعرف أن منهج السلف هو تفويض المعنى ونفي الكيف، لا إثبات المعنى وتفويض الكيف.

وقال الإمام أحمد: «واعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر، والرؤية حق لأهل الجنة من غير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وتفسيره على ما أراد الله تعالى وَعَلِمَهُ، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فهو كما قال، ومعناه على ما أراد الله»<sup>(١)</sup> اهـ.

فهاهو الإمام أحمد رحمه الله تعالى يفوض علم معاني تلك النصوص إلى الله تعالى في قوله: «وتفسيره على ما أراد الله تعالى وَعَلِمَهُ، ... ومعناه على ما أراد الله»، بل وينفي عنها الكيف من الأصل، في قوله: «من غير إحاطة ولا كيفية». فلم يُثَبِّت الكيفية ثم يفوضها، ولم يتصرف فيها بلفظ يخترعه من نفسه، كما يزعم من يدعون أنهم يتبعون الإمام أحمد بن حنبل ومن ورائه السلف.

• قول شعبة (ت ١٦٠هـ)، وحماد بن زيد (ت ١٧٩هـ)، وابن سلمة (ت ١٦٧هـ)، وشريك (١٧٨هـ)، وأبي عوانة الوضاح بن عبد الله الشكري (ت ١٧٥هـ):

قال الإمام البيهقي: «أبو داود وهو الطيالسي قال: كان سفيان الثوري، وشعبة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وشريك، وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون، يروون الحديث ولا يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر»<sup>(٢)</sup> اهـ.

فقوله: «لا يحدون»، يعني لا يذكرون حداً لهذه الصفات. والحد هنا هو ذكر التعريف المؤدي للمعنى، وسُمِّيَ حداً لأنه الذي يحجز بين الصفة وغيرها، وهو الذي يمنع من تداخل الصفة مع غيرها.

(١) الورع للإمام أحمد بن حنبل: (١٩٩).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي: (٢/٣)، حديث (٤٤٣٠).

وعلى هذا اصطلاح أهل اللغة والمعاجم وغيرهم من أهل علوم الشرع في تعريفه حتى في أصغر المتون، ومنه قول مؤلف البيقونية:

وذي من أقسام الحديث عده وكل واحد أتى وحده

أي: جاء بمعناه.. والحد كما يقول الشيخ العثيمين: هو التعريف بالشيء<sup>(١)</sup>.

قلت: وكلام أبي داود الطيالسي الذي نقله عن الأئمة من السلف واضح لكره عيّن، ولا يحتمل اللبس بوجه من الوجوه.

### قول محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٩ هـ):

روى ابن قدامة بسنده: «عبد الله بن أبي حنيفة الدوسي: سمعت محمد بن أحمد يقول: اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير، ولا وصف، ولا تشبيه فمن فرس شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا بفسر، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء»<sup>(٢)</sup> اهـ.

قلت: كلام محمد رحمه الله صريح في تفويضهم للمعنى ونفيهم للكيف. فقروا يصفوا ولم يفسروا» يدل على ذلك. فعدم التفسير تفويض. وعدم الوصف هنا نفي للكيف

### قول الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ):

قال ابن قدامة: «قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) شرح البيقونية للعثيمين: (٢١).

(٢) ذم التأويل لابن قدامة: (١٤).

(٣) لمعة الاعتقاد لابن قدامة: (٤)، وذم التأويل: (١١).

### قول الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ):

قال البيهقي: «الوليد بن مسلم قال: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه، فقالوا: أمرها كما جاءت بلا كيفية»<sup>(١)</sup> اهـ.

### قول الحميدي (ت ٢١٩ هـ):

قال ابن قدامة: «بشر بن موسى أنبأنا أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، قال: أصول السنة. فذكر أشياء، ثم قال: وما نطق به القرآن والحديث، مثل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ومثل ﴿وَالسَّكَّاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وما أشبه هذا من القرآن والحديث. لا نزيد فيه، ولا نضره، ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، ونقول: «الرحمن على العرش استوى»، ومن زعم غير هذا فهو معطل جهمي»<sup>(٢)</sup> اهـ.

قلت: وهذا واضح صريح في عدم الزيادة على الوارد من الألفاظ، وفي تفويض المعنى.

فأين قول الحميدي: «ولا نزيد فيه» من قولهم زيادة على الوارد: «بذاته، وبنفسه، وعلى الحقيقة، وجهة فوق»، ومن ادعائهم أن السلف كانوا يتصرفون في تفسير هذا الألفاظ بما شاءوا.

فمن يدعي التمسك بهدي السلف ينبغي ألا يزيد على كلام السلف، ولا ينتقي عبارات من كلامهم يتمسك بها، ويدع غيرها عندما تخالف مقصوده. ولكنهم يستخدمون اسم السلف لترهيب مخالفيهم من مناقشتهم، ولتستر خلفه مما يجلبه كلامهم من المذمة والتنقيص.

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٢/٣)، حديث (٤٤٢٩).

(٢) ذم التأويل لابن قدامة: (١١).

قول ربيعة الرأي (ت ١٣٦ هـ)، والإمام مالك (ت ١٧٩ هـ)، وأم المؤمنين أم سنان رضي الله تعالى عنها (ت ٥٩ هـ):

أختم هذا المبحث بعبارة مروية عن الإمام مالك رحمه الله تعالى، التقطها المجسمة. نقلوا الرواية الضعيفة وتركوا الصحيحة، لأن الرواية الضعيفة توافق غرضهم.

قال اللالكائي: «وسئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعزى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق»<sup>(١)</sup> اهـ.

(١) هذا الأثر ينسب إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وإلى مالك بن أنس، وإلى السيدة أم سلمة ؓ:

فأما أثر ربيعة:

فأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (٣/٣٩٨)، حديث: (٦٦٥) قال: (أخبرنا عبد بن أحمد بن القاسم بن شينك النهاوندي قال ثنا أبو بكر أحمد بن محمود بن يحيى بن داود النهاوندي بنحو سنة ثني عشرة وثلاثمائة قال ثنا أحمد ابن محمد بن صدقة قال ثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد بن عيسى بن عيسى بن آدم عن ابن عيينة قال سئل ربيعة عن قوله «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلينا التصديق وأخرجه الذهبي في العلو للعلي الغفاري، حديث (٣٥٢) قال: (كتب إلي محمد بن الناس أن أبا محمد - قدامة أخبرهم أنبأنا ابن البطي أنبأنا ابن خيروان أنبأنا أبو القاسم الخرقني حدثنا النجاد حدثنا معاذ بن - حدثني محمد بن بشير حدثنا سفيان قال كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن فسأله رجل فقال «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعزى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق). ونسبته في التحفة المدنية في العقيدة السلفية ص ٧٧ إلى الخلال - (بإسناد رجاله أئمة عن سفيان بن عيينة) وذكره بلفظ: «والكيف غير معقول».

وأما روايته عن مالك:

فأخرجه البيهقي في الاعتقاد، ص (١١٦) قال: (أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الفقيه - محمد بن حيان ثنا أبو جعفر أحمد بن زريك الزيدي قال سمعت محمد بن عمرو بن النضر النيسابوري - سمعت يحيى بن يحيى يقول كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه ثم علاه الرضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يخرج). وأخرجه اللالكائي (٣/٣٩٨) حديث (٦٦٤) قال: (ذكره علي بن الربيع التميمي المقرئ قال ثنا عبد الله ابن أبي =



داود قال ثنا سلمة ابن شبيب قال ثنا مهدي بن جعفر عن جعفر بن عبد الله قال جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكا وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرخصاء يعني العرق قال واطرق القوم وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه قال فسرى عن مالك فقال: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فإني أخاف أن تكون ضالا وأمر به فأخرج». والذهبي في العلو، ص (١٦٨) حديث (٤٥٥) قال: (قال ابن منده أنبا محمد بن يعقوب الشيباني حدثنا محمد بن عمرو بن النضر حدثنا يحيى بن يحيى قال كنت عند مالك فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى فأطرق ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

وأما روايته عن أم سلمة:

فأخرجها اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٧) حديث (٦٦٣) قال: (أخبرنا عبد الله بن محمد بن أحمد قال ثنا عبد الصمد بن علي قال حدثني محمد بن عمر بن كيشة أبو يحيى النهدي بالكوفة في جبانة سالر قال حدثنا أبو كنانة محمد بن أشرس الأنصاري قال ثنا أبو عمير الحنفي عن قرّة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة في قوله «الرحمن على العرش استوى» قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر). وأخرجه الذهبي في العلو للعلي الغفار، ص (٨٠) حديث (١٨١) قال: (أخبرنا أبو محمد بن علوان الشافعي أنبا أبو محمد المقدسي أنبا عبد الله بن أحمد أنبا أبو بكر أحمد بن علي أنبا هبة الله بن الحسن حدثنا عبد الصمد بن علي حدثنا محمد بن عمر حدثنا أبو كنانة محمد بن أشرس حدثنا أبو عمير الحنفي عن قرّة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها في قوله «الرحمن على العرش استوى» قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر)، قال: (هذا القول محفوظ عن جماعة كريمة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه).

فهذه رواية مالك وغيره تنص على أن الكيف غير معقول، وهذا يساوي نفي الكيف.. وأما رواية «والكيف مجهول» ففي إسناده مقال.. فقد أخرجها ابن عبد البر في التمهيد (٧/١٣٨) قال: (أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا سريح بن النعمان قال حدثنا عبد الله بن نافع قال: قال مالك بن أنس: الله عز وجل في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان، قال: وقيل للمالك الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟ فقال مالك رحمه الله: استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء). قلت: عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن شيخ ابن عبد البر قال عنه الذهبي في الميزان (٤/١٩١): (من قدماء شيوخ أبي عمر بن عبد البر كان تاجرا صدوقا لقي ابن داسة والكبار، قال ابن الفرضي: لريكن ضبطه جيدا وربها أحل بالهجماء). فروايته ضعيفة مخالفة في لفظها لسائر الروايات عن مالك، والفارق بين قوله «الكيف غير معقول» وبين قوله «الكيف مجهول» بيانه في الأصل، والله أعلم.

قال الإمام القرافي: «ومعنى قول مالك: «الاستواء غير مجهول» أن عقولنا دلّتْ على الاستواء اللائق بالله وجلاله وعظمته وهو الاستيلاء، دون الجلوس ونحوه مما لا يكون في الأجسام، وقوله: «والكيف غير معقول» معناه أن ذات الله تعالى لا توصف بما وَضَعَتِ العربُ له كيفَ، وهو الأحوال المتنقلة والهيئات الجسميّة من التربع وغيره، فلا يُعَقَّل ذلك في حقه تعالى لاستحالته في جهة الربوبية، وقوله: «والسؤال عنه بدعه» معناه لم تجر العدة في سيرة السلف بالسؤال عن هذه الأمور المثيرة للأهواء الفاسدة، فهو بدعة»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال ابن قدامة: « وهذه الأقوال الثلاثة [قول أم سلمة وربيعة ومالك] متقاربة المعنى واللفظ. فمن المحتمل أن يكون ربيعة ومالك بلغهما قول أم سلمة، فاقتديا بها وقالوا مثـ قولها، لصحته وحسنه، وكونه قول إحدى أزواج النبي ﷺ. ومن المحتمل أن يكون الله تعالى وفقهما للصواب وألهمهما من القول السيد مثل ما ألهمها. وقولهم: «الاستواء غير مجهول أي غير مجهول الوجود، لأن الله تعالى أخبر به، وخبره صدق يقيناً لا يجوز الشك فيه وذا الارتباب فيه، فكان غير مجهول لحصول العلم به، وقد روي في بعض الألفاظ الاستواء معلوم»<sup>(٢)</sup> اهـ.

«فقوله: «والكيف غير معقول»، معناه أن الكيف لا يُعَقَّل في حق الله تعالى أصلاً. فهـ يوافق قول سائر أهل السنة المتقدم: «بلا كيف»، وكلاهما نفي للكيف عن الله تعالى، فأين هـ من يفوّض الكيف!» اهـ.

وذلك: لأن غير المعقول هو ما لا يُعَقَّل وجوده. وما لا يُعَقَّل وجوده: هو المستحيل الذي لا يقبل الوجود أصلاً، سواء كان ذاتاً أو صفةً أو فعلاً. فلا يجوز أن يكون لذات الله تعالى وصفاته كيفية؛ لأن الكيفية يُراد بها الهيئات الجسميّة كما أشار الإمام القرافي رحمه الله تعالى في التعليق السابق.

«وقد نقل بعض الناس هذه الرواية عن مالك وغيره بلفظ: «والكيف مجهول»، ولم

(١) الذخيرة للقرافي: (١٣/٢٤٣).

(٢) ذم التأويل لابن قدامة: (٢٦).



ثم أراد صاحب هذه الدعوى أن يعلق باب الرد عليه، ويوهم القارئ بأن أصحاب هذا الرأي قلة قليلة من العلماء، ليس لهم إلا تقليد غيرهم بغير وعي، وهو يرد على أصحاب أساطين العلم والفهم في هذه الأمة.

قال: «وليس الإمام الزركشي رحمه الله ممن قَصُرَ علمه في الحديث، لكن يبدو أنه قد غيّر في هذا النقل، فإن بعض العلماء المتقدمين ادّعوا أن مذهب السلف لا يختلف مع مذهب الخلف في أن الظاهر من النصوص المدّعى أنها توهم التشبيه غير مراد، وأنها لا تدل على صفات الله، إلا أن السلف يفوضون معانيها المرادة، ويلتزمون السكوت عن ذلك وعدم الخوض فيه»<sup>(١)</sup> اهـ.

### وهذا الكلام شديد التهاقت، لعدة أمور:

منها: قوله أن الإمام الزركشي وغيره مقلدون يرددون أقوال من سبقوهم لا أكثر. هو إلا مجرد دعوى لا دليل عليها، خاصة وقد شهد للإمام الزركشي بالإتقان في علم الحديث، ومن المعلوم أن كل دعوى لا برهان لها أو دليل هي مجرد كلام ساقط لا قيمة له.

ومنها: أنه نسب هذا القول إلى «بعض» العلماء المتقدمين - بزعمه - لكنك عند تبحث عن هؤلاء البعض الذين قلدهم الزركشي تجدهم جمهور علماء أهل السنة والجماعة. بل الغالبية الساحقة منهم إن لم يكونوا كلهم. فأبي بأس في أن يتبع الإنسان رأي الجمهور والأكثرية من أهل العلم المشهود لهم، عملاً بقوله ﷺ: «لَا يَجْمَعُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى الضَّلَالَةِ أَبَدًا، وَيَدُّ اللَّهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَاتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّهُ مَن شَدَّ، شَدَّ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>. وقد سبق أن ذكرنا أسماء بعضهم في التهميد!!

ومنها: أن الإمام الزركشي إن صحّت دعوى التقليد في حقه - وهي لا تصح - فإن ذلك لا يضره؛ لأن تقليد أمثال الزركشي لغيرهم ممن سبقهم من العلماء ليس سببه بلادة الذهن وخمول الهمة في طلب المعرفة، بل هو تقليد عن دليل وبرهان، ومعرفة ناشئة من

(١) المرجع السابق.

(٢) حسنه السخاوي في المقاصد الحسنة (١/٧١٦)، وقد سبق التعليق عليه.



بل ومنها: أن أهل مذهبه أنفسهم لا يَقْرُون بما ادعاه، بل إنهم يدعون ضده. -  
 يزعمون أنهم يقتصرون على الوارد فقط تقليدا للسلف. وقد نقلنا عن الفوزان وهو -  
 أصول منهجهم وينسبه إلى السلف، حيث يقول: «لا يتجاوزون ما ورد في الكتاب و...»  
 إثبات أسماء الله وصفاته، فما أثبتته الله ورسوله من ذلك أثبتوه، وما نفاه الله ورسوله نفوا. -  
سكت عنه الله ورسوله سكتوا عنه»<sup>(١)</sup> اهـ.

إذن فهذا هي كل النصوص التي نقلناها تثبت أن السلف رحمهم الله تعالى يفوض -  
 المعنى وينفون الكيفية أصلا، بل يفزعون من الكيفية على حد تعبير ابن عبد البر رحمه -  
 وليس كما يقول المجسمة أدعياء السلفية: أن السلف يثبتون المعنى الحقيقي ويفوض -  
 الكيفية.

وإذا كان هذا كلام السلف أنفسهم، فَمَنْ الأول بالتصديق. إخبار المرء عن نفسه \*  
 إخبار غيره عنه؟ وهذا الغير مقطوع الصلة به إسنادا ورأيا، وبينها من الزمن ما يقر -  
 الخمسة عشر قرنا!

ولولا خشية الإطالة لنقلت أكثر من ذلك، ولكن ما نقل فيه الكفاية لمن تدبر وتأمّر -  
 وأزاح عن عينه غشاوة التعصب للرجال والآراء، وابتغى الحق لا شيء سواه.

(١) عقيدة التوحيد وما يضادها، لصالح الفوزان: (٦٤).

## المطلب الثاني

### نصوص السلف في العمل بالتأويل

تأويلات ابن عباس رضي الله عنهما:

١- أوّل قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، فقال: «يكشف عن شدة». فأوّل الساق وفسرها بالشدة<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام ابن جرير الطبري في صدر كلامه على هذه الآية: «قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: «يبدو عن أمر شديد»»<sup>(٢)</sup> اهـ.

قلت: وفي قول الإمام الطبري ما يدل على أن علماء الصحابة والتابعين المعوّل عليهم في التفسير والعلم -الذين ساهم أهل التأويل تنبيها على علو منزلتهم على غيرهم في علم تفسير- لم يجدوا غضاضة في صرف اللفظ عن حقيقته اللغوية إلى المعنى المجازي عند وجود ضرورة تقتضي ذلك<sup>(٣)</sup>.

٢- أوّل النسيان الوارد في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَسْنَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١] بأنه «الترك». قال الطبري: «أي ففي هذا اليوم، وذلك يوم القيامة نساهم- يقول نتركهم في العذاب» اهـ. ونقل ابن جرير هذا التأويل الصارف عن الظاهر، ورواه بأسانيده عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري: (٦٤٤/٨)، (٤٢٨/١٣).

(٢) تفسير الطبري: (٣٨/٢٩).

(٣) وذلك بقص النظر عما توهمه بعضهم من قصد ابن جرير رحمه الله تعالى بقوله «أهل التأويل». فمصطلح التأويل لم يكن متعارفا عليه عند الصحابة بمعناه المشهور عند المتأخرين من علماء المسلمين. نبهنا على ذلك حتى لا يقال أننا نتلاعب بالألفاظ ونلوي أعناقها لتشهد لنا. فمذهبا لا يحتاج لذلك بحمد الله وكرمه.

(٤) تفسير الطبري: (٤٧٥/١٢).

قلتُ: وهو تأويل صريح من ابن جرير رحمه الله ومن نقل عنهم للنسيان بأنه الترت وهو صَرَفٌ لمعنى هذا اللفظ عن حقيقته اللغوية إلى معنى مجازي.

٣- أول قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]. قال ابن عباس «بنيانها بقوة»، كما قال ابن جرير. ونقل أيضا في تفسيره تأويل لفظه «أيد» عن جماعة من أئمة السلف، منهم: مجاهد وقتادة ومنصور وابن زيد وسفيان<sup>(١)</sup>.

### تأويل الإمام مالك بن أنس:

قال الحافظ ابن عبد البر: «مطرف عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث: «إن نـ ينزل في الليل إلى سماء الدنيا»، فقال مالك: يَنْتَزِلُ أَمْرُهُ»<sup>(٢)</sup> اهـ.

### تأويل الإمام أحمد بن حنبل:

١- قال ابن كثير ناقلا عن البيهقي: «الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل. - أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أنه: «جاء ثوابه». ثم قد البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه»<sup>(٣)</sup> اهـ.

قلتُ: وشهادة الإمام البيهقي -وهو العالم الخبير بالأسانيد والعلل والرواة- بصحة هذا السند وهذه الرواية عن الإمام أحمد، تدل دلالة لا شك فيها أن الإمام قد أخذ بالتأويل عند وجود ما يستدعيه. وكذلك سكوت ابن كثير وعدم انتقاده للرواية، -وهو من هو- يسر على تسليمه بصحتها.

٢- قال الحافظ ابن كثير: «ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أحمد بن حنبل: -

(١) تفسير الطبري: (٢٢/٤٣٨).

(٢) التمهيد لابن عبد البر: (٧/١٤٣).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: (١٠/٣٢٧). قلت: نقله ابن كثير من كتاب «مناقب أحمد» وهو كتاب مخطوط ولم ينتقد ابن كثير الرواية كما يفعل مع الروايات الضعيفة والساقطة. وهو الأثر الذي أشرنا إليه عند الكلام على دفع الوهابية للأثار المروية عن السلف التي تخالف مذهبهم.





## تأويل الإمام النضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ):

وهو الإمام الحافظ اللغوي، روى عنه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه، ولد سنة ١٢٢ هـ. ذكر الحافظ البيهقي عنه قوله: «معنى حديث - حين يضع الجبار فيها قدمه» أي: من سبق في علمه أنه من أهل النار»<sup>(١)</sup> اهـ.

## تأويل الإمام سفيان الثوري (ت ١٦١هـ):

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام سفيان الثوري: «...، أن معداناً سأله عن قِيءِ تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فقال: «علمه معكم»<sup>(٢)</sup> اهـ.

فليت شعري، إن هذا التأويل بعينه تهكّم عليه أحد المجسمه من الذين نقلت عنهم وادعى آخر أن التأويل لا يجوز أن يُنسب إلى السلف، ولا يقول به إلا مبتدع، وأنه لا ينسب إلى أحد من السلف بصله!

## تأويل الإمام عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ):

قال الإمام البخاري: «صفوان بن محرز عن ابن عمر قال: بينما أنا أمشي معه - يعني - عمر - إذ جاء رجل فقال يا ابن عمر: كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر في النجوى؟ - يعني - سمعته يقول: «يدنو من ربه حتى يضع عليه كنفه... الحديث». ثم قال البخاري: قل - يعني - المبارك: «كنفه يعني ستره»<sup>(٣)</sup> اهـ. وأيد كلامه الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند شرح الحديث. وهذا من أكبر الأدلة على أن السلف لم يرفضوا التأويل بضوابطه عند وجود الداعي.

## تأويل الإمام الأعمش (ت ١٤٧هـ):

قال الإمام الترمذي عند الحديث الذي فيه: «وإن أتاني يمشي أتيتته هرولة»: - يعني - حديث حسن صحيح، ويروى عن الأعمش تفسير هذا الحديث: «من تقرب مني شدة».

(١) الأسماء والصفات للبيهقي: (١٩٣/٢).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٢٧٤/٧).

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري: (٧٨). ونقله الحافظ في الفتح: (٤٧٧/١٣).

-سس: النصوص المروية عن السلف في تفويض المعنى

– منه ذراعاً»، يعنى بالمغفرة والرحمة. وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث. قالوا:  
 -:- يقول: إذا تقرب العبد إليَّ بطاعتي وبما أمرت، أُسرِع إليه بمغفرتي ورحمتي»<sup>(١)</sup> اهـ.

قنت: وهو تأويل صريح للإتيان والهرولة بأنه رحمة ومغفرة، ولا مجال للإنكاره.

### ٢- الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ):

قال الإمام البيهقي: «روى الفربري عن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى أنه  
 -عنى الضحك فيه -أي الحديث- الرحمة»<sup>(٢)</sup> اهـ.

### ٣- الإمام ابن جرير الطبري (ت ٣١١):

قال ابن جرير في تفسيره عند قوله تعالى: «ثم استوى إلى السماء»: «والعجب ممن أنكر  
 -لفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: «ثم استوى إلى السماء»، الذي هو بمعنى:  
 - والارتفاع. ثم رد على من أنكر العلو مخافة التشبيه فقال: قُلْ: عَلَا عَلَيْهَا عَلُوُّ مَلِكٍ  
ضَنْ، لَا عَلُوَّ انْتِقَالَ وَزَوَالَ»<sup>(٣)</sup> اهـ.

فالإمام ابن جرير جعل الاستواء هنا بمعنى علو الملك والسلطان، لا علو الانتقال  
 -زال، وهو تأويل واضح، ينكره المجسمة أشد الإنكار.

وينبغي التنبيه إلى: أن هذا هو العلو الذي يثبت به أهل السنة والجماعة ولا ينكرونه، وهو  
 - المكانة والملك والسلطان. لا علو الجسم والحيز والمكان، الذي ينسبه المجسمة إلى الله  
 -عنى ويدعون أنه قول سلف الأمة، ثم يشنعون على أهل السنة الأشاعرة والماتريدية أنهم  
 -كروا العلو مطلقاً، وهم بريئون من هذه التهمة الباطلة.

### ٤- ويل الإمام ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ):

قال ابن حبان في صحيحه عند كلامه عن حديث: «حتى يضع الرب قدمه فيها» [أي

(١) سنن الترمذي: (٥٨١/٥).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي: (٧٢/٢)..

(٣) تفسير الطبري: (٤٣٠/١).

جهنم]: «هذا الخبر من الأخبار التي أُطْلِقَتْ بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يُنْتَبِئ النار من الأمم والأمكنة التي يُعَصَى اللهُ عليها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب جرساً موضعاً من الكفار والأمكنة في النار فتمتلئ، فتقول: قط قط، تريد: حسبي حسبي. — العرب تطلق في لغتها اسمَ القدم على الموضع. قال الله جل وعلا: ﴿قَدَّمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهَا﴾ [يونس: ٢] يريد: موضع صدق، لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار، جل ربنا وتعزُّر مثل هذا وأشباهه»<sup>(١)</sup> اهـ

قلت: وتأويل ابن حبان لا يحتاج إلى شرح أولفت انتباهه، لكن المجسمة يشبتون من النص لله قَدَمًا ويسموها صفة بزعمهم.

والآثار عن السلف في تأويل النصوص الموهمة للتشبيه، أو في تفويض معانيها إلى تعالي ونفي الكيفية كثيرة وغزيرة، ولا أدري كيف لم يَرَهَا المجسمة قبل أن يدَّعُوا حُجْر السلف على إنكار التأويل والتفويض، ووصف من يسلكها بالابتداع. فإن كان المجسمة الأوائل لهم عذر بأنهم ربما لم تَصِلْهُمُ تأويلات الأئمة الأثبات، حيث كان زمانهم هو زمن البحث والتنقيب عن الآثار والأخبار، فما عذر المتأخرين الذين يجلسون اليوم في مساح مكيفة، يأتيهم ما يطلبون حيث يجلسون، وعندهم من الكتب ألوفا يقلبون صفحاتها يوم.!

(١) صحيح ابن حبان: (١/٥٠١).

## الفصل السادس

### تناقض مذهب المجسمة واضطرابه

لا يمكن أن تجد مذهباً صحيحاً سليماً ينتهج الحق والصواب ثم ترى فيه تناقضاً أو اعوجاجاً. فوجود هذا النوع من الخلل أمانة الخطأ والفساد.

وقد يقال في الرد على هذا الكلام: إن سوء تطبيق المذهب - أي مذهب - عند محاولة أتباعه تنزيل نصوصه وتطبيق قواعده على مسأله ربما يكون السبب في إظهار المذهب بصورة متناقضة متضاربة، فالإسلام نفسه يعاني من سوء تطبيق مقرراته، واختلاط فهم كثير من المسلمين لأصوله وفروعه ومقاصده وغاياته. فهل نستطيع القول بأن الإسلام دين متناقض، بسبب جهل بعض من يحاولون تطبيق ما يمليه عليهم؟  
أقول: هذا قولٌ حقٌّ يراد به باطلٌ.

نعم الكلام صحيحٌ في أن الحكم بصحة مذهب أو فساده لا شأن له بأخطاء أتباعه في تطبيقه، بل المعول في ذلك على قواعد وأصول ذلك المذهب نفسها، لا على شيء آخر.

لكن مذهب أدعياء السلفية ليس صحيحاً في أصله ثم وقع عليه التجني من أتباعه. بل هو في الأصل متناقض القواعد ومتضارب الأصول، فلا تكاد تجد فيه قاعدة واحدة مطّردة في فهم النصوص التي اختلفوا في فهمها مع أهل السنة. وقد أشرنا إلى بعض حالات التناقض أثناء التعليق على كلام المجسمة في الفصل السابق.

ولكي نزيل هذه الشبهة عن عقل مَنْ تُساورُهُ الشكوك، ولا يستطيع الوصول لرأي حاسم في هذا المذهب، سنذكر في المطالب التالية أبرز وجوه التناقض في مذهب الوهابية المجسمة مع عرض أمثلة يظهر فيها هذا التناقض بجلاء، فنفضّل ما جاء مجملاً، ونوضح ما ربما خفي على القارئ أثناء التعليق على كلامهم.



## المطلب الأول

### تردد المجسمة بين قبول التأويل ورفضه

ذكرنا أن هؤلاء المجسمة لم يثبتوا على موقفهم من التأويل وعَدَّه تعطيلًا وكفراً وإلحادًا، بل تجدهم يؤولون ويثبتون صحة التأويل في كثير من كلامهم، مما يؤكد عدم أطراد قواعدهم التي اعتمدوا عليها في التشنيع على التأويل والمؤولين.

وهاكم بعض النماذج التي يظهر فيها التردد الواضح في المسألة، نذكرها بشيء من التفصيل بعد أن أشرنا إلى تناقضهم في لمحات سريعة.

١ - من اضطرابهم أنهم في نص واحد ربما يلتزمون التأويل في موضع منه ويتمسكون بالظاهر في موضع آخر، فلا يثبتون على طريقة واحدة، ولا ينكشف لهم بهذا التقارب تباین هذين المسلكين.

فمن ذلك<sup>(١)</sup>: صنيعهم في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ أمر من يريد النوم بأن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ. أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ. أَقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا الحديث مقابلة بين وصف الله عز وجل بأنه الظاهر، مفسراً بأنه ليس فوقه

(١) وانظر مثالا آخر وهو تأويل شارح الطحاوية: (٢٤١) لقوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَامًا» [يس: ٧١] دون قوله: «لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ» [ص: ٧٥].

(٢) صحيح مسلم: (٢٧١٣)، وسنن الترمذي: (٣٤٨١)، وسنن أبي داود: (٥٠٥١)، وصحيح ابن حبان: (٩٦٦)، وغيرها.

شيء، وبين وصفه تعالى بأنه الباطن، مفسراً بأنه ليس دونه شيء. فيختارون في الرصد الأول مسلكاً وفي الوصف الآخر مسلكاً آخر ولا يرضون بعكسه.

ومن العجيب أن الحديث اشتمل قبل ذلك على مقابلة بين وصفين آخرين. الأول المفسر بكونه ليس شيء قبله والآخر الذي لا شيء بعده، فلم يعترضوا في الاستدلال بهذه المقابلة على تنزُّهه عن الوجود الزماني. ولما وصلوا إلى المقابلة التي يُفترض أن يتبهرج بها إشارتها إلى تنزُّهه عن الوجود المكاني، عدلوا عن ذلك وليراعوا حق هذه المقابلة التي تنبئ على تنزُّهه عن الوجود المكاني، لأن الظاهر الذي لا يكون شيء فوقه إذا كان هو الباطن تنبئ لا شيء دونه، فلا يُعقل أن يكون مختصاً بالمكان<sup>(١)</sup>، كما دلت المقابلة الأولى على تنزُّهه عن الوجود الزماني.

ونشير إلى تصريح ابن عثيمين في هذين المسلكين، حيث يقول: «الظاهر: من الضمير وهو العلو. الباطن: كناية عن إحاطته بكل شيء، ولكن المعنى أنه مع علوه فهو باطن، فعليه لا ينافي قربه عز وجل، فالباطن قريب من معنى القريب»<sup>(٢)</sup> اهـ.

فأنت ترى كيف كان الوصف الأول على ظاهره، وكيف صار الثاني كناية ومفسر بمعنى لا نعرف وجه تفسيره به في اللغة!

٢- من اضطرابهم أنهم يلتزمون تأويل لفظ في موضع، ويتمسكون بظاهره في موضع آخر.

فمن ذلك: أن أحدهم يتأول قول الله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. فيقول: «والمعنى: بمرأى منا ولا تغيب عنا، وليس المراد أنك بداخل أعيننا. وقد جاءت السنة بإثبات عينين لله تعالى يبصر بهما، كما في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: «إن ربكم ليس بأعور»<sup>(٣)</sup> يعني أن له عينين سليميتين من العور... ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

(١) انظر إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة: (٨٢)، ودفع شبه من شبهة وتمرد للحصني (١٩).

(٢) المحاضرات السنوية لابن عثيمين: (١/١٤٢).

(٣) متفق عليه.



نعني: أنه سيحفظها وسيحرسها ومن فيها... ﴿وَلُنْصَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] المعنى: سترّبي عنى مرأى منى. وليس في قوله تعالى «على عيني» دليل على أن الله عيناً واحدة، بل المقصود بذلك جنس العين لا عددها، لأنه ورد في السنة أن الله عينين حقيقيتين تليقان به، وأما عن زرودها في القرآن بصيغة الجمع وبصيغة الإفراد، فليس فيه دليل لأهل التحريف الذين يحرفون معناها إلى الحفظ والرعاية!!<sup>(١)</sup> اهـ.

ولا يخفى ما في هذا الكلام من التهاوت والتناقض. ففي صدر كلامه: التأويل بالعناية والحراسة. وفي آخره عدّ تفسيرها بالحفظ والرعاية من فعل أهل التحريف! ولا يتبين لنا كيف يميز بين هذه النصوص؟ فما الذي جعل الحديث مثبّثاً للعينين دون غيره من الآيات؟ ولو لا يقبل الحديث مثل ما قبلته الآيات الكريهات؟

ولا يخفى كذلك أن كلامه أبعد ما يكون عن التترّس بالصفة، لأن العين الحقيقية جارحة، خاصة إذا اعتمد على ما جاء في العين بصيغة التثنية، وغلبه على ما جاء في باقي الصيغ، وزاد على ذلك وصف العينين بالسلامة من العور.

٣- من غلطهم أنهم يتصرفون في بعض الظواهر بنحو التصرف الذي يُعرف بالتأويل، ولكن يسمونه تفسيراً.

فمن ذلك قول ابن تيمية: «إن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة. ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد. فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [سبأ: ٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ - إلى قوله - ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته»<sup>(٢)</sup> اهـ.

(١) التعليقات الزكية لعبد الله بن جبرين: (١٧٧-١٧٨). وانظر نحوه في «تنبيهات في الرد على من تأول الصفات» لعبد العزيز بن باز: (٢٦-٣٠).

(٢) الأسماء والصفات لابن تيمية: (٨١/٢).

وقال أيضاً: «ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره. ودلت الحال على أن حكم هذه المعية الإضـ والنصر والتأييد»<sup>(١)</sup> اهـ.

وفي هذا النص السابق يصل ابن تيمية رحمه الله إلى النتيجة التي يصل إليها أهل السنة بالتأويل، ولكن لا يسلم أن الوصول إلى هذه النتيجة يحصل بصرف اللفظ عن ظاهره. معنى آخر يحتمله. ويصرح بأن الإطلاع والعلم والنصرة هي حكم المعية ومقتضاها، وهذا هو ما نسميه تأويل المعية. فيكون ابن تيمية هنا قد اختار مسلك التأويل، وزاد على نفسه عند الحاجة إلى إثبات أن هذا الذي سماه حكم المعية هو ظاهر الخطاب وحقيقته، فاللغة لا تسعد على ذلك، ولو ساعدت على ذلك لم تقتصر على هذا الموضع.

ومهما اختلفت الاصطلاحات في الظاهر والتفسير والتأويل، فإنه لو عوملت جميع النصوص الواردة في الباب بمثل ما عوملت به آيات المعية، لكان النزاع بين ابن تيمية والمؤولين نزاعاً لفظياً فقط.

٤- ومن الأمثلة على تأويل ابن تيمية قوله في الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] «هو قرب ذوات الملائكة، وقرب علم الله»<sup>(٢)</sup>. وقال: «وأما من ظن أن المراد بذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد، إذ أن ذاته أقرب فهذا في غاية الضعف»<sup>(٣)</sup>.

وهذا تأويل أيضاً، لأن ظاهر اللفظ يدل على إسناد القرب إلى الله عز وجل، وتفسيره بقرب الملائكة صرفاً للفظ عن ظاهره.

(١) الأسماء والصفات لابن تيمية: (٢/ ٨١)، (٢/ ٢١١)، وانظر الفتوى الحموية لابن تيمية، ص: (١٧١)، وانظر نقد ابن جهيل له في طبقات الشافعية للسبكي: (٩/ ٥٨). وانظر متابعة المعاصرين لابن تيمية في هذه النقطة في تبيهاات في الرد على من تأول الصفات لعبد العزيز بن باز، ص: (٢٦-٣٠). وابن رجب وأثره في توضيح عقيدة السلف للدكتور عبد الله الغفيلي: (١/ ٢٤٤).

(٢) الأسماء والصفات لابن تيمية: (٢/ ٩٨).

(٣) المصدر السابق: (٢/ ٣٤٩). وانظر نحوه في شرح حديث النزول: (١٣٠). وانظر متابعته في الأجوبة المفيدة لعبد الرحمن الجطيلي: (٦١).



٧- ومنه أيضا قول ابن باز: «ويعلم أن تفسير النسيان بالترك ليس من باب التذير.

ولكنه من باب تفسير النسيان في هذا المقام بمعناه اللغوي، لأن كلمة النسيان مشتركة يختص معناها بحسب مواردها، كما بين ذلك علماء التفسير»<sup>(١)</sup> اهـ.

٨- بل إن ابن عثيمين يصرح بجواز صرف اللفظ عن ظاهره ويسميه تفسيراً.

فيقول في جواب سائل سأله عن تأويل قوله تعالى: ﴿يُدْأَلُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح]:

«ينبغي أن يُعلم أن التأويل عند أهل السنة ليس مذموماً كله، بل المذموم منه ما لم يدل عليه دليل، وما دل عليه دليل يسمى تفسيراً، سواء كان الدليل متصلاً بالنص أو منفصلاً عنه. فصرف الدليل عن ظاهره يسمى تفسيراً. فصرف الدليل عن ظاهره ليس مذموماً عي الإطلاق. ومثال التأويل بالدليل المتصل: ما جاء في الحديث الثابت في صحيح مسلم في قوله تعالى في الحديث القدسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تُعِدْنِي. قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ عِبْدِي فَلَانًا مَرِضٌ فَلَمْ تُعِدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عِدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ. يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عِبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ اسْتَسْقَيْتَ عِبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»<sup>(٢)</sup>. فظاهر الحديث أن نية نفسه هو الذي جاع وهو الذي مرض، وهذا غير مراد قطعاً، ففسر الحديث بنفس الحديث»<sup>(٣)</sup> اهـ.

وهذا ينسف بالكلية جميع ما صرحوا به من تقديس الظاهر والتمسك به، وإبطن

(١) تنبيهات في الرد على من تأول الصفات لعبد العزيز بن باز: (٤٢)، وانظر نحوه في التنبيهات السنوية لعبد

العزيز بن ناصر: (١/١٦٥).

(٢) مسلم: (٢٥٦٩).

(٣) مجموع فتاويه: (١/١٦٨).

فصل السادس: تدقّض مذهب المجسّمة واضطرابه ٢٧٧

صرف اللفظ عن ظاهره، وفيه التصريح بأن من الظاهر ما هو غير مراد قطعاً، وفيه التذبذب في عد بعض التأويل محموداً بعد أن كان تعطيلاً وطاغوتاً. من غير تبيين للمعيار الذي يميزون به بين الحق والباطل في التعامل مع النصوص التي ترجع إلى باب واحد.

ونحن ندعو بعد هذا التصريح إلى نبذ لفظ التأويل بالكلية ثم نستعرض هذه النصوص، فلا نعدل عن ظاهر من ظواهرها إلا بدليل كما اشترط ابن عثيمين، ولا نذكر في ما نعدل عنه منها إلا دليلاً هو من جنس الدليل الذي قبله في هذا التفسير غير المذموم أو هو أقرب. فإن قبل بذلك، فما من خبر تأوّل أهل السنة لا يمكن إقامة الأدلة المنفصلة والمتصلة على جوازه.



## المطلب الثاني

### تناقضهم في إثبات الحقيقة اللغوية مع تفويض الكيفية

إن أدعياء السلفية وأمثالهم من المجسّمة إذا أثبتوا لله سبحانه وتعالى كل معاني هذه الألفاظ على ظاهرها وحقيقتها، فهم بذلك يجعلونه مركّباً من أجزاء؛ لأن المعاني اللغوية الحقيقية لهذه الألفاظ هي الجوارح المعروفة، أو التصرفات التي تقوم بها الأجسام من الحركة والنزول والصعود والجلوس والتواجد في أماكن.

فإن كانوا ينفون عن الله سبحانه أن تكون له جوارح كخلقه، أو أن أفعاله كأفعال خلقه، فقد بدأوا كلامهم بأن وصفوه بتعالى بما يلزم منه كونه جسماً مركباً من أجزاء وأعضاء على الحقيقة التي يفيدها اللفظ، ثم قالوا: ليست كالجوارح التي عندنا، ولا حركاته كحركاتنا!! ولا يخفى أن هذا الكلام يقض بعضه بعضاً!!

قال العلامة ابن خلدون هازئاً بهذا التناقض: «وَمَحَلُّهُم - أي أهل السنة - على هذا التأويل وإن كان مخالفاً لمذهب السلف في التفويض<sup>(١)</sup>: أن جماعة ارتبكوا في محمل هذه الصفات، فحملوها على صفات ثابتة لله تعالى مجهولة الكيفية. فيقولون في قوله تعالى ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: ثبت له استواءٌ بحيث مدلول اللفظ - أي على الحقيقة اللغوية والمعنى الحسي -، فراراً من تعطيله. ولا نقول بكيفيته، فراراً من القول بالتشبيه الذي تنفيه آيات السُّلُوب، من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣]، ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

ولا يعلمون مع ذلك أنهم ولجوا من باب التشبيه في قولهم بإثبات استواءٍ - يعني

(١) يقصد المذهب السائد عند السلف، أو الذي عليه أغلب السلف.

٢٨٠ **الاتِّصَارُ لِأَهْلِ السَّنَةِ وَكَشْفُ مَذْهَبِ أَدْعِيَاءِ السَّنَةِ**  
 ظاهره اللغوي وحقيقته المعهودة عند الخلق- والاستواء عند أهل اللغة إنها موضوع-  
 الاستقرار والتمكن، وهو **جَسْمَانِي** (١).

وأما التعطيل الذي يُشَنِّعُونَ بِالْإِزْمَامِ، وهو تعطيل اللفظ -أي ظاهره المتبادر من  
 الذهن- فلا محذور فيه، وإنما المحذور في تعطيل الإله (٢). ثم يدَّعون أن هذا مذهب السلف.  
 وحاشا لله من ذلك. وإنما مذهب السلف ما قررناه أولاً من تفويض المراد بها إلى الله.

ثم طَرَّدُوا ذَلِكَ الْمَحْمَلِ الَّذِي ابْتَدَعُوهُ فِي ظَوَاهِرِ: [الوجه، والعينين، واليدين.  
 والنزول، والكلام بالحرف والصوت]، يجعلون لها مدلولات أعم من الجسمانية، ويتزَّهون  
 عن مدلول الجسmani منها. وهذا شيء لا يُعرف في اللغة. وقد درج على ذلك الأول والآخِر  
 منهم، وناقَرَهُمْ أَهْلُ السَّنَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَالْحَنْفِيَّةِ وَرَفَضُوا عَقَائِدَهُمْ فِي  
 ذَلِكَ (٣) اهـ.

كذلك قال العلامة الزُّرْقَانِيّ عن هذا التناقض: «ثم إن هؤلاء -يعني القائلين بالحقائق  
 اللغوية- متناقضون، لأنهم يثبتون تلك التشابهات على حقائقها، ولا ريب أن حقائقها  
 تستلزم الحدوث وأعراض الحدوث، كالجسمية والتجزؤ والحركة والانتقال. لكنهم بعد أن  
 يثبتوا تلك التشابهات على حقائقها ينفون هذه اللوازم. مع أن القول بثبوت الملزومات ونفي  
 لوازمها تناقض لا يرضاه لعنه عاقل، فضلاً عن طالب أو عالم».

فقولهم في مسألة الاستواء: «إن الاستواء باق على حقيقته»، يفيد أنه الجلوس  
 المعروف، المستلزم للجسمية والتحيز. وقولهم بعد ذلك: «ليس هذا الاستواء على ما نعرف».

(١) أي من صفات الأجسام وخصائصها.

(٢) قال الأستاذان حمد السنان وفوزي العنجري تعليقا على كلام الشيخ ابن خلدون: أي نفي صفاته تعالى كأن  
 يقال: لريستو أو غير مستو، أو ليس لله يدان أو وجه أو لا يغضب أو لا يحب ونحو ذلك مما وقعت به بعض  
 الفرق المعطلة فهذا هو المحذور، أما نفي الظاهر المحال وإثبات الصفة التي أثبتها الله تعالى لنفسه أو أثبتها له  
 رسوله عليه الصلاة والسلام فليس بمحذور، وهذا ما فعله أهل السنة الأشاعرة.. انظر: «أهل السنة  
 الأشاعرة.. شهادة علماء الأمة وأدلّتهم»، ص: (٢٠٠).

(٣) مقدمة ابن خلدون: (٢٧٨).



نفضل السادس: تبقض مذهب المجسمة واضطرابه. فكأنهم يقولون: إنه مستو غير مستو، ومستقر على العرش غير مستقر، أو متحيز غير متحيز، وجسم غير جسم، أو أن لا استواء على العرش ليس هو الاستواء على العرش، والاستقرار فوقه ليس هو الاستقرار فوقه!!»<sup>(١)</sup> اهـ.

وقال الإمام النووي ناقلا عن المازري: «العجب من ابن قتيبة في قوله: «صورة لا كالصور». مع أن ظاهر الحديث على رأيه يقتضي خلق آدم على صورته، فالصورتان على رأيه سواء. فإذا قال: «لا كالصور» تناقض قوله، ويقال له أيضا: إن أردت بقولك صورة لا كالصور أنه ليس بمؤلف ولا مركب، فليس بصورة حقيقة وليست اللفظة على ظاهرها، وحيثذ يكون موافقا على افتقاره إلى التأويل»<sup>(٢)</sup> اهـ.

قلت: ولا يستقيم أبدا تفويض الكيفية مع إثبات الحقيقة اللغوية، فالحقيقة اللغوية بمعناها الحسي متضمنة للكيفية التي هي صورة للمراد.

فمن قال مثلا أن لفظ اليد على حقيقته اللغوية. فهذا معناه أنها الجارحة المركبة من عظم ولحم وعروق ودم وأصابع. فإن فوض العلم بكيفيتها، فهو لا زال قائلا بالتجسيم، ولم يخرج من دائرته، لأن الكيفية صورة وهيئة كما سبقت الإشارة إليه.

فكيفيتها على هذه الحال: إما أن تكون سليمة خالية من العيوب، أو أن بها عيبا يمنع سلامتها.

وفي حال السلامة: قد تكون ذات حجم كبير أو صغير، أو بيضاء أو سوداء أو صفراء، أو نظيفة أو متسخة، أو غير ذلك.

وفي حال العيب: إما أن تكون مصابة بمرض أو قطع أو حرق أو تورم أو تقرح أو غير ذلك.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني: (٢/ ٢٩٢).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: (٦/ ١٦٦).

وكل ذلك لا يخرج عن التجسيم والتشبيه بين الخالق والمخلوق. وتفويض كلفته من تفويض هيئة من هذه الهيئات لا غيرها!!

فالقوم إما أنهم جهال حتى يقولوا مثل هذا الكلام المتناقض، وهو حال الكثيرين منهم، والجهل أفضل الأعذار في هذه الحالة. وإما أنهم يعرفون استحالة نفي الجسبية بتفويضهم للكيفية، الذي لا يغني في هذا المقام، لكنهم لا يجهرون بذلك أمام الناس ولا يمد طلبتهم، خوفاً على مناصبهم ورتاساتهم وما اكتسبوه من الجاه عند الناس!

## المطلب الثالث

### تعطيّلهم بعض النصوص لحساب نصوص أخرى

ليست أولى منها بالإعمال:

بعد كل ما نقلناه عن السلف الصالحين رحمهم الله تعالى من نصوص التفويض والتأويل لنصوص المتشابهات ونفي الكيفية عنها، تبين لنا أن أدعياء السلفية افتروا كذباً على الله ورسوله وعلماء الأمة وعوامها، حين بنوا مذهبهم في صفات الله تعالى على طريقة عوراء، تَبَصَّرُ بعض النصوص وتَعَمَّى - أو تتعمى - عن بعضها، بل عن أكثرها.

وتراهم كثيرا يتهمون أهل السنة بالتعطيل - وحاشاهم -، لأنهم يريدون أن يعترف أهل السنة باتصاف الله تعالى ببعض صفات المخلوقين التي ذكرنا بعضها في المباحث السابقة، فيقولون: إن من ينكر بعض صفات الباري فهو معطل لها.

وقد بيّنا ونقلنا أقوال أهل العلم من السلف والخلف في الرد على مذهبهم الباطل، وأن تلك الألفاظ هي إضافات نَسَبَهَا الله إلى نفسه على وجه لا تَثْبُتُ به صفة إلا من خلال السياق، والصفة ليست جارحة. ولا حاجة لنا في تكرار النقل هنا. على أننا سننقل من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة ما يثبت أن المجسّمة هم الذي يعطلون نصوص الله تعالى ونصوص رسوله ﷺ، فَيُعْمِلُونَ بعضها ويرفضون بعضها!!

ولنأخذ مثالا ما يثبتونه من اتصافه تعالى بالتواجد في جهة فوق دون غيرها من الجهات الست المعروفة، فعلى هذه الصفة تدور رحى الخلاف، وبسبب اعتقادهم فيها نشأ النزاع بين أهل السنة وبينهم.

أولا: بعض النصوص التي تفيد ظواهرها وحقائقها اللغوية أن الله تعالى في جهة فوق

دون بقية الجهات:



مِنْ شَطِئِي أَوْلَادِ الْإِيمَانِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّ إِفْتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ  
 حَيْتُ ﴿ [القصص: ٣٠]، ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨]، ﴿إِنِّي  
 كَمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذِ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ  
 اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ  
 - سِتْمٌ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجْهُ  
 - [البقرة: ١١٥].

وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قِبَلَ  
 حَيْثُ إِذَا صَلَّى»<sup>(١)</sup>، «إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيْعًا قَرِيْبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»<sup>(٢)</sup>، «الَّذِي تَدْعُوْنَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ  
 - مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ»<sup>(٣)</sup>، «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي»<sup>(٤)</sup>، «أَنَا مَعَ  
 - نِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتَاهُ»<sup>(٥)</sup>، «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»<sup>(٦)</sup>،  
 - حَيْثُ اللَّهُ تَجِدُهُ مُجَاهَكَ»<sup>(٧)</sup>، وفي الحديث القدسي يقول تعالى لعبده وهو يحثه على عيادة  
 - جس: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ آتَيْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ»<sup>(٨)</sup>.

فأقول: كل هذه النصوص لو أثبتنا حقيقتها نكون قد جعلنا الله تعالى في الأرض على  
 - حَيْثِيَّة. لأن الساجد يسجد على الأرض، والمصلي يصلي على الأرض، والقبلة على الأرض،  
 - حَيْثِي يواجه الكعبة التي هي في الأرض، والذين يتناجون يتناجون على الأرض، والذين  
 - سِرَ مَا لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنَ الْقَوْلِ يبيتونه وهم على الأرض، وموسى وهارون عليهما السلام

متفق عليه.

متفق عليه.

مسلم: (٢٧٠٤).

متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام (٤٥٢): ذكره البخاري تعليقا وصححه ابن حبان. وصححه تقي الدين  
 - نغزي في إقنان ما يحسن: (١/١٢٤). والألباني في صحيح ابن ماجه: (٣٠٧٤) وصحيح الترغيب:  
 - (١٤٩٠) وغيرهما.

مسلم: ٤٨٢.

صحيح: سنن الترمذي (٢٥١٦)، وغيره.

مسلم: (٢٥٦٩).

كانا على الأرض، ومحمد ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه كانا في الغار الذي هو على الأرض. والشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام على الأرض!

## التعامل الأمثل مع هذين النوعين من النصوص:

يقول الدكتور عمر عبد الله كامل: «إذا أردنا أن نتعامل مع النصوص التي تثبت الكون العلوي والتي تثبت الكون السفلي. فليس أمامنا إلا مسلكين:

### (أ) المسلك الأول: الأخذ بظواهر النصوص جميعا:

ويلزمنا حينئذ: إما الترجيح بين أدلة الكون السفلي وأدلة الكون العلوي، وإما الجمع بينها.

### أولا: الترجيح بين الأدلة:

بالنظر إلى أن النصوص الدالة على الكون السفلي أكثر من النصوص الأخرى، فيكون الله سبحانه موجودا في الأرض بذاته. وهذا لا نقول به، لمنافاته التنزيه.

### ثانيا: الجمع بين النصوص الدالة على الكون العلوي والسفلي:

فيكون الله سبحانه موجودا بذاته في كل مكان في أرضنا والأرض السابعة وفي السماء وفوق العرش، كما تدل عليه الظواهر والحقايق اللغوية في تلك النصوص: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]. ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]. وهذا أيضا لا نقول به لمنافاته للتنزيه.

### (ب) المسلك الثاني: التنزيه:

وهو مذهب أهل الحق.

وهو أن الله تعالى منزّه عن المكان والحدود والتحيّز وما إلى ذلك، فهو سبحانه كان موجودا وليس ثمة عرش ولا سماء ولا أرض. كما قال ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ»<sup>(١)</sup>. ولم يحدث أو تتجدد له سبحانه صفة بعد خلقها، وهو الآن على ما عليه كان.

(١) صحيح البخاري: (٣١٩١).

وإذا كانت النصوص الدالة على الكون السفلي مصروفة عن ظاهرها بقريظة تنزيه الله وتعظيمه، وتفسر فيها المعية أو الأقربية المذكورة بمعية العلم أو النصرة أو التأييد، وكذلك الأقرية وغيرها حسب القرائن الواردة في نفس النصوص. فكذلك النصوص الواردة في الكون العلوي في السماء أو على العرش مصروفة بالقرائن الواردة في نفس النصوص. لأن التواجد في مكان أو جهة كلها من صفات المخلوقات الحادثة بعد العدم<sup>(١)</sup> أه ببعض التصرف.

قلت: إذن الطريق الوحيد السديد للتعامل مع التعارض الواضح في مدلولات ظواهر تلك النصوص هو أن نفهمها كما فهمها العرب الأوائل من الصحابة والتابعين، فنحملها على المعاني المجازية التي تدل عليها القرائن وسياقات النصوص. وإلا فإننا بذلك نلغي بعض النصوص لحساب بعضها الآخر بغير دليل، ونكون ضرينا كلام الله تعالى بعضه ببعض، على وجه يقتضي تكذيب البعض الذي تركناه. وحاشاه سبحانه ثم حاشاه أن يكون في كلامه كذب، بل هو أصدق القائلين.

(١) نقض قواعد التشبيه، د. عمر عبد الله كامل: (١١٣-١١٤).





## المطلب الرابع

### ترجيحهم بعض محامل اللفظ على البعض الآخر

#### المساوي له بدون دليل:

وبقيت نقطة أيضا في هذا الموضوع، وهي أننا لو حملنا النصوص التي يثبتون ظواهرها وحقائقها اللغوية لله تعالى لوقعنا في تعارض وتناقض شديدين، سواء في نصوص الكون العلوي والسفلي أو في بقية النصوص، التي تدل على أن الله تعالى له جسم أو أجزاء وأعضاء.

فالقوم أثبتوا لله تعالى يدين اثنتين بقوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. فنقول لهم: لماذا اقتصرتم على يدين اثنتين فقط، والله تعالى ذكر أيادٍ كثيرة، كما ورد في قوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١]. فإن النص يثبت أياد كثيرة.

فإن قالوا: إن أقل الجمع اثنان، فنحن نثبت بالجمع يدين اثنتين. قلنا: إن النص إن كان يدل على عقيدة - وهو عندكم كذلك - فلا بد فيه من البيان المفصل، وهذا ما تطالبون به مخالفكم دائما. ثم إنكم بهذا تؤولون ظاهر لفظ الجمع وتحملونه على لفظ الثنية، وليس أحدهما أولى بالحمل على الآخر منه!

إذن، فيجب أن ننفي المعنى الحسي ونتخطى الحقيقة اللغوية، ونجد معنى آخر من خلال السياق، تقره الآية ولا يتناقض مع التنزيه.

وأثبتوا كونه تعالى فوق العرش فوقية حقيقية باستقرار وتمكّن وفوقية مكان من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. فنقول لهم: إن العرش فوق السماوات السبع كما هو معلوم، وقد قال تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقد أثبتتم أنه في السماء من هذه الآية. أفلا تستقرون على رأي في المسألة، وتقولون هل هو في السماء أم فوق السماء؟

فإن قالوا: «في» بمعنى «على» كقوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعٍ



النَّخْلِ ﴿طه: ٧١﴾، ويريد على جذوع النخل. قلنا: ليس أحد المعنيين بأولى من الآخر في الحمل، فلا شيء يمنع من تجويف النخل أو فلقه والصلب في جوفه أو في شقه. وإن لم يكن كذلك، فالقول هنا كالقول في المسألة السابقة!

فلا بد أيضاً أن ندير ظهرنا لما يتأتى منه التشبيه ونُقْبِلَ على ما يؤكد التَّزْيِيهَ.

وأثبتوا كونه تعالى على العرش بذاته كما سبق، وأثبتوا نزوله في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا.

فقول لهم: إن الليل لا ينتهي من الأرض أبداً، لأننا إذا كنا في مكة الآن وكان الوقت هو الثلث الأخير من الليل، فإن الوقت نهار في طوكيو مثلاً، فيقتضي ذلك كونه على العرش بالنسبة لسكان طوكيو، وفي السماء الدنيا بالنسبة لأهل مكة! وكما هو معروف، فسيتقرر الليل تدريجياً من مكة حتى يصل إلى طوكيو. ففي تلك الأثناء سيكون فوق العرش بذاته، وتحت العرش بذاته في السماء الدنيا، كل ذلك في الوقت ذاته!

وهذا ما لا يقوله عاقل أبداً، فضلاً عن أن يقوله مسلم يتزّه ربه تعالى من مشابهة خلقه، بل من متناقضات خلقه.

## الفصل السابع الكلام على الظاهر

أفردتُ الكلامَ عن هذا المبحث لأن القوم يُكثِّرون الطعن في المجاز، والتشنيعَ على من قال بشبوته، حيث أنكروه وأدَّعَوْا عدم وجوده في القرآن والسنة، بل وبالغ بعضهم فأنكر أن تكون اللغة كلها فيها مجاز!

فيدعي المجسمة: أن أهل السنة الأشاعرة والماتريدية يفسرون بعض آيات القرآن والأحاديث التي تتحدث عن صفات الله عز وجل بالمجاز، لأنهم يرفضون الحقيقة التي هي ظاهر القرآن والسنة، وهذا يعني أن ظاهر كلام ربنا سبحانه وكلام رسوله ﷺ تشبيه وتجسيم، فلا بد من صرفه للمجاز. وفي هذا تهمة لكلام ربنا وكلام رسوله ﷺ وتشكيك فيهما، وإذا انفتح باب القول بالمجاز ستضطرب العقيدة، ويفسَّر كل شيء بالمجاز الذي لا ضابط له، فتضيع العقيدة والشريعة، ونخشى أن يقولوا لنا بعد ذلك أن الله تعالى نفسه مجاز.

وهذه شبهة يتأثر بها الكثيرون، خاصة مع عموم الجهل المنتشر باللغة العربية وفنونها في عصرنا. والحقيقة أن المجاز جزء لا يتجزأ من اللغة العربية، بل ومن جميع اللغات، وحتى اللهجات العامية.

كما أن سبب عمل أهل السنة بالمجاز ليس كونهم يرفضون الظاهر على إطلاقه، بل لأنهم يرفضون ما يدل على التجسيم، مما يتوهم البعض أنه ظاهر النص، وهو في الحقيقة ليس ظاهراً.

وسنوضح سبب الخلط الحاصل في أذهان من تأثروا بتلك الشبهة، لذلك فإن بيان المقصود بالظاهر غاية في الأهمية هنا.

والمسألة أصلاً لغوية بحتة، قررها علماء اللغة وبينوها، من قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب، بل ومن قبل ابن تيمية أيضاً بعدة قرون.

فمن المتفق عليه أن اللفظ إذا لم يحتمل إلا معنى واحداً، أو كان يحتمل عدة معانٍ، لكن دلالاته على أحد تلك المعاني أقوى من دلالاته على غيره، ولم تكن هناك قرينة في السياق تدل على معنى آخر، فإن المعنى الظاهر المتبادر للذهن هنا يسمى نصاً، ويعني الحقيقة اللغوية أو المعنى القاموسي لِلْفَظِ المذكور، ولا يعني شيئاً آخر على الإطلاق.

لكن ليست كل ألفاظ القرآن والسنة واردة على نفس الأسلوب، بل ثَبَتَ أن الألفاظ تختلف دلالتها، وثَبَتَ أن اللفظ الواحد قد يكون له معنى في سياق معين، وله معنى آخر في سياق آخر.

يقول الدكتور عمر كامل: «والسبب في ذلك: أن المعاني المختلفة لنفس اللفظ لا تكون واضحة أو راسخة في ذهن المستمع بنفس القوة، ولا تتوارد هذه المعاني على ذهنه عند سماع اللفظ بنفس السرعة، بل تتوارد المعاني الحسّية أولاً إن وُجِدَتْ، ثم إن كانت هناك قرائن في السياق تشير إلى أن المتكلم يقصد معنى آخر فسيوجه ذهنه مباشرة إلى ذلك المعنى، وهذا المعنى الجديد هو المعنى المرجوح لغوياً، إذ أن ذهنه لم ينصرف إليه إلا بعد أن فحص المعنى الأول ووجد أن كل الشواهد تدل على أن المتكلم لا يقصده.

قال الإمام الشافعي: «ومنه -أي القرآن- ظاهر يُعَرَّفُ في سياقه أنه يراد به غير ظاهره»<sup>(١)</sup>. أي: يراد به المعنى المرجوح، لأن السياق يدل على ذلك. وهذا اللفظ يسمى في تلك الحالة مُؤَوَّلًا. أي: آل إلى ذلك المعنى على سبيل المجاز»<sup>(٢)</sup> اهـ.

ويقول الإمام التلمساني: «اعلم أن القول إما أن يدل بالوضع على معنى واحد لا يحتمل غيره، وإما أن يحتمل معنيين. فإن دل بالوضع على معنى واحد فقط فهو النص، وإن احتمل معنيين ولم يكن راجحاً في أحدهما فهو المُجْمَل، وإن كان راجحاً في أحدهما من جهة لفظه وضعاً فهو الظاهر»<sup>(٣)</sup> اهـ.

(١) الرسالة للإمام الشافعي: (٥٢).

(٢) نقض قواعد التشبيه، د. عمر عبد الله كامل: (٩٢-٩٣)، بتصرف يسير.

(٣) مفتاح الأصول للإمام أبي عبد الله التلمساني المالكي: (٦٢).

ويقول الشيخ محمد الحسن الددو: «الظاهر قسامان: ظاهر من جهة اللفظ، وظاهر من جهة الدليل، أي: دل الدليل على ظهوره في المعنى الآخر المرجوح الذي كان خفياً فيه، فيسمى ظاهراً فيه»<sup>(١)</sup> اهـ.

نخلص مما سبق إلى أن الألفاظ التي لا إشكال فيها، على قسمين عند الأصوليين:

١- نص: وهو ما أفاد معنى واحدا لا يحتمل غيره، مثل قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحُجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فلفظ الثلاثة ولفظ السبعة يدلان بمعناهما القاموسي - وهو الحقيقة اللغوية - على عددین معروفین.

٢- وظاهر: وهو اللفظ الذي يحتمل أكثر من معنى .

ويكون راجحاً في أحد هذه المعاني، عند خلوّ الكلام من قرينة تدل على معنى من المعاني الأخرى .

مثل لفظ اليد في قوله تعالى: ﴿فَاعْسِلْوْا وُجُوْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. فاليد يُقصد بها هنا الجارحة المركبة من لحم ودم وعروق وغير ذلك، ولا يقصد بها أي معنى آخر من معانيها، كالنعمة والقدرة والفضل، لأن السياق يؤيد ذلك، ويخلو من أي قرينة تصرف لفظ اليد عن المعنى الراجح إلى معنى مرجوح. ويلتحق الظاهر هنا بالنص، لأنه أفاد حقيقة اللفظ التي وضع لها في الأصل.

فإن وُجِدَت قرينة في السياق تدل على إرادة المعنى المرجوح، كان الأصح هو صرف الظاهر من المعنى الراجح إلى المرجوح، ويتحول المرجوح هنا راجحاً بسبب تلك القرينة، ويكون الظاهر هنا مؤوَّلاً.

مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]. فاليد هنا ليست الجارحة، لأن القرينة القرآنية في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] تثبت أنه

(١) بلفظه من شرح متن الورقات (مسموع) - محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي، الشريط السادس.

لا يشبه خلقه في أنه له أعضاء مثلهم كاليد وغيرها، وكذلك القرينة العقلية تقطع باستحالة أن تكون لله يد حقيقية يضعها فوق أيدي عباده وهم يتبايعون ويتعاهدون، وسياق النص في الأصل إخبارٌ عن وقوع بيعة بين النبي ﷺ والمؤمنين، وأن الرب سبحانه راضٍ عن البيعة وينسبها إلى نفسه. لذلك فالأصح أن يكون المعنى هنا هو تأييد الله تعالى ورضاه عن تلك البيعة، وهذا ما يسميه أهل اللغة المجاز.

وذهن السامع عند سماع لفظ «اليد» يتبادر إليه المعنى الراجح أولاً، فإن وجد قرينة تدل أن المعنى الراجح غير مراد انصرف إلى المعنى المرجوح الذي تدل عليه القرينة. وكلا المعنيين يسمى ظاهراً، سواء كان راجحاً أو مرجوحاً، كل منهما باعتبار. فالراجح من حيث الاصطلاح على تسميته بالظاهر، والمرجوح من حيث دلالة السياق عليه حتى أصبح راجحاً، وصار واضحاً وظاهراً أنه هو المراد من السياق لا المعنى الأول.

فابن تيمية وشيعته يقولون: الظاهر هنا هو الحقيقة اللغوية التي يفيدها المعنى القاموسي للفظ اليد، ولا يقصدون ظاهراً غيره عندما يقولون نحمل النصوص على ظواهرها، وليس للفظ اليد معنى قاموسياً سوى الجارحة، وهذا مذهبهم في بقية النصوص الموهمة للتشبيه، كما سبق ونقلنا عن أكابرهم القدماء والمعاصرين.

وأهل السنة الأشاعرة والماتريدية يقولون: بل الظاهر هنا هو التأويل الذي دلت عليه القرينة، وليس الجارحة؛ لأن دلالة لفظ اليد على الجارحة -عند التحقيق-، هي من باب النص وليست من باب الظاهر.

ولأن كلا المعنيين يسمى ظاهراً كما سبق وأشرنا، تجد بعض أهل السنة إذا أراد الكلام مع المجسمة عن قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] مثلاً، يقول: إن الظاهر ليس مراداً، أو يقول اللفظ مصروف عن ظاهره. ويقصد به الظاهر عند ابن تيمية وشيعته، الذي هو في هذه الحالة المعنى القاموسي والحقيقة اللغوية للفظ، وذلك لكي يفهموا عنه ما يقول. طالما يصرون على تسمية النص والحقيقة ظاهراً. ومن هذا الباب قول الإمام الشافعي: «ومنه ظاهر يُعَرَّفُ في سياقه أنه يراد به غير ظاهره».



فاستغل ابن تيمية والمجسمة مجازاة أهل السنة لهم في الاصطلاح، وراحوا يشنعون عليهم بأنهم ينفون الظواهر، ويدعون أن ظواهر القرآن والسنة تجسيم. فإذا سمع هذا الكلام إنسان ليس له اطلاع في علوم العقيدة وقرأ نفي أهل السنة للظاهر، وقع في قلبه صدق ابن تيمية والمجسمة، فيقول في نفسه: إن هؤلاء يتهمون كلام الله بأن ظاهره يؤدي إلى التجسيم.

وعلى ذلك، راح هو وشيعته يثبتون لله تعالى صفات الأجسام التي يقدرُونَ على إثباتها. وَمَنْ تَعَرَّضَ لَهُمْ وحاول الرد عليهم وتصحيح رأيهم رفعوا في وجهه سيف التشنيع، واتهموه بأنه يزعم أن كلام الله تعالى ورسوله يدل ظاهره على التجسيم، وأن في ذلك كفرا بالله ودعوة صريحة إلى تعطيل القرآن والسنة، وفتحاً لِيَابِ التحريف والإلحاد!

وهذا الباب دقيق جدا في ملاحظته، فانتبه رعاك الله إلى المقصود من نفي المعنى لظاهر، حتى لا يخذلك المجسمة ويصرفونك عن مسلك أهل السنة<sup>(١)</sup>.

### أمثلة من كلام ابن تيمية عن الظواهر يلزمه بها إبطال كل ما أطال في تقريره:

يقول الدكتور صهيب السقار<sup>(٢)</sup>: من الغريب الشديد الغرابة أن ابن تيمية نفسه ينقض مذهبه الذي أطال في تقريره، فيلتقي مع المؤولين على نفي الظواهر. وسنستشهد بخمسة أمثلة من كلامه هو لا من كلام غيره.

المثال الأول: أنه يتحدث عن افتراق الناس في التزام الظواهر، فيذكر من اختار الإقرار بالنصوص ولم يصرف واحداً فيها عن ظاهره. فيقول: «لكنه غلط أيضاً»<sup>(٣)</sup>. وهذا اعتراف منه بوجود العدول عن بعض الظواهر وهو التأويل.

(١) للاستزادة والتفصيل في الكلام عن الظاهر عند أهل السنة وعند المجسمة وتوضيح الفرق بين قصد كل منها، انظر: نقض التدمرية لشيخنا العلامة الأستاذ سعيد فودة، وكذلك نقض قواعد التشبيه للدكتور عمر عبد الله كامل، فقد كفيًا ووفياً في هذا المبحث جزأهما الله خيراً.

(٢) التجسيم في الفكر الإسلامي - د. صهيب محمود السقار، رسالة دكتوراه - جامعة بغداد.

(٣) بيان تلبس الجهمية لابن تيمية: (١/٥٥٦)، وانظر نحوه في كتب ورسائل ابن تيمية في العقيدة:

المثال الثاني: أنه يزعم أن ظاهر الكلام قد يكون ظهوره بسياق الكلام على خلاف الوضع، وهو المجاز. فيقول: «ظاهر الكلام: هو ما يسبق إلى العقل السليم منه لمن يفهم بتلك اللغة. ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع، وقد يكون بسياق الكلام»<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً: «واعلم أن من لم يُحْكَمْ دلالات اللفظ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي، إما في الألفاظ المفردة وإما في المركبة، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من التركيب الذي تتغير به دلالاته في نفسه، وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعله مجازاً»<sup>(٢)</sup>.

فيقال: كيف تمنع من اختار التأويل إذا ادعى أن الذي يسبق إلى العقل السليم منه لمن يفهم بتلك اللغة، إن كان ظهوره بمجرد الوضع فهو التشبيه لا محالة، وإن كان بسياق الكلام فهو التأويل.

فلَمَّا أوجبت إمرار النصوص على ظاهرها وحصرت طرق الظهور بما ذكرت، تَعَيَّنَ أن يكون الإمرار على الظاهر بالوضع أو بالتركيب والقرائن، وليس في أحدهما ما يدل على المسلك الذي اخترته؛ لأن هذه الألفاظ وُضعت في اللغة لتدل على الجوارح والأعضاء، فلا يكون حملها على الظاهر بالوضع دالاً على الصفة، وإن حُمِلت على الظاهر بالسياق والتركيب فهو التأويل بالمجاز.

ويذكر ابن تيمية رحمه الله تطبيقاً عملياً لما سبق، فيثبت المجاز ويحمل عليه اللفظ ويعده ظاهراً لا بالوضع. فيقول في أحد أنواع الألفاظ: «ما معناه مفرد كلفظ الأسد والحمار والبحر والكلب، فإذا قيل: أسد الله وأسد رسوله، أو قيل للبليد حمار أو للعالم أو السخي أو الجواد من الخيل بحر أو قيل للأسد كلب فهذا مجاز. ثم إن اقترنت به قرينة تبين المراد، كقول النبي ﷺ لفرس أبي طلحة: «إِنَّ وَجْدَنَا لَبَحْرًا»<sup>(٣)</sup>، وقوله: «إِنَّ خَالِدًا سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، سَلَّهُ

(١) الرسالة المدنية ضمن مجموع فتاويه ورسائله في العقيدة: (٦/٣٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (٣٣/١٨٢).

(٣) البخاري: (٢٤٨٤).



الله عَلَى الْمُشْرِكِينَ»<sup>(١)</sup>، وقول ابن عباس: «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ اسْتَلَمَهُ وَصَافَحَهُ فَكَاتَمَ بِأَيْعِ رَبِّهِ»<sup>(٢)</sup>، أو كما قال ونحو ذلك. فهذا اللفظ فيه تجوز.

وإن كان قد ظهر من اللفظ مراد صاحبه، وهو محمول على هذا الظاهر في استعمال هذا المتكلم، لا على الظاهر في الوضع الأول، وكل من سمع هذا القول علم المراد به وسبق ذلك إلى ذهنه بلا احتمال إرادة المعنى الأول، وهذا يوجب أن يكون نصاً لا محتملاً. وليس حمل اللفظ على هذا المعنى من التأويل الذي هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح في شيء، وهذا أحد مشاركات غلط الغالطين في هذا الباب، حيث يتوهم أن المعنى المفهوم من هذا اللفظ مخالف للظاهر وأن اللفظ متأول<sup>(٣)</sup> اهـ.

فما الذي يمنع مثل هذا التصرف في سائر النصوص؟ فبعد الاعتراف بثبوت التجوز في بعض ألفاظ الشارع، ما الفرق بين هذا المثال الذي جوّز فيه هذا التصرف وبين سائر النصوص التي منع تأويلها. فهو لم يبين ما يصلح فارقاً بين الاثنين إلا سبقَ الذهن إلى ظهور المجاز، وهذا مما تختلف فيه الأذهان، ويمكن معه للمؤول في كل نص سلك به مسلك التأويل أن يبين سبق الظاهر المجازي إلى ذهنه.

المثال الثالث: أنه اعترف بجواز العدول عن الطواهر، لكنه متوقف على أربعة أشياء، سلمنا في الأول والثاني والثالث، وأبطلنا تمسكه بالرابع.

قال رحمه الله: «فصرّ فيها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ومجاز ينافي الحقيقة لابد فيه من أربعة أشياء:

أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب.

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه.

(١) البخاري: (٣٥٤٧)، وصحيح ابن حبان: (٧٠٩١).

(٢) انظر حاشية رقم: (٣٨١) من هذا الكتاب.

(٣) مجموع الفتاوى: (٢١٤/٣٣).

الثالث: أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارضٍ، وإلا فإذا قام دبر قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها.

الرابع: أن الرسول ﷺ إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته، فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته وأنه أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون عمل الجوارح. فإنه سبحانه وتعالى جعر القرآن نوراً وهدى وبيانا للناس، ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات، ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علماً وأنصحهم للأمة وأبينهم للسنة. فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلاً يمنع من حمله على ظاهره، إما أن يكون عقلياً ظاهراً مثل قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها. أو سمعياً ظاهراً، مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر<sup>(١)</sup> اهـ.

### وفيه نظر من وجوه:

الأول: أنا لا نسلم أن هذه الظواهر من الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم، فهذه النصوص لم تُسَقَّ أصالةً لبيان الصفات، كما هو ظاهر في جميع هذه النصوص. فمثلاً قول الله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] لم يُسَقَّ لإثبات صفة العين، بل السياق في مواساة النبي ﷺ، وفيها يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالصبر على أذى المشركين، ويبشره الله عز وجل بأنه في حفظه ورعايته وحمايته<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أن ابن تيمية صرح بأن التشبث في جميع النصوص بظواهرها غلط، ونص أيضاً على حمل بعض النصوص على ظاهرها المجازي. فأين ما يطالب به من الدليل الشرعي على أن الشارع أراد بهذه النصوص خلاف ظاهرها بالوضع؟ وجوابنا هو جوابه.

(١) الرسالة المدنية لابن تيمية: (٦/ ٣٦٠-٣٦٢).

(٢) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان لمحمد علي الصابوني: (٤/ ١٦٩).



فإن لم يذكر الجواب عن نفسه .. فجوابنا: أن أساطين الفصاحة بمن نزل القرآن بلغتهم هم أغنى الناس عن التنبيه إلى أساليب العربية في التجوز، وهم أنزه أصحاب الألسنة عن الركون إلى الظواهر والجمود على الألفاظ، وكيف يُتَصَوَّرُ حاجتهم إلى التنبيه بإهمال الظواهر التي لم يُخَفَّ إهمال بعضها على أركان الناس إلى الحس وأكثرهم تقديساً لهذه الظواهر.

الثالث: لو سلمنا بلزوم الحاجة إلى دليل يمنع من حمله على ظاهره، فالدليل الذي يريده ابن تيمية إما أن يكون عقلياً ظاهراً أو سمعياً ظاهراً، مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر.

ولا يخفى أن أهل التأويل كشفوا عن قواطع عقلية وقواطع سمعية تمنع من الحمل على الظواهر في هذا الباب.

الرابع: أن هذا الذي ذكره من الحاجة إلى البيان يلزمه الحاجة إلى مثله من البيان لمنع حملها على الظواهر. لأن هذه الألفاظ على ظاهرها تفيد الجوارح والأعضاء، وإثباتها صفات لله عز وجل فيه صرف لها عن ظواهرها، وهذا الصرف إلى الصفات أحوج إلى البيان من صرفها بالتأويل؛ لأن اللغة تساعد على حملها على الوجوه التي يذكرها المتأول. أما حملها على الصفات فليس من أساليب العربية المعروفة، فيتعين أن يكون استعمالاً شرعياً يُحتاج معه إلى بيان شرعي.

المثال الرابع: أن ابن تيمية رحمه الله يتجاهل كل ما ذكره من دعوى براءة ظواهر الكتاب بما يوهم التجسيم، ويدعو إلى تفويض المعنى لله عز وجل، ويأمر برد الألفاظ القليلة المشككة إلى محكم التنزيه. كل ذلك يخاطب به النصارى في كلام طويل هو عين الكلام الذي خاطبه به أهل السنة، فاشتد في إنكاره عليهم!

يقول ابن تيمية: «غلاة المجسمة الذين يكفّرهم المسلمون أحسن حالاً منكم شرعاً وعقلاً، وهم أقل مخالفة للشرع والعقل منكم، فإذا كان هؤلاء خيراً منكم فكيف تشبهون أنفسكم بمن هو خير من هؤلاء من أهل السنة من المسلمين، الذين لا يقولون لا بتمثيل ولا بتعطيل.

وبيان ذلك: أن التوراة والإنجيل وسائر كتب الله وغير ذلك مما هو مأثور عن الأنبياء فيه نصوص كثيرة صريحة ظاهرة واضحة في وحدانية الله وأنه لا إله غيره، وهو مسمى فيب بالأسماء الحسنی موصوف بالصفات العلی، وأن كل ما سواه مخلوق له ليس فيه تثليث، ولا اتحاد الخالق بشيء من المخلوقات، لا المسيح ولا غيره، وفيها ألفاظ قليلة مشككة متشبهة. وهي مع ذلك لا تدل على ما ذكرتموه من التثليث والاتحاد لا نصاً ولا ظاهراً، ولكن بعضه يحتمل بعض ما قلتم، فأخذتم ذلك المُحْتَمَل وَضَمَمْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ الصَّرِيحِ وَالتَّنَاقُضِ الْقَبِيحِ مَا صِيرْتُمُوهُ أَمَانَةً لَكُمْ، أي عقيدة إيمان لكم.

ولو كانت كلها تحتمل جميع ما قلتم لم يجز العدول عن النص والظاهر إلى المحتمل.

ولو كان بعضها ظاهراً فيما قلتم لم يجز العدول عن النصوص الصريحة إلى الظاهر

المحتمل.

ولو قُدِّرَ أن فيها نصوصاً صريحة قد عارضتها نصوص أخرى صريحة، لكان الواجب

أن ينظروا بنور الله الذي أيد به عباده المؤمنين فيتبعون أحسن ما أنزل الله، وهو المعنى الذي يوافق صريح المعقول وسائر كتب الله. وذلك النص الآخر إن فهموا تفسيره وإلا فوضوا معناه إلى الله تعالى إن كان ثابتاً عن الأنبياء.

وهؤلاء عدلوا عما يُعلم بصريح المعقول وعما يُعلم بنصوص الأنبياء الكثيرة إلى ما

تحتمله بعض الألفاظ لموافقته هواهم، فلم يتبعوا إلا الظن وما تهوى الأنفس.

وأما كفار المجسمة فهؤلاء أعَدُّوا وأقل كفراً من النصارى، فإن هؤلاء يقولون - كما

يقوله معهم النفاة- إن ظواهر جميع الكتب هو التجسيم، ففي التوراة والقرآن من الآيات التي ظاهرها التجسيم ما لا يحصى<sup>(١)</sup> اهـ.

قلت: فليس بعد هذا البيان بيان. فابن تيمية يطالبهم بما يطالبه به أهل السنة من

العدول عن التشابه إلى المحكم، ورد المحتمل إلى غير المحتمل، ويقر بأن النصوص الموهمة

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية: (٤/٤٤٩-٤٥٤).

الفصل السابع: الكلام على الظاهر ٣٠١  
للتشبيه عارضتها نصوص أخرى في قوتها موهمة أيضاً ويفيد ظاهرها نقيض ما يفيد ظاهرها الأولى. فليته صنع كما نصح!

ثم يقول الدكتور صهيب: « والحاصل: أن التأويل ثابت عن السلف ولا غنى عنه للخلف، بل لا غنى عنه لمن أنكر على أهل التأويل. وإنما يُنسب التأويل إلى المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم، لأنهم توسعوا فيه ولم يتخبطوا كما تخبط فيه أولئك، بل وضعوا له منهجاً متكاملًا يقوم على أسس واضحة، وعرضوا كثيراً من الأخبار التي يجري فيها التأويل على هذا الأساس والمنهج. وباستقراء مواضع تأويلاتهم يتضح لنا المنهج الراسخ الذي سلكه الأشاعرة والماتريدية في التأويل»<sup>(١)</sup> اهـ.

(١) التجسيم في الفكر الإسلامي - د. صهيب محمود السقار، رسالة دكتوراه - جامعة بغداد.



## خلاصة القول

إن الذين يخوضون في نصوص التشابهات ويجمعونها ويبادلون حولها، ويجعلونها محور العقيدة وأساس الدين، هؤلاء يفتقدون الحسّ اللغوي البليغ، وتنقصهم الخشية من الله تبارك وتعالى.

فإن آيات ما يسمى «بالصفات الخبرية» لم تردّ من أجل إثبات أجزاء للذات الإلهية، ولا لتحديد أعضاء لها!! إنها آيات ذات دلالة حكيمة، لها صلة موضوعية بالسياق الذي وردت فيه.

فقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] لريأت في القرآن المجيد ليثبت أن لله يداً، ولا للحديث عن أوصاف الإله، وإنما جاء لتأكيد بيعة المؤمنين لرسوله ﷺ، وحثهم على الوفاء لها والالتزام بها والحرص عليها. ولنقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

وقوله جل شأنه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] لريأت لإثبات أن الله تعالى عيناً، ولا علاقة له بهذا الجانب مطلقاً، لقد جاء التعبير الكريم دعوةً للصبر، وتثبيتاً لقلب النبي ﷺ، ودعماً له في موقفه أمام أعدائه، وبياناً لفضل الله عليه ورعايته له. ولنقرأ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨-٤٩].

وقوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] في كل السور التي جاء بها الاستواء، ما جاء لإثبات صفة ذات الله تعالى، بل السياق القرآني لهذا التعبير الكريم في سابقه ولاحقه يجلي آثار الإبداع والقدرة والهيمنة الإلهية. ولنقرأ: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى \* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى \* وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٤-٨]. ولنقرأ أيضاً: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ

يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى يَدْبُرُ الْأَمْرَ فَيُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿الرعد: ٢٧﴾.

ولو أخذنا مثالا من الحديث النبوي الشريف، لوجدنا أن الأمر لا يختلف عما قلناه، من أن السياق اللغوي هو الذي يحدد المعنى المراد.

ففي صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ: «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فأنفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأثى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطمها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»<sup>(١)</sup>.

فبالله عليك، ماذا يفهم الإنسان السوي من هذا الحديث الشريف؟! هل المسألة المطروحة هنا هي إثبات صفة الفرح في جملة صفات الله تعالى؟! لقد أراد النبي ﷺ أن يفتح باب الأمل أمام كل إنسان، ويتشله من وهدة ذنوبه ومعاصيه، ويرتفع به إلى سمو الطهارة الروحية والأخلاقية، وهذا هو محور الحديث ومقصده.

ولتقرأ أيضا الحديث القدسي الشريف الذي يروي فيه النبي ﷺ عن ربه جل وعلا، يقول فيه لأحد عباده وهو يعاتبه يوم القيامة: «مَرِضْتُ فَلَمْ تُعِدِّنِي، وَاسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي.... الحديث»<sup>(٢)</sup>.

لو كانت الأحاديث التي نتحدث عن مثل هذه الأمور قصد بها الشارع أن يثبت بها الله مجموعة صفات، لكان لزاما أن نثبت لله أنه يجوع ويمرض ويستطعم عباده!

إن هؤلاء الذين يتخذون مثل هذه النصوص الكريمة دلائل لما يسمونه الصفات الخبرية يفتقدون الحس اللغوي البليغ تماما.

لقد أتى بعضهم بأمر عجيب، حين جمعوا ما تفرق من النصوص الشرعية، وألفوا كتباً تحمسوا لها وساقوا ما يلي: باب ما جاء في إثبات العين واليدين واليمين والكف والأصابع

(١) مسلم: (٢٧٤٧).

(٢) مسلم: ٢٥٦٩.



خلاصة القول **والممل والتردد!!**  
 والساعد والذراع والساق والقدم والرجل والتقرب والإتيان والهرولة والضحك والغيرة  
 والممل والتردد!!

ولا ندري، كيف يفهم هؤلاء بطريقتهم تلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ [السجدة: ١٤]، وقوله: ﴿الْيَوْمَ نَسْنَاكُمْ كَمَا نَسَّكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الجاثية: ٣٤]. فهل يثبتون النسيان صفة لله ويزعمون أنه نسيان يليق بجلاله!!؟ كما يثبتون غيرهم من صفات المخلوقين ويقولون ثبت لله اليد والساق والهرولة والحزن والغيرة والتردد على وجه يليق بجلاله!! إن هذا الموقف تنقصه الخشية لله تعالى.

ولم يكن أحد من صحابة رسول الله ﷺ يسأل عن اليمين والأصابع، ولم يتوقف إيمان أحد منهم على إثبات صفة الضحك والفرح، وأدركوا بحسبهم الفطري السليم وتذوقهم اللغوي البليغ للغة القرآن المجيد الذي نزل بلسان عربي مبين يعرف الحقيقة والمجاز في التعبير، وأنه إذا خلا الكلام عن المجاز فقد خلا عن الحُسن!!

إن هذه النصوص الشرعية لا تقدم صفة من صفات الذات الإلهية، ولا تأمر بعقيدة يرتبط بها الإيمان. بل جيء بها في سياقٍ معينٍ يخصص واقعة من الوقائع أو موقفاً من المواقف، تُفهم من خلاله<sup>(١)</sup>.

(١) الإلهيات في العقيدة الإسلامية، د. محمد سيد أحمد المسير: (١٤٥-١٤٨).





## نقل ما يخص صفات البري سبحانه من العقيدة الطحاوية

واخترت الطحاوية، لكونها مُجمَعاً عليها ومعترفًا بها فيها. ويدرسها أهل السنة في معاهدهم ومدارسهم ومؤسستهم، كما يدرسها المجسمة كذلك في معاهدهم ومدارسهم ومؤسستهم، لعل الله يجمع هذه الأمة مرة أخرى على أمر رشيد.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى:

### الإيمان بالله تعالى:

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره.

قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبىد، ولا يكون إلا ما يريد.

لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام .. حي لا يموت، قيوم لا ينام.

خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، ممت بلا مخافة، باعث بلا مشقة.

ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً.

ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم البري.

له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالقية ولا مخلوق .

وكما أنه محيي الموتى بعدما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم .

ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارا، وضرب لهم آجالا.

لم يُخَفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته.

وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، في شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن. يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله.

وهو متعال عن الأضداد والأنداد.. لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره.

آمنًا بذلك كله، وأيقنًا أن كلا من عنده .

## كُفْرٌ مَنْ قَالَ بِالتَّشْبِيهِ:

ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالإنسان.

## رؤية الله حق:

والرؤية حق لأهل الجنة غير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وتفسيره على ما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ. وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أَرَادَ. لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلَّمَ اللهُ عز وجل ولرسوله ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ ما اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إلى عالمه<sup>(١)</sup>.

ولا يَثْبُت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام. فمن رام عِلْمَ ما حُظِرَ عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح

(١) قوله: «رد علم ما اشتباه عليه إلى عالمه» هو التفويض الذي ينكره أدياء السلفية.

نقد ما يخص صفات البري سبحانه من العقيدة الضحوية ٣٠٩  
 الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً  
 تائهاً، زائغاً شاكاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً.

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم يومهم، أو تأولها بفهم، إذ  
 كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه  
 دين المسلمين.

ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه زلَّ ولم يُصَبِّب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف  
 بصفات الوجدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية. وتعالى عن  
الحدود<sup>(١)</sup> والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر  
المبتدعات<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup>

(١) وهذا تصريح بإنكار الحدله تعالى، وقد سبق أنهم طردوا الحافظ ابن حبان من سجستان لما أنكره!  
 (٢) وهذا تصريح باستحالة التحيز في جهة من الجهات، خلافاً لما يدعونه من انحيازه تعالى إلى جهة فوق.



## الخاتمة

بقي أن يقال: إن هذه القضية وأمثالها من القضايا الدقيقة في العقيدة الإسلامية، لم يكن لها أن تُطرح وتُعرض على العامة والخاصة كما يحدث الآن، وأن من أثاروها عكروا صفو الحياة الإسلامية وعطلوا طاقات الفكر الإسلامي، حيث شغلوا بالجدال والنزاع في هذه المسائل التي لا يُبنى عليها عمل، ولا ينتهي الخلاف فيها، بسبب مكابرة البعض وعنادهم، من لا تخلو منهم الأرض إلى قيام الساعة.

فأول سؤال في القبر سيكون: من ربك؟ وما دينك؟ وماذا كنت تقول في سيدنا محمد

ﷺ؟ (١).

ولم يرد في النصوص سؤال عن: [استواء ولا يد ولا ساق ولا عينين ولا نزول ولا تحرك ولا هرولة ولا صورة ولا ظل ولا ملل] ولا غيرها، مما يسميه الجسمة صفات حقيقية للباري تعالى.

ومكان الحوارات والمناقشات في تلك المسائل، هو حلقات العلم وقاعات المناظرات وميادين العلوم، لا الفضائيات ولا الكتيبات التي توزع مجاناً على أبواب المساجد، وتمنح للحجاج والمعتمرين في البلد الحرام، دون النظر إلى أهليتهم لإدراك مثل هذه القضايا!

ولولا إثارة أدياء السلفية لها تحت شعار عقيدة السلف ودخولهم فيما لا يحسنون، ما تكلم أهل السنة والجماعة فيها ليردوا عليهم ضلالتهم ويحفظوا عقائد الناس من خزعبلاتهم.

فعندما طرح المبتدعة آراءهم للعوام ولبسوا على كثير منهم دينهم وعقيدتهم، لم يتركوا فرصة لأهل السنة أن يقصروا كلامهم داخل المحافل العلمية ومجامع المناظرة بين العلماء وحسب، بل كان لا بد أن يتم طرح الرد في نفس الميدان وبنفس القوة أو أشد، حتى يعود الأمر إلى نصابه، ويجد كل عالم ما يعتذر به إلى الله تعالى في حالة اتساع الخرق على الراتق.

(١) حديث صحيح. ولفظ السؤال: «من ربك؟ وما دينك؟ وما كنت تقول في هذا الرجل؟». رواه أبو داود والترمذي والطبري وغيرهم، وصححه جمهور المحدثين.

## وهذا تلخيص لأهم ما جاء في الكتاب:

- تزيه الله سبحانه وتعالى عن مشابهة خلقه، بأي صورة من الصور، أو وجه من الوجوه، بدليل قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].
- السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم مجمعون على وصفه تعالى بصفات الكمال، ومتمزّهون له سبحانه عن الجسمية ومشابهة الخلاق وعن سائر النقائص.
- مذهب السلف في النصوص الموهمة للتشبيه واحد من اثنين: السكوت عنها وعدم التعرض لها بالتفسير والتأويل مع نفي الكيفية من الأصل، أو تأويلها بما يناسب المقام وينزّه الباري سبحانه عن مشابهة شيء من خلقه، وقد ثبت كلاً المذهبين بنصوص صحيحة الإسناد إليهم رضوان الله تعالى عليهم.
- أن التفويض ليس تجهيلاً، ولكنه إسناد المراد من هذه الألفاظ إلى قائلها، سواء كن نصاً قرآنياً أو حديثاً نبوياً.
- أن التأويل ليس تحريفاً ولا إلحاداً ولا تغييراً للكلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ. طالما كان محكوماً بالشروط المعتبرة لإعماله.
- التأويل ما هو إلا عمل بما يقرره اللسان العربي وقواعد اللغة وأساليبها، من استعمال المجاز في موضعه، حيث أن القرآن كتاب عربي، أنزله الله على نبي عربي، ينطق بلسان العرب، ويستعمل أساليب خطابهم في تبليغ ما أوحى إليه. وأدعياء السلفية أنفسهم وقفوا عاجزين أمام عدد من النصوص، واضطروا إلى تأويلها وصرها عن ظاهرها.
- أن التأويل لا يكون إلا للضرورة، كإقناع معاند أو إزالة شبهة.
- أن المجسّم افتروا على الله تعالى في كلامهم ووصفوه بصفات خلقه، وخالفوا نص القرآن الكريم وبراهين العقول التي لا يختلف عليها اثنان.
- أنهم اعتمدوا في تقرير مذهبهم على رواياتٍ لآثار ضعيفة في أغلب الأحيان، أو موضوعة أحياناً أخرى، أو على كتب ومصنفات لا تصح نسبتها إلى مؤلفيها.





- أنهم اقتطعوا النصوص من سياقها، وانتزعوا ألفاظاً بعينها من وسط النصوص، وجمعوا بعضها إلى بعض، ليثبتوا ما يذهبون إليه من تشبيه الله تعالى بخلقه.
- أن مذهبهم يلزم منه وصف الله تعالى بصفات الأجسام ومشابته لمخلوقاته - لا سيما الإنسان - حتى ولو أنكروا ذلك.
- أن المجسمة قديما وحديثا تسّروا بمذهب الإمام أحمد بن حنبل ومذهب أهل الحديث، وادعوا أنهم أتباع السلف الصالحين، وكل هؤلاء برآء منهم ومن مذهبهم، ولا يقولون بالتجسيم ولا بتشبيه الله تعالى بخلقه كما يقول المجسمة.
- أن مذهبهم لم يكن ليتشر في العصور المتأخرة لولا ترويع الناس في بداية أمرهم، وخدمتهم لهذا الفكر بأموالهم وما يسيطرون عليه الآن من فضائيات ومطابع.
- أن أدعياء السلفية في زماننا هم في الحقيقة على عقيدة الكرامة المجسمة الذين ظهروا قديما وناظرهم العلماء، وليسوا على عقيدة السلف في مسألة النصوص الموهمة للتشبيه.
- أسانيد أدعياء السلفية إلى السلف معضلة شديدة الإعضال، ودون اتصالها خرط القتاد.
- أن الألقاب التي أسبغوها على أنفسهم كأهل السنة وأهل الحديث والطائفة المنصورة والفرقة الناجية وغيرها، هي مجرد انتساب يدعونه وليس هو حقيقة الأمر.
- أن الأشاعرة والماتريدية لم يخترعوا جديدا في الدين، بل أيّدوا النصوص بالحجج والبراهين العقلية، ولا مشكلة في ذلك، إذ أن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مشحونان بما يدعو إلى التفكير والتدبر، ويعيب على من يقلدون الآباء بدون دليل ولا حجة.
- من خلال سرد أسماء العلماء الكبار ومؤلفاتهم، وأسماء بعض السلاطين والفاطميين العظماء، وكلهم من الأشاعرة والماتريدية، يتبين أنهم جمهور المسلمين والعدد الغفير من المؤمنين، وأن كتبهم ومصنفاتهم هي التي نقلت لنا علوم السلف وأحوالهم وأقوالهم، فهي تمثل المراجع الحقيقية للفكر الإسلامي كله في مختلف علوم الشريعة واللغة والتاريخ، فيكون الطعن فيهم بمثابة الطعن في الإسلام نفسه.

- الأشاعرة والماتريدية في نقلهم مذهب السلف الصالحين اعتمدوا على الأسنية المتصلة بهم، فهم بذلك أصدق من يتحدث بلسانهم ويتكلم عنهم ويحكي آراءهم ومذاهبهم.

- أن أدعياء السلفية أنفسهم لا يستطيعون تجاهل المراجع التي صنفتها الأشاعرة والماتريدية في التفسير والحديث والأصول واللغة والتاريخ، بل هم عيال عليهم محتاجون إليهم وإلى علومهم، في حين أن الأشاعرة والماتريدية لا يضيرهم ألا يلتفتوا لمراجع أدعياء السلفية.

- الكلام في هذه المسألة ما هو إلا دفاع عن أهل العلم وأصحاب الجميل الذين طوّقوا رقاب العباد بصنيعهم الحسّن، ومحاولة لرد غيبتهم بعد وفاتهم، وتبرئتهم من الحملات الجائرة التي تستهدف التشكيك في عقائدهم لأهداف بعيدة كل البعد عن العلم والدين.

وبذلك يكون الكلام قد انتهى في هذه المسألة بحول الله ولطفه وكرمه وتوفيقه

وهو المرجو أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وينفع به كاتبه وقارئه

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين



## ثبت المراجع

- الإبانة عن أصول الديانة، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٢٤هـ) - تحقيق د. فوقية حسين محمود - دار الأنصار، القاهرة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي، المعروف بابن بطة العكبري (٣٨٧هـ) - تحقيق رضا بن نعيان معطي - دار الراية، الرياض ١٩٨٨م.
- ابن تيمية السلفي، د. محمد خليل الهراس - دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف، د. عبد الله سليمان الغفيلي - الرياض، ط الأولى ١٩٩٨م.
- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء (٤٨٥هـ) - تحقيق محمد بن حمد الحمود النجدي - مكتبة دار الإمام الذهبي، الكويت، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (٨٤٠هـ) - دار الوطن، الرياض، ط الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- إتحاف السائل بها في الطحاوية من مسائل، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - الشاملة.
- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) - دار الفكر، بيروت.
- إتحاف المريد بشرح جوهره التوحيد، عبد السلام بن إبراهيم اللقاني (١٠٧٨هـ) - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة، مصر ١٣٧٥هـ.
- إتحاف المهرة بأطراف العشرة، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) - الشاملة.

- ٣١٦ - الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية
- الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة، عبد الرحمن بن حمد الخطيبي - مكتبة الحرمين، الرياض.
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم (٧٥١هـ) - دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٠٤هـ.
- «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان»، محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي (١٠٨٣هـ) - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الإشبيلي، المعروف بابن العربي، ت ٥٤٣هـ - تحقيق د. محمد بكر إسماعيل - دار المنار، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- أحوال الرجال، أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني (٢٥٩هـ) - تحقيق صبحي البدري السامرائي - مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- إحياء علوم الدين، حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ) - دار المعرفة، بيروت.
- الاختلاف في اللفظ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) - المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (٤٩٨هـ) - تحقيق محمد يوسف موسى - مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٠م.
- أساس التقديس في علم الكلام، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٦هـ) - مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٤هـ.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي (٤٦٣هـ) - تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض - دار الكتب العلمية، بيروت - ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي (٤٦٣هـ) - الشاملة.
- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ) - شاملة.
- الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ) - تحقيق عبد الله ابن محمد الحاشدي - مكتبة السوادى، جدة، ط الأولى.
- الأسماء والصفات، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (٧٢٨هـ) - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٨٨م.
- إشارات المرام من عبارات الإمام، كمال الدين أحمد بن حسن بن سنان الدين البيضاى (١٠٩٨هـ) - ط مصطفى البابى الحلبى، القاهرة.
- اعتقاد الإمام المبجل ابن حنبل، أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي (٤١٠هـ) - دار المعرفة، بيروت.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشرکين، الإمام فخر الدين الرازى - تحقيق على سامى النشار - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، الإمام البيهقي - تحقيق: أحمد عصام الكاتب - دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الأولى ١٤٠١هـ.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزرکلىّ الدمشقى (١٣٩٦هـ) - دار العلم للملايين، بيروت.
- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، د. صالح فوزان الفوزان - مؤسسة التوحيد الخيرية، السعودية.
- إقامة الدليل على إبطال التحليل، تقي الدين بن تيمية - الشاملة.
- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي - مطبعة منير، بغداد، ١٩٩٠م.



٣١٨ الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعيه نسـ

- الإلهيات في العقيدة الإسلامية، د. محمد سيد أحمد المسير (١٤٢٩هـ) - مكتبة الإبريق - القاهرة.
- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله - جماعة (٧٣٣هـ) - تحقيق وهبي سليمان غاوجي الألباني - دار السلام، القاهرة ١٩٩٠م.
- إقامة الدليل على إبطال التحليل، تقي الدين بن تيمية - الشاملة.
- أم البراهين القاطعة لشبهات المؤولين والمفوضين والمعتلين لصفات رب العالمين، حمد بن عبد الله العليّ - دار التواصل بين المشرق والمغرب للنشر والتوزيع، الكويت ٢٠٠٨م.
- أهل السنة الأشاعرة .. شهادة علماء الأمة وأدلتهم، حمد السنان وفوزي العنجري - دار الضياء، الكويت.
- بحر الدم فيمن تكلم فيهم أحمد بمدح أو ذم، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن محمد المعروف بابن المبرد العدوي القرشي الدمشقي، من علماء القرن التاسع - تحقيق د. روحية عبد الرحمن السويفي - الشاملة.
- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) - تحقيق د. محمد محمد تامر - دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- البداية من الكفاية في أصول الدين، نور الدين أحمد بن محمود الصابوني الحنفي (٧٧٥هـ) - تحقيق فتح الله خليف - دار المعارف، مصر ١٩٦٩م.
- البداية والنهاية، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ) - الشاملة.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) - الشاملة.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (٩١١هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية، صيدا.

- المراجع
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين بن تيمية - تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم - مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط الأولى ١٣٩٢هـ.
- البيهقي وموقفه من الإلهيات، د. أحمد بن عطية الغامدي - الرياض، ط الثانية ١٩٨٢م.
- تاج التراجم في طبقات الحنفية، أبو العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا السوداني الحنفي (٨٧٩هـ) - الشاملة.
- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) - دار الهداية.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ) - تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ ابن خلدون «العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ) - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) - دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) - دراسة وتحقيق علي شيري - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- التاريخ الصغير، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (٢٥٦هـ) - تحقيق محمود إبراهيم زايد - دار المعرفة، بيروت.
- التاريخ الكبير، البخاري - الشاملة.
- تاريخ نجد: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، حسين بن أبي بكر بن غنام الأحسائي (١٢٢٥هـ) - تحقيق د. ناصر الدين الأسد - دار الشروق، القاهرة.

٣٢٠ الانتصر لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية

- التأويل اللغوي في القرآن الكريم، حسين حامد الصالح - رسالة دكتوراه، جامعة بغداد ١٩٩٥م.

- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة، أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفرايني (٤٧١هـ) - تحقيق: كمال يوسف الحوت - عالم الكتب، بيروت.

- التبيان في الرد على من ذم علم الكلام، الشيخ جمال صقر - دار المشاريع، بيروت - ط الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، ابن عساكر - دار إحياء الكتاب العربي، بيروت.

- التجسيم عند المسلمين «مذهب الكرامية»، سهير محمد مختار - شركة الإسكندرية للطباعة، ط الأولى - (رسالة ماجستير) جامعة الأزهر ١٩٧١م.

- التجسيم وأثره في الفكر الإسلامي، د. صهيب محمود السقار - (رسالة دكتوراه) جامعة بغداد، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

- التحفة المدنية في العقيدة السلفية، حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر - تحقيق عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم - دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٩٩٢م.

- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، أبو الأمداد برهان الدين إبراهيم بن هارون اللقائي (١٠٤١هـ) (الجوهرة)، إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري (١٢٧٧هـ) (التحفة) - مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

- تدريب الراوي على تقريب النواوي، السيوطي - دار الحديث، القاهرة.

- تذكرة الحفاظ، الذهبي - تحقيق زكريا عميرات - دار الكتب العلمية، بيروت. ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي - تحقيق د. علي عمر، دار الأمان، الرباط - مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٩م.



- التسعينية، ابن تيمية - ضمن مجموع الرسائل.
- تشنيف المسامع، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ) - تحقيق د. سيد عبد العزيز، د. عبد الله ربيع - مكتب قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، القاهرة. ط ٢، ٢٠٠٦م.
- التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي المالكي (٤٧٤ هـ) - دراسة وتحقيق أحمد لبزار - كلية اللغة العربية، مراكش.
- تعريف الخلف بمنهج السلف، د. إبراهيم بن محمد البريكان - دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى ١٩٩٧م.
- التعريفات، الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (٨١٦هـ) - تحقيق إبراهيم الإياري - دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
- تعقيبات على كتاب البوطي «السلفية ليست مذهبا»، د. صالح فوزان الفوزان - دار الوطن، السعودية.
- التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية، عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين - تحقيق علي بن حميد أبو لوز - دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٩٩٨م.
- التعليقات الجليلة على النصائح الذهبية، ضمن: مجموعة رسائل في تدعيم ثوابت الصحوة الإسلامية: [مشاعل للتحويل من ولاءٍ لأشخاص إلى ولاءٍ للحق]. غيث بن عبد الله الغالبي.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) - تحقيق سامي محمد سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية - ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- التمهيد في أصول الدين، أبو المعين برهان الدين ميمون بن محمد بن مكحول النَّسْفِيّ الحنفي الماتريدي (٥٠٨هـ) - تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول - المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

- التمهيد في علوم الحديث، همام عبد الرحيم سعيد - دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا.
- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ - دار التوحيد، السعودية.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر - تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، و محمد عبد الكبير البكري - مؤسسة القرطبة.
- تنبيهات في الرد على من تأول الصفات، عبد العزيز بن باز - الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- تنبيهات على مقالات الصابوني في الصفات، صالح بن فوزان الفوزان - مع تنبيهات في الرد على من تأول الصفات، عبد العزيز بن ياز - الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز بن ناصر الرشيد - مطبعة الإمام، مصر.
- تنوير الأذهان، محمد علي الصابوني، وهو اختصار لتفسير حقي البروسوي (١١٣٧هـ) - دار القلم، بيروت، ط الثانية ١٤٠٩هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي (٦٧٦هـ) - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - الشاملة.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزني (٦٤٢هـ) - تحقيق د. بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ) - تحقيق د. عبد العزيز إبراهيم الشهوان - مكتبة الرشيد، الرياض، ط السادسة، ١٩٩٧م.

- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، ابن خزيمة - تحقيق محمد خليل هراس - دار الشرق للطباعة، ١٣٨٨هـ.
- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، ابن خزيمة - تحقيق محمد خليل هراس - دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٣هـ.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي المناوي (١٠٣١هـ) - تحقيق: د. محمد رضوان الداية - دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان - مركز الهدى للدراسات، الإسكندرية.
- الثقات، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البستي (٣٦٤هـ) - السيد شرف الدين أحمد - دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- جامع البيان في تأويل القرآن «تفسير الطبري»، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري (٣١٠هـ) - تحقيق أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الجامع الصحيح «سنن الترمذي»، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (٢٧٩هـ) - تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحزرجي القرطبي، (٦٧١هـ) - تحقيق هشام سمير البخاري - دار عالم الكتب، الرياض.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي - تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية، القاهرة  
ط الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٤٢هـ) - تصحيح محمد رشيد رضا - دار الأفاق، بيروت، ط الأولى ١٩٨١م.

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين بن تيمية - تحقيق د. علي حسن ناصر، د. عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد - دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.

- حاشية التفحات لأحمد بن عبد اللطيف الخطيب الجاوي (١٣١٥هـ) على شرح جلال الدين محمد بن أحمد الأنصاري المحلي (٨٦٤هـ) لمتن الورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن يوسف الجويني (٤٧٨هـ).

- حاشية عبد الحكيم السيالكوتي اللاهوري على شرح السيد علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ) على المواقف في علم الكلام لعضد الدين عبد الرحمن الإيجي (٧٥٦هـ)، ومعه حاشية حسن جلبي الفناري - تحقيق محمود عمر الدمياطي - دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٩٩٨م.

- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني

(٥٣٥هـ) - تحقيق محمد بن ربيع المدخلي - دار الراية، الرياض ١٩٩٩م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق الأصبهاني (٤٣٠هـ) - دار الكتاب العربي، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٥هـ.

- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار (١٣٣٥هـ) - الشاملة.

- خلق أفعال العباد، الإمام البخاري - تحقيق د. عبد الرحمن عميرة - دار المعارف السعودية، الرياض، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- المدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (٩٢٧هـ) - تحقيق إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين بن تيمية - تحقيق محمد رشاد سالم - دار الكنوز الأدبية، الرياض ١٣٩١هـ.



- المراجع
- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د. عرفان عبد الحميد - مطبعة الإرشاد، بغداد، ط الأولى ١٩٦٧م.
- الدرر السنية في الرد على الوهابية، مفتي مكة المكرمة السيد أحمد بن زيني دحلان المكي (١٣٠٤هـ) - وقف الإخلاص، اسطنبول.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) - تحقيق مراقبة محمد عبد المعيد ضان - مجلس دائرة المعارف العثمانية، اسطنبول، ١٣٧٢هـ - ١٩٧٢م.
- الدر المنثور في التأويل بالمأثور، جلال الدين السيوطي - دار الفكر، بيروت.
- دعوة التوحيد .. أصولها .. الأدوار التي مرت بها .. ومشاهير دعائها، د. محمد خليل هراس - المطبعة العصرية، بيروت، ط الأولى ١٩٩٧م.
- دَفْعُ شُبُهَيْهِ التَّشْبِيهِ بِأَكْفُفِ التَّنْزِيهِ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) - بتحقيق وتعليق محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري (١٣٧١هـ) - المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- دفع شُبُهَيْهِ مَنْ شُبَّهَ وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد، تقي الدين أبو بكر بن محمد الحسيني الحصيني (٨٢٩هـ) - دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب البخارزي (٤٦٧هـ) - الشاملة.
- الديباج المذَّهَّبُ في معرفة أعيان علماء المذهب، برهان الدين إبراهيم بن فرحون اليعمرى المالكي (٧٩٩هـ) - الشاملة.
- الذخيرة، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي (٤٨٤هـ) - تحقيق محمد حجّي - دار الغرب، بيروت ١٩٩٤م.
- ذم التأويل، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) - تحقيق بدر بن عبد الله البدر - الدار السلفية، الكويت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

- ذيل طبقات الحنابلة، زين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) -  
 الشاملة.
- الرد على الجهمية، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجزي الدارمي (٢٨٠هـ) -  
 تحقيق بدر البدر - دار ابن الأثير، الكويت، ط الثانية ١٩٩٨م.
- الرد على الجهمية، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (٣٩٥هـ) - تحقيق علي  
 محمد ناصر الفقيهي - المكتبة الأثرية، باكستان.
- الردود البازية في بعض المسائل العقدية، عبد العزيز بن باز - جمع وترتيب أحمد محمد  
 العمران - دار ابن الأثير - ط الأولى.
- الرسالة، الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) - تحقيق الشيخ أحمد  
 شاکر - مصطفى البابی الحلبي، القاهرة.
- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، المفتي محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي  
 (١٢٩٦هـ) - مكتبة الإمام أحمد، ط الأولى ١٩٨٩م.
- السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ) - مكتبة المعارف، الرياض.
- السلوك في طبقات العلماء والملوك، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي  
 (٧٣٢هـ) - تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوخ الحوالي - مكتبة الإرشاد صنعاء،  
 ١٩٩٥م.
- السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال (٣١١هـ) - تحقيق د. عطية  
 الزهراني - دار الراية، الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- السنة، عمرو بن أبي عاصم الضحاک الشيباني (٢٨٧هـ) - تحقيق محمد ناصر الدين  
 الألباني - المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٠هـ.
- السنة، ابن أبي عاصم - تحقيق د. باسم بن فيصل الجوابرة - دار الصمعي، الرياض، ط  
 الأولى ١٩٩٨م.

- السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، (٢٩٠هـ) - تحقيق د. محمد سعيد سلم القحطاني - دار ابن القيم، الدمام، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
- السنن الكبرى، الإمام البيهقي، وفي ذيله الجوهر النقي، علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني الشهير بابن التركماني (٧٥٠هـ) - مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الهند، ط الأولى ١٣٤٤هـ.
- سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي - تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط و حسين الأسد - الرسالة، بيروت.
- السيف الصقيل في الرد على نونية ابن زفيل، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٥٦هـ)، ومعه تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم، للكوثري - المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العُكري المعروف بابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) - دار الكتب العلمية.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (٤١٨هـ) - تحقيق د. أحمد سعد حمدان - دار طيبة، الرياض ١٤٠٢هـ.
- شرح البيقونية، محمد بن صالح العثيمين - دار العلم، القاهرة.
- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي (٦٨٤هـ) - تحقيق صدقي جميل العطار - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- شرح حديث النزول، تقي الدين بن تيمية - منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ط الرابعة ١٩٦٩م.
- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين - مدار الوطن للنشر - بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الرياض ١٤٢٥هـ.

- شرح العقائد النسفية، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩٣هـ) - المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ)، وهو شرح لعقيدة الإمام أبي جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي المصري (٣٢١هـ) - تخريج وتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، بيروت، ط الخامسة ١٣٩٩م.

- شرح العقيدة الطحاوية، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي - الشاملة.

- شرح الفقه الأكبر، ملا علي القاري (١٠١٤هـ) - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٠م.

- شرح القصيدة التونية، محمد خليل هراس - دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٩٨٦م.

- شرح العقيدة الواسطية، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - الشاملة.

- شرح الواسطية، د. محمد خليل الهراس (١٣٩٥هـ) - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية. شاملة.

- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هراس - ضبط نصه وخرّج أحاديثه ووضع الملحق علوي بن عبد القادر السقاف - دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر - ط الثالثة، ١٤١٥هـ.

- شرح الواسطية، محمد بن صالح العثيمين - تحقيق: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، السعودية.

- شعب الإيمان، الإمام البيهقي - تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي (٥٤٤هـ) - تحقيق محمد أمين قره علي - دار الفيحاء، عمان ١٩٨٦م.





- الصحاح في اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ) - ثمانية.
- صحيح ابن خزيمة، الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة تُسَمَّى النيسابوري (٣١١هـ) - تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي - مكتبة الأعضي. الرياض، ط الثالثة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ) - دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) - مشتركة: دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتّزّيه، د. محمد أمان بن علي الجامي، (رسالة ماجستير) - الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.
- صفات التابعين وأهل الكتاب وأهل السنة والجماعة، عبد الملك علي الكليب - دار الأرقم الكويت، ط الثانية ١٩٨٦م.
- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي عبد القادر السّقف - دار الهجرة، الثّقة، السعودية - ط الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- صفة الصفوة، ابن الجوزي - تحقيق محمود فأخوري، د. محمد رواس قلعجي - دار المعرفة، بيروت، ط الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الصلّة، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأندلسي (٥٧٨هـ) - الشاملة.
- الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم - تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله - دار العاصمة، الرياض، ط الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الضعفاء الكبير، محمد بن عمر العقيلي (٣٢٢هـ) - تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي - دار المكتبة العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ.



- الضعفاء والمتروكين، ابن الجوزي، ٥٧٩هـ - تحقيق عبد الله القاضي - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- طبقات الحنابلة أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (٥٢٦هـ) - تحقيق محمد حامد الفقي - دار المعرفة، بيروت.
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، القاضي تقي الدين عبد القادر بن محمد التميمي الغزي (١٠١٠هـ) - الشاملة.
- طبقات الشافعية، ابن قاضي شعبة أبو بكر بن أحمد بن محمد الأسدي (٨٥١هـ) - تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان - عالم الكتب، بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، الإمام الحافظ تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١هـ) - تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو - هجر للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية.
- طبقات الفقهاء الشافعية، شيخ الإسلام الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (٦٤٣هـ) - تحقيق محيي الدين علي نجيب - دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- طبقات الفقهاء الشافعيين، ابن كثير - تحقيق د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب - مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (٢٣٠هـ) - دار صادر، بيروت.
- طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي - تحقيق علي محمد عمر - مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٣٩٦هـ.
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنوري، من علماء القرن الحادي عشر الهجري - تحقيق سليمان بن صالح الخزي - مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الأولى ١٩٩٧م.



- المراجع
- العبر في خبر من غير، الحافظ الذهبي - تحقيق د.صلاح الدين المنجد - مطبعة حكومة الكويت، ط الثانية ١٩٨٤م.
  - عثمان بن سعيد الدارمي ودفاعه عن عقيدة السلف»، محمد أبو رحيم - (رسالة ماجستير) - جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ.
  - عجائب الآثار في التراجم والأخبار «تاريخ الجبرقي»، عبد الرحمن بن حسن الجبرقي (١٢٣٧هـ) - دار الجيل، بيروت.
  - العرش، الحافظ الذهبي - تحقيق محمد بن خليفة التميمي - مطبعة أضواء السلف، الرياض، ط الأولى ١٩٩١م.
  - العرش وما روي فيه، محمد بن عثمان بن أبي شيبة (٢٩٧هـ) - تحقيق محمد بن حمد الحمود - مكتبة المعلا، الكويت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
  - العظمة، أبو الشيخ عبد الله بن محمد الأصبهاني (٣٦٩هـ) - تحقيق رضاء الله بن محمد المباركفوري - دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
  - عقائد الأشاعرة في حوار هادئ مع شبهات المناوئين، د. صلاح الدين الإدلبي - دار السلام، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
  - العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) - الشاملة.
  - عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، حمود التويجري - تقيظ وتزكية عبد العزيز بن باز - دار اللواء، الرياض، ط الثانية.
  - عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن صالح العثيمين - الشاملة.
  - عقيدة التوحيد وما يضادها أو ينقضها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، د. صالح الفوزان - جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت.
  - العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام، عبد العزيز بن باز - دار الوطن، الرياض.

- ٣٣٢ - الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية  
 مصر ١٩٩٢م.
- العقيدة النظامية، إمام الحرمين الجويني - تحقيق محمد زاهد الكوثري - المكتبة الأثرية،  
 مصر ١٩٩٢م.
- علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين، د. رضا بن نعيان معطي - دار الهجرة،  
 الرياض، ط السادسة ١٩٩٥م.
- العلو للعلي الغفار، الحافظ الذهبي - تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود - مكتبة  
 أضواء السلف، الرياض، ط الأولى ١٩٩٥م.
- علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، د. علي محمد محمد الصلابي - الشاملة.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الإمام أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد الغيتابي  
 العيني الحنفي (٨٥٥هـ) - الشاملة.
- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، الحافظ ولي الدين أبو زرعة بن عبد الرحيم العراقي  
 (٥٢٦هـ) - تحقيق محمد تامر حجازي - دار الكتب العلمية، بيروت - ط الأولى ١٤٢٥هـ  
 - ٢٠٠٤م.
- الفتاوى الكبرى، تقي الدين بن تيمية - تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر  
 عطا - دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- فتاوى العز بن عبد السلام، سلطان العلماء الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد  
 السلام السلمي (٦٦٠هـ) - تحقيق محمد جمعة كردي - مؤسسة الرسالة، بيروت، ط  
 الأولى ١٩٩٦م.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق  
 الدويش - مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٢هـ.
- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - طبعة خيرية توزع مجاناً بالكويت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،  
 محب الدين الخطيب - دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.

- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي - مطبعة أنصار السنة المحمدية، مصر ١٩٧٤م.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الفتوى الحموية الكبرى - دراسة وتحقيق حمد بن عبد المحسن التويجري - دار الصميعي، الرياض، ط الأولى، ١٩٩٨م.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (٤٢٩هـ) - دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي - دار لينة، مصر، ط الثالثة ١٩٩٨م.
- فصل الخطاب في مذهب محمد بن عبد الوهاب، وهو نفسه «الصواعق الإلهية في الرد على مذهب الوهابية»، سليمان بن عبد الوهاب الحنبلي النجدي - القاهرة.
- القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان - دراسة وتحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف - دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، أبو حامد الغزالي - تحقيق سلمان دنيا - دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٢هـ.
- قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين، الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد الرعيني المالكي المشهور بالخطاب (٩٥٤هـ)، مع لطائف الإشارات شرح نظم الورقات - طبعة الحلبي، القاهرة.
- قول السلف في الصفات الخبرية، شيخنا أبو هاجر، د. رشوان أبو زيد الأزهرى - تحت الطبع.
- الكامل في التاريخ، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (٦٠٦هـ) - الشاملة.

٣٣٤ - الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية

- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني (٣٦٥هـ) - تحقيق يحيى مختار غزاوي - دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة، تقي الدين بن تيمية - تحقيق عبد الرحمن محمد قاسم النجدي - مكتبة ابن تيمية.
- الكشف الحثيث عمّن زُمي بوضع الحديث، أبو الوفاء برهان الدين إبراهيم بن محمد، المعروف بالبرهان الحلبي وسبط ابن العجمي (٨٤١هـ) - الشاملة.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني (١١٦٢هـ) - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- كفى تفريقاً للأمة باسم السلف»، د. عمر عبد الله كامل، «ردا على كتاب «منهج الأشاعرة في العقيدة» لسفر الحوالي - دار المصطفى للنشر والتوزيع.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهانهانقوري (٩٧٥هـ) - الشاملة.
- الكواكب النيرات في معرفة الرواة الثقات، أبو البركات زين الدين بركات بن أحمد بن محمد الخطيب، المعروف بابن الكيال (٩٢٩هـ) - دار المأمون، بيروت، ط الأولى ١٩٨١م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي المعروف بالخازن (٧٤١هـ) - تصحيح محمد علي شاهين - دار الكتب العلمية، بيروت - ط الأولى ١٤١٥هـ.
- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور (٧١١هـ) - دار المعارف، القاهرة.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- لمعة الاعتقاد، ابن قدامة المقدسي - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.



٣٣٦ - الانتصار لأهل السنة وكشف مذهب أدعياء السلفية

- مسند البزار، الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (٢٩٢هـ) -  
الشاملة.

- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي - أضواء  
السلف، الرياض.

- معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي - دار الفكر، بيروت.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [٥١٦هـ)  
- تحقيق محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش - دار طيبة  
للنشر والتوزيع، السعودية، ط الرابعة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (٣٩٠هـ) مع فروق اللغات  
لنعمة الله الجزائري (١١٥٨هـ) - تحقيق: بيت الله بيات - مؤسسة النشر الإسلامي  
التابعة لجماعة المدرسين بقم، إيران ٢٠٠٠م.

- المعجم الكبير، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ) - تحقيق:  
حمدي عبد المجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط الثانية، ١٤٠٢هـ -  
١٩٨٣م.

- المغني في الضعفاء، الحافظ الذهبي - تحقيق د. نور الدين عتر - الشاملة.

- مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الإدريسي  
التلمساني المالكي (٧٧١هـ) - المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، الحافظ شمس الدين  
محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ) - دار الكتاب العربي، بيروت.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري  
(٣٢٤هـ) - بتحقيق هلموت ريتز - دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون - الشاملة.



- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٤٨هـ) - بتحقيق محمد سيد كيلاي - دار المعرفة - بيروت.
- من عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين، علي بن محمد المصري - دار البيارق، لبنان، ط الأولى ١٩٩٧م.
- مناقب الشافعي، الإمام البيهقي - الشاملة.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ) - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط الثالثة.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي - دار صادر، بيروت، ط الأولى ١٣٥٨هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام شرف الدين النووي - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- منهج الأشاعرة في العقيدة، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي - مكتبة العلم، القاهرة.
- منهج السلف في فهم النصوص بين النظرية والتطبيق، السيد محمد بن علوي المالكي الحسيني - المكتبة العصرية، بيروت.
- المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، بدر الدين بن جماعة - تحقيق د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان - دار الفكر، دمشق، ط الثانية ١٤٠٦هـ.
- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، د. إبراهيم بن عامر الرحيلي - مكتبة الغرباء، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- موقف السلف من المتشابهات، د. محمد عبد الفضيل القوصي - دار البصائر، القاهرة.
- ميزان الاعتدال، الحافظ الذهبي - تحقيق علي محمد الجاوي - دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- نزهة النظر شرح نخبة الفكر، ابن حجر العسقلاني - دار العلم، القاهرة.

- نقض الرسالة التدمرية، شيخنا أبو الفداء سعيد عبد اللطيف فودة - الكتاب الأول من سلسلة الكاشف الكبير عن عقائد ابن تيمية - دار الرازي، عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- نقض قواعد التشبيه من أقوال السلف ممن قالوا بالإمرار والتفويض والتتزيه، د. عمر عبد الله كامل - دار المصطفى للطبع والنشر والتوزيع.
- نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني - تحقيق ألفرد هيوم - مكتبة المثني، بغداد.
- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي (٧٧٢هـ) - دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (٧٦٤هـ) - الشاملة.
- الورع، أبو عبد الله، الإمام أحمد حنبل - تحقيق د. زينب إبراهيم القاروط - دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم محمد - دار الراية الرياض، ط الأولى ١٩٩٤م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (٦٨١هـ) - تحقيق إحسان عباس - دار صادر، بيروت.
- موقع صيد الفوائد -
- <http://saaid.net/monawein/t.htm>
- قسم مقالات ابن باز ضمن مجموعة «دعوى المناوئين للشيخ محمد بن عبد الوهاب».
- الموقع الرسمي للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز على شبكة الإنترنت:
- <http://www.binbaz.org.sa/mat/4234>.
- موقع الدرر السنية - قسم تيسير الوصول لأحاديث الرسول ﷺ - بإشراف علوي السقاف - <http://www.dorar.net/enc/hadith>